

إسلامية ثقافية شهرية

حقيقة الوجود الكبرى

موضوع العدد ص٩٢



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٥ ● محرم ١٤٠٢ هـ ● نوفمبر ١٩٨١ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

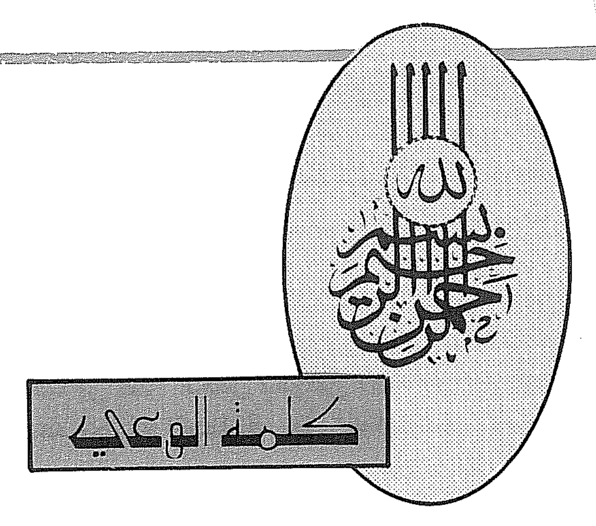
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



جمعية العفو الدولية تهاجم تطبيق الشريعة الاسلامية

كنا نحسن الظن « بهيئة العفو الدولية » ونرجح ان لها رسالة تتفق مع اسمها ، فتقف مدافعة عن المظلومين الذين تصب عليهم الحكومات الطاغية الأذى والنكال ، والمذلة والهوان ، بلا ذنب ولا جريرة ، كشعب فلسطين الذي سلب الطغاة وطنه . وأقاموا دولة لهم على انقاضه ، وكالنساء والاطفال والشباب والشيوخ من ابناء فلسطين ولبنان الذين تحصدهم الغارات الوحشية الاسرائيلية آنا بعد آن ، وكمسلمي الفلبين الذين يذوقون الويلات على يد الطغاة ، وكشعب افغانستان الذي ترميه الشيوعية في كل لحظة بأسباب الدمار والهلاك ، وغير هؤلاء في انحاء العالم كثير .

نعم كنا نحسن الظن بهيئة العفو الدولية ونرجح ان اسمها مأخوذ من رسالتها الى ان وقعت في يدنا صورة رسالة موجهة من جمعية العفو الدولية ـ المجموعة الطبية ـ ومقرها الدنمارك الى عميد كلية الطب بجامعة طنطا بمصر بتاريخ ١٩٨١/٢/١٩ موقعة باسم « **أنجي كيمب جينفكه** » رئيسة المجلس الاستشاري الطبي . تقول فيها :

السيد الدكتور

سبق ان كتبت لكم في شهر اكتوبر سنة ١٩٧٩ باسم المجلس الطبي لهيئة العفو الدولية والتي تضم ٤٠٠٠ طبيب في ٢٦ دولة . والآن فانني ألفت انتباهكم الى امر خطير للغاية ، فقد قررت حكومة الجنرال ضياء الحق تطبيق احكام الشريعة الاسلامية في باكستان والتي تعاقب مرتكب جريمة السرقة « بقطع يده ثم القدم » ويتم بترتلك الأجزاء بواسطة أطباء جراحيين . والمطلوب منكم الآن الاعتراض بكل قوة ممكنة ضد مشاركة الاطباء في هذا العمل المشين . وارسل لكم مع هذا بعض الأوراق الخاصة بما هو افظع وأشنع ، فقد حكمت محكمة اسلامية في مدينة (نواكشوط)

عاصمة موريتانيا على ثلاثة أشخاص ثبتت عليهم تهمة السرقة بقطع اليد ، وتم بتر الأيدي بواسطة أطباء جراحيين من المستشفى الاهلي بعاصمة موريتانيا (نواكشوط) . وطبقا لاعلان طوكيو الخاص بمنظمة الطب العالمية الفقرة رقم ١ أن الأطباء لا يشاركون في عمليات التعذيب أو تنفيذ أعمال التعذيب .

وهنا نبين لكم أن رأي « العفو الدولية » أن الأطباء لا بد أن يمتنعوا عن أعمال بتر أجزاء من جسم الانسان ، لأن ذلك يكون تشويها للجسم ، بل يسيء الى سمعة المهنة ، كما أن هذا العمل يعرض الانسان الى الخطر الكبير والمضاعفات الكثيرة بعد اجراء العملية ، بل ربما يؤدي الأمر بعد ذلك الى وفاة الشخص .

ونحن نرى أنه من الضروري والعاجل أن يقوم الأطباء في كل مكان بمعارضة ذلك الأمر الذي ترفضه تقاليد مهنتنا ، ونقترح عليكم ارسال خطابات احتجاج مليئة بالغضب الى :

م . بادالي ولد شيخ وزير العدل والشئون الاسلامية/ نواكشوط
م . يوسف دياجانا وزير الشئون الاجتماعية والعمل/ نواكشوط
دكتور ضياء الحسين/ المستشفى الأهلي/ نواكشوط

يرجى كتابة الخطابات بصفة فردية لاستنكار هذا العمل ومعارضته .

توقيع : أنجي كيمب جينفكه/ رئيسة المجلس الطبي الاستشاري

هذه هي الرسالة وهي كما يرى القارىء تشتمل على ما يأتي :-

أولا : بها هجوم مباشر وطعن شديد في الشريعة الاسلامية الغراء .

ثانيا : تبين الرسالة وجود تنظيم طبي عالمي داخل تلك الجمعية يقوم بمهمة الهجوم على الشريعة الاسلامية والطعن في أحكامها تحت شعار ما يسمى بالعفو الدولي وهذا التنظيم ـ كما جاء بالرسالة ـ يضم ٤٠٠٠ طبيب ، ولا بد أن يكون فيهم عمداء ومديرو خدمات طبية في كثير من بلاد المسلمين ، وبهذه الوسيلة يستطيعون ان يدبروا هجوما شرسا لتشويه الشريعة الاسلامية .

ثالثا : تستعين الجمعية بالأطباء المسلمين الذين تعرف عنهم الاندراج في سلك الروتاري وغيره من التنظيمات الماسونية للحصول على إدانة كتابية من الأطباء المسلمين ضد الشريعة الاسلامية .

رابعا : تبين الرسالة حقيقة منظمة العفو الدولية وأنها تعادي الاسلام ، كما تكشف جانبا من جوانب حملة عالمية ضد البلاد التي تطبق الشريعة الاسلامية أو تنوي أن تطبقها .

خامسا : في هامش الصفحة الأولى من الرسالة تأشيرة تطلب من رؤساء الأقسام نشر الرسالة بين الأساتذة وذلك بالنسبة للمرسل اليه أمر غني عن التعليق والبيان .

سادسا : تركز الرسالة على الطعن في عقوبة قطع يد السارق وتصفها بأنها عمل مشين وتعذيب وقسوة الخ .

وبعد

فليست جمعية العفو الدولية أول ولا آخر من يسوقهم التعصب الأعمى الى الطعن في الشريعة الاسلامية ، والصد عن سبيل الله ، ولسوف يتساقط أعداء الاسلام بباطلهم أمام صولة الحق بحجته وبرهانه (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**) .

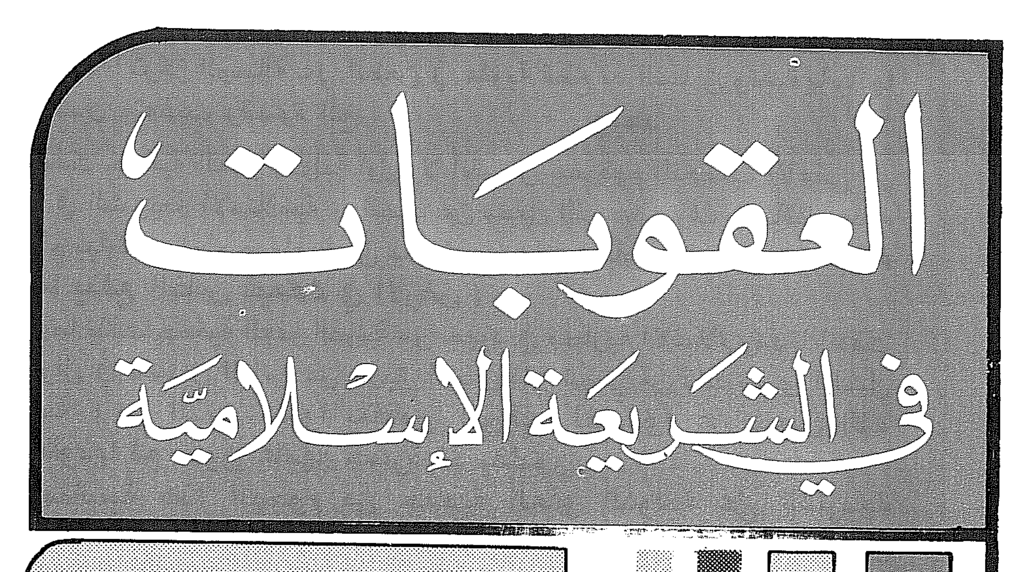
ومهما بذلت جمعية العفو الدولية من جهود في محاربة الاسلام ومهما أنفقت من أموال في تضليل الناس عن طريق الهدى فلن تجني من ذلك سوى الفشل والهزيمة (**ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**

وبمناسبة هذا الهجوم من جمعية العفو الدولية على الشريعة الاسلامية نحب ان نقول لها ولمن يسيرون في ركبها : « ان الذين يستنكرون تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ويقولون بعدم صلاحيتها وأنها عمل مشين فريقان من الناس : فريق لم يدرس الشريعة ولا القانون الوضعي ، وفريق درس القانون الوضعي دون الشريعة ، وكلا الفريقين ليس أهلا للحكم على الشريعة لأنه يجهل أحكامها جهلا مطبقا ، ومن جهل شيئا لا يصلح للحكم عليه .. والذي يعرف قدر الشريعة الاسلامية هو من درسها دراسة علمية ومنطقية ، فان هذه الدراسة تكشف له فضلها ، وتفوقها على القوانين الوضعية ، وصلاحيتها للتطبيق في كل العصور والأزمان .

ومن يدري فربما كان في محيط جمعية العفو الدولية من درس الشريعة الاسلامية دراسة دقيقة وعرف قدرها وفضلها ولكنه يكتم الحق جحودا بآيات الله وتعصبا للباطل كأولئك الذين قال الله فيهم لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) أو الذين عناهم بقوله : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) .

وفي الصفحات التالية بيان للأساس الذي وضعت عليه العقوبات في الشريعة الاسلامية وخاصة « عقوبة السرقة » والغاية التي شرعت من أجلها . نرجو ان يكون له أثره في إنارة الطريق أمام كل مسلم حتى لا تتفرق به السبل عن سبيل الله المستقيم (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) كما نرجو أن يجد فيه القارىء ما يروي ظمأه الى معرفة الحق فيما أثير ضد عقوبة السارق في الشريعة الاسلامية بعيدا عن زيف الباطل وضلال الهوى ومن الله وحده التوفيق وعليه التوكل ومنه الانابة .

رئيس التحرير : محمد الأباصيري



للشيخ : محمد الاباصيري خليفة
رئيس تحرير المجلة

الشريعة الاسلامية انزلها الله نظاما شاملا لجميع ما يتطلبه المجتمع الاسلامي في كل مجالات الحياة ، كي ينعم بالعدل والأمن ، والطهر والنظافة . والعزة والكرامة ، والتقدم والنهوض .

وعقوبات الشريعة الاسلامية وضعت على اساس علم الله بالنفس البشرية ، وتقدير دقيق للغرائز والميول ، وشرعت لمحاربة الجريمة والحفاظ على مصلحة المجتمع .

وقد حرصت الشريعة الاسلامية على ان تسبق العقوبة بأمرين اصلاح نفسية المجرم ، وكفالة الوسائل الضرورية لحفظ حياته .

فبالنسبة لاصلاح نفسية المجرم وضعت الأسس التالية :ـ

أولا ـ مقاومة الجريمة قبل وقوعها : وذلك بتوجيه الناس الى الايمان الكامل الذي يحقق الخوف من الله ، وتقويم الأخلاق وترويض النفس على حب الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتأليف القلوب بالتعاون والتناصح .

ثانيا ـ تشريع العقوبة : فان مجرد تشريع العقوبة يمنع الكثيرين من الاقتراب من الجريمة . ذلك أن العقوبة جزاء وضعه الشارع للردع عن ارتكاب ما نهى عنه أو ترك ما أمر به . فهي قبل الفعل موانع وبعده زواجر .

ثالثا ـ فتح باب التوبة أمام كل مذنب مهما كثرت جرائمه **(قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)** .

رابعا ـ الاعلام العملي من الشريعة

الاسلامية بأن العقوبات الواردة فيها لا يقصد بها تعذيب المجرم وإنما يقصد بها كفه عن الجريمة ، وحماية المجتمع من الأذى . وذلك بما أخذت به من التشدد في وسائل إثبات الجريمة ، ودرء الحدود بالشبهات امتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إدرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم » وقوله « لأن يخطىء الامام في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة » وقد منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قطع يد السارق عام المجاعة .

اما بالنسبة لكفالة الوسائل الضرورية لحفظ حياته ، فيتبين ذلك من أن الشريعة الاسلامية تفرض على المجتمع المسلم أن يوفر لأهل دار الاسلام ـ على اختلاف عقائدهم ـ جميع حقوقهم ، فيوفر لكل فرد حقه في الحياة وحقه في الحرية وحقه في كل الوسائل الضرورية لحفظ الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ، كما يوفر له ضمانات التربية والتعليم وضمانات الوقاية والعلاج وضمانات الأمن والاستقرار . والفرد يحصل على كل ذلك عن طريق العمل مادام قادرا عليه ، وعلى الدولة أن تيسر له العمل وأداته ، فإذا تعطل لعدم وجود العمل ، أو لعدم وجود أداته ، أو لعدم قدرته على العمل ، أو إذا كان كسبه من عمله لا يفي بضرورياته فله الحق في الحصول على تلك الضروريات أو استكمالها من عدة وجوه :

اولا ـ من النفقة التي تفرض له شرعا على القادرين في اسرته .

ثانيا ـ من النفقة التي تفرض له شرعا على القادرين من أهل محلته .

ثالثا ـ من بيت مال المسلمين من حقه المفروض له في الزكاة ، فإذا لم تكف الزكاة فرضت الدولة ما يحقق الكفاية للمحرومين من مال الواجدين ، بحيث لا تتجاوز في ذلك حدود الضرورة .

وإذا نظرنا إلى السارق الذي يعيش في تلك العدالة الاجتماعية التي تصونه وتكفله على هذا النحو الفريد من الصيانة والكفالة ، ونظرنا في ظل تلك العدالة إلى ما قدمته الشريعة الاسلامية من وسائل فعالة لاصلاح نفسيته ، وتساءلنا لماذا يسرق السارق في ظل هذا النظام ؟ ما رأيناه يسرق إلا طمعا في الثراء من غير طريق العمل ، فيروع المجتمع ويسلبه الطمأنينة ويزعزع أمنه واستقراره ، بلا عذر له في السرقة .

ومن ثم فلا يجوز لعاقل أن يرأف به متى ثبتت عليه الجريمة ، بل يجب أن يعاقب بالعقوبة التي شرعها الله ، فتقطع يده اليمنى ، فإذا عاد كان القطع في الرجل اليسرى إلى الكعب .

وهذه العقوبة هي العقوبة الوحيدة التي تلائم الجريمة كل الملاءمة ، لأن السارق حينما يفكر في السرقة إنما يدفعه إلى ذلك رغبته في أن يزيد كسبه بكسب غيره ، فكانت العقوبة حربا لهذا الدافع ، لأن قطع اليد يؤدي إلى نقص الكسب ، فالشريعة الاسلامية بتقريرها عقوبة القطع دفعت العوامل النفسية الداعية لارتكاب الجريمة بعوامل نفسية مضادة تصرفه عن الجريمة ، فإذا تغلبت العوامل

النفسية الداعية لارتكاب الجريمة ، وارتكب انسان الجريمة مرة كان في العقوبة ما يغلب العوامل النفسية الصارفة فلا يعود للجريمة ثانية ، وكان في تنفيذها صرف لسواه ممن تحدثه نفسه باقترافها .

ذلك هو الأساس الذي قامت عليه عقوبة السرقة في الشريعة الاسلامية ، وهو خير أساس من يوم نشأة العالم وإلى أن ينتهي . وقد ثبت أنه على مر العصور لم تفلح أية عقوبة أخرى في تحقيق أمن الناس على أموالهم .

والعجب ممن يقولون إن عقوبة قطع يد السارق لا تتفق مع ما وصلت إليه الانسانية والمدنية في عصرنا الحاضر . كأن الانسانية والمدنية في أن نقابل السارق بالمكافأة على جريمته التي يزعزع بها أمن المجتمع ، فنحكم عليه بالحبس مدة نطعمه فيها ونسقيه ، ونتيح له أن يتزود بفن أوسع في الاجرام من نزلاء السجن الذين هم أطول باعا في الاجرام منه .. وكأن الانسانية والمدنية في أن يكد العاملون في تحصيل المال من حلال ليستولي عليه اللصوص ، فيعيش المجتمع مزلزل الأوضاع محروما من الأمن والاستقرار .

إن عقوبة قطع يد السارق هي العقوبة الملائمة للجريمة لأن الله تعالى بناها على علمه المحيط بنفسية الانسان وعقليته ، وهي في الوقت ذاته تؤدي إلى أمن المجتمع وتقليل الجرائم إلى حد الندرة .

وما رأى هيئة العفو الدولية وتنظيمها الطبي في شخص يصاب في عضو من أعضائه بمرض غير قابل للشفاء ومن طبيعته السريان في الأعضاء المجاورة للعضو الذي أصيب به هل نبقى على العضو المصاب حتى يسري منه المرض إلى بقية الأعضاء ويقضي على حياة صاحبه أم نبتره طلبا لسلامة صاحبه ؟؟

لقد رأينا وقرأنا عن حالات من هذا النوع أجمع أهل الاختصاص من الأطباء على ضرورة استئصال ذلك العضو إبقاء على حياة صاحبه .. فكيف لا تستأصل يد السارق الذي عالجت الشريعة نفسيته وأعطته كل ضمانات الحياة ومع ذلك هدد أمن المجتمع وحرمه من نعمة الاستقرار ، ومعلوم أن حياة المجتمع أهم من حياة الفرد .

والذين يصفون قطع يد السارق بأنه عقوبة قاسية فاتهم ان اسم العقوبة مشتق من العقاب ولا يكون العقاب عقابا إذا كان فيه رخاوة وضعف . والله سبحانه وهو أرحم الراحمين وضع العقوبة متناسبة مع الجريمة فقال جل شأنه : (**والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم**) فهي تنكيل رادع من الله ، والردع عن ارتكاب الجريمة رحمة بمن تحدثه نفسه بها لأنه يكفه عنها ، ورحمة بالمجتمع كله لأنه يوفر له الطمأنينة . ولن يزعم أحد أنه أرحم بالناس من خالقهم إلا وفي قلبه عمى ، وفي روحه انطماس .

وقد جرب قطع يد السارق قديما وحديثا فنجح نجاحا تاما في تحقيق الأمن والاستقرار .. لقد أثبت الواقع أن قطع يد السارق لم يطبق في خلال نحو قرن من الزمان في صدر الاسلام إلا في (آحاد) لأن المجتمع الاسلامي بعدالته وكفالته ، والعقوبة بشدتها لم ينتج عنهما إلا هذه الآحاد . ويقول الاستاذ « عبدالقادر عودة » في كتابه (التشريع الجنائي في الاسلام الجزء الأول ص ٧١٢ط دار الكتاب العربي بيروت) . « إن التجربة وحدها هي التي تبين قيمة الأنظمة الجنائية » . وقد قال علماء القوانين الوضعية مجتمعين في اتحاد القانون الدولي : « إن أحسن نظام جنائي هو الذي يؤدي عملا إلى نتائج أكيدة في كفاح الجريمة ، وإن التجارب هي وحدها الكفيلة بابراز هذا النظام المنشود » .

ولقد أبرزت التجارب الحديثة أحسن الأنظمة الجنائية ، وتبين أن هذا النظام المنشود هو الشريعة الاسلامية وكانت التجارب التي امتحنت فيها عقوبات الشريعة على نوعين : كلية ، وجزئية .

فأما التجربة الكلية فقد بدىء بها في مملكة الحجاز حيث طبقت الشريعة الاسلامية تطبيقا تاما ، ونجحت نجاحا منقطع النظير في القضاء على الاجرام وحفظ الأمن والنظام ، ولا يزال الناس يذكرون كيف كان الأمن مختلا في الحجاز بل كيف كان الحجاز مضرب الأمثال في كثرة الجرائم وشناعة الاجرام . فقد كان المسافر فيه كالمقيم لا يأمن على ماله ولا على نفسه في بدو أو حضر في ليل أو نهار ، وكانت الدول ترسل مع رعاياها الحجاج قوات مسلحة لتأمين سلامتهم ورد الاعتداء عنهم ، وما كانت هذه القوات الخاصة ولا القوات الحجازية بقادرة على تحقيق الأمن وكبح جماح العصابات ومنعها من سلب الحجاج أو الرعايا الحجازيين وخطفهم والتمثيل بهم ، وظل حماة الأمن في الحجاز عاجزين عن حماية الجمهور حتى طبقت الشريعة الاسلامية ، فانقلبت الحال بين يوم وليلة ، وساد الأمن بلاد الحجاز وانتشرت الطمأنينة بين المقيمين والمسافرين ، وانتهى عهد الخطف والنهب وقطع الطريق ، وأصبحت الجرائم القديمة أخبارا تروى فلا يكاد يصدقها من لم يعاصرها أو يشهدها ، وبعد أن كان الناس يسمعون أشنع أخبار الاجرام عن الحجاز أصبحوا يسمعون أعجب الأخبار عن استتباب الأمن والنظام ، فهذا يفقد كيس نقوده في الطريق العام فلا يكاد يذهب إلى دار الشرطة ليبلغ حتى يجد كيسه كما فقد منه معروضا للتعرف عليه ، وهذا يفقد أمتعته وييأس من ردها ولا يبلغ عنها ولكنه يجد رجال الشرطة يبحثون عنه ليردوا إليه ما فقد منه ، وبعد أن كان الأمن يعجز عن حفظه قوات عسكرية عظيمة من الداخل وقوات عسكرية كبيرة من الخارج أصبح الأمن محفوظا بحفنة من الشرطة المحليين .

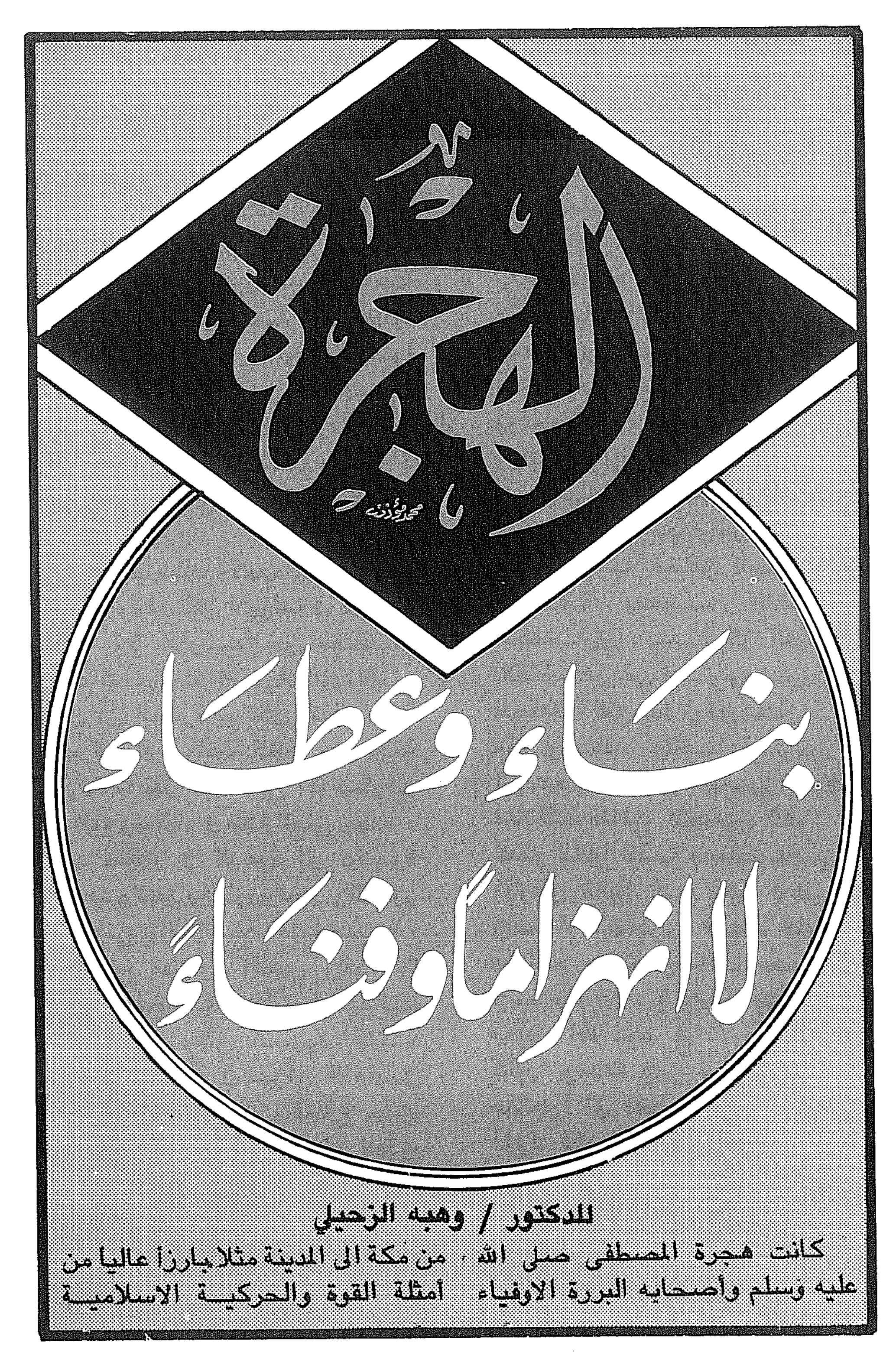
تلك هي التجربة الكلية ، وكفى بها دليلا على أن النظام الجنائي في

الشريعة الاسلامية يؤدي عملا إلى قطع دابر الجريمة ، وأنه النظام الذي يبحث عنه ويتمناه اتحاد القانون الدولي .

أما التجربة الجزئية فقد قامت بها أولا انجلترا وامريكا ومصر وبعض الدول الأخرى ثم قامت بها أخيرا كل دول العالم تقريبا وقد نجحت هذه التجربة الجزئية أيضا نجاحا منقطع النظير . وقد سمينا هذه التجربة بالتجربة الجزئية لأنها جاءت قاصرة على عقوبة واحدة من عقوبات الشريعة الاسلامية وهي « عقوبة الجلد » فانجلترا تعترف بالجلد عقوبة أساسية في قوانينها الجنائية والعسكرية ، ومصر تعترف بها في قوانينها العسكرية ، وامريكا وبعض الدول تجعل الجلد عقوبة اساسية في الجرائم التي يرتكبها المسجون ، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فقررت كل الدول تقريبا « عقوبة الجلد » على جرائم التموين والتسعير وبعض الجرائم الأخرى الماسة بالنظام أو الأمن العام ، وهذا اعتراف عام عالمي بأن عقوبة الجلد أفعل من أية عقوبة أخرى ، وانها الوحيدة التي تكفل حمل الجماهير على طاعة القانون وحفظ النظام ، وأن كل عقوبات القوانين الوضعية لا تغني عن عقوبة الجلد شيئا في هذا الباب ، وهذا الاعتراف العالمي هو في الوقت نفسه اعتراف بنجاح الشريعة الاسلامية في محاربة الجريمة ، لأن عقوبة الجلد هي إحدى العقوبات الأساسية في الشريعة .

هذه التجارب قاطعة في أن عقوبات الشريعة الاسلامية تؤدي عملا إلى نتائج أكيدة في كفاح الجريمة ، وأن أي نظام جنائي وضعي يعجز عن الوصول إلى بعض النتائج التي يصل إليها نظام الشريعة الجنائي ، ولعل السر في نجاح الشريعة أن عقوباتها وضعها العليم الخبير على أساس طبيعة الانسان ، ففي طبيعة الانسان أن يخشى ويرجو ، وهو لا يأتي أي عمل إلا بقدر ما ينتظر من منافعه ، ولا ينتهي عن عمل إلا بقدر ما يخشى من مضاره ، فلا يرتكب الجريمة إلا لما ينتظره منها من منفعة ، ولا ينتهي عن الجريمة إلا لما يخشاه من مضارها ، فكلما اشتدت العقوبة كلما ابتعد الناس عن الجريمة وكلما خفت العقوبة كلما استهانوا وازداد إقبالهم على الجريمة ، وقد تمشت الشريعة الاسلامية مع طبيعة الانسان فوضعت على أساسها عقوبات الجرائم عامة وعقوبات جرائم الحدود والقصاص خاصة ، ونظرت في الجرائم الأخيرة إلى الجريمة دون المجرم حتى لا يكون لدى المجرم أمل في استعمال الرأفة ، لأن هذه الجرائم من الخطورة بمكان ، ولأنها تمس كيان الجماعة ونظامها ، فالتساهل فيها يؤدي إلى أسوأ النتائج ، والتشدد فيها يؤدي إلى قلة وقوع هذه الجرائم . فعلى العقلاء أن يدركوا حكمة الله فيما شرع لعباده حتى لا يكونوا فريسة لتضليل المضللين وخداع المخادعين .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ..



للدكتور / وهبه الزحيلي

كانت هجرة المصطفى صلى الله ، من مكة الى المدينة مثلاً بارزاً عالياً من
عليه وسلم وأصحابه البررة الاوفياء أمثلة القوة والحركية الاسلامية

والنشاط ، وانتجاع الوسط الأفضل والبيئة الخصبة الدافئة المترعة بالغنى والخير والعطاء ، والبناء والتجديد والتفاني في سبيل المبدأ ، والسعي والتحرك لاقامة أرسخ البنى لدين الله تعالى في الأرض ، ونشر الرسالة الالهية ، وتوسيع رقعة امتدادها ، وتكثير انصارها ودعاتها والمؤمنين بها ، الذين بذلوا من أجلها الدم والمال والنفس والنفيس ، وضحوا براحتهم ووطنهم وعلاقاتهم التي يصعب عادة التخلي عنها الا طلباً لمغنم مادي أو رفاه معيشي موقوت .

واهداف سامية كهذه تجعلنا نجزم أن الهجرة لم تكن انهزاماً في مواجهة عدو ، ولا هروباً من مقابلة الأحداث ، ولا فناء وذوباناً الى الأبد ، بدليل أن الهجرة لم تكن آنية سريعة عقب البعثة ، وانما كانت بعد ثلاثة عشر عاماً بذل فيها نبي الله صلوات الله عليه وسلامه في مكة اقصى جهده ، واشد طاقته في الدعوة الى عقيدة التوحيد والحق والخير والعدل والتحرر الانساني والكرامة الشخصية ، وتصحيح مفاهيم الناس والحياة العامة والخاصة ، وارساء معالم الفضيلة والاخلاق السوية المتزنة الثابتة المتفاعلة في ميزان التعامل الداخلي والخارجي ، واقتلاع جذور الوثنية والشرك ، سواء منه القديم البسيط المتمثل في الخضوع والتقرب الى مظاهر واشكال المادة الصماء من حجر او معدن ، او الشرك الحديث المعقد او الخفي المتمثل في تنوع الوان الرياء والتملق والنفاق والتزلف وابتغاء الخير من شخص متنفذ او حاكم مستبد ، ونسيان جانب الله مصدر كل نفع ونعمة وفضل .

لم يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحبه ضعفاً ولا خوراً ، ولا خوفاً ولا يأساً ، لأن الله تعالى مؤيد عباده المخلصين ، وناصرهم ومعزهم وهاديهم الى الخير والرشاد ، وانما هاجروا بعد ان اوذوا وعذبوا ، وواجهوا كل صغيرة وكبيرة في جيوب وعقول وسلوك المجتمع الوثني ، غير انهم وجدوا ان الاسلام يعتز وتقوى شوكته في بقاع اخرى من الأرض هي مدينة الأنصار منطلق الحياة والقيم الخيرة ، ومصدر الاشعاع الحضاري ، ومركز القيادة للانقضاض على أوكار وعشش ومهاد الجاهلية الفاسدة في أي مكان ، لا في مكة وحدها ، وانما في ارض الله الواسعة : (**ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً**) النساء /٩٧ : (**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفوراً رحيما**) النساء /١٠٠ فاذا كانت مكة عقيما فالمدينة ولود : (**والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكداً**)

الأعراف / ٥٨ .

كان لهذه الهجرة التي يحتفل العالم الاسلامي الآن بالقرن الخامس عشر لحدوثها آثار بعيدة المدى في تاريخ الانسان ، تمخضت عنها بجلاء ، ومن اهمها ما يأتي :

١ ـ تغير المفاهيم الشخصية والاجتماعية :

لقد انتهت السيادات والزعامات الفردية الى شورى الجماعة ورأي الأكثرية ، وزال الظلم والطغيان والتحكم الطبقي ، واصبحت ناصية القيادة بيد الفئة القليلة التي كانت مستضعفة ، ولكنها استنارت بنور الهدى الالهي ، وتحول الصراع القبلي العنيف الى وحدة ومحبة وإخاء عام شامل شمل ابناء العقيدة الحقة الخالدة ، وتغيرت نظرة العربي وغير العربي من تمجيد وتقديس الرموز والأشباح والأصنام والأوثان ، والجماد والحيوان ، الى تفكير واع في ملكوت السموات والأرض ، وانتهت عبادة الأشخاص واستؤصلت وهاد الخرافة والاوهام والسطحية في التفكير ، وأحس المرء بخطورة دوره في هذه الحياة ، وضرورة الافادة من نتاج الكون ، وما يختبئ فيه من خيرات تستثمر وتنفع كل إنسان ، لأن المآل والمصير في النهاية الى محاسب دقيق على كل عمل الا وهو خالق الكون الذي ابدع كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ،

وارتقت مشاعر واحاسيس الفرد ، فبعد ان كان همه طلب القوت وتحصيل اسباب المعيشة عن طريق النهب والسلب والغارات ، اصبح يقدر قيمة العمل والكسب الشريف الحر ، والعمل اسمى قيمة حضارية يفخر بها الانسان ، بل هو ميزان الشعور بالمسئولية ، وسبيل تحقيق الوجود الذاتي ، وطريق القضاء على الفراغ ، وتحطيم عوامل اليأس والسأم والفتور والكسل ، وتحقيق التقدم والتحضر والتمدن .

وبرز مفهوم جديد هو العمل لخيري الدنيا والآخرة ، والاهتمام بالصالح العام ، ودعم عزة الامة ، والحفاظ على كرامة الجماعة . وتلاشت اعراف الجاهلية الفاسدة القائمة على الوثنية في الدين ، والفوضى في نظام المجتمع ، فحل القصاص المنظم محل عادة الأخذ بالثأر الفوضوية ، وشاع العفاف ليستأصل أوكار الفاحشة ، وبدا بوضوح ضرورة احترام المرأة ليحل محل المتاجرة بعرضها أو وأدها حية . واصبح الاحسان والحب بديلا عن التقاطع والتدابر وحب الذات ، وظهرت قيم جديدة انجبتها الهجرة : هي الحرية والعدالة الشاملة ، وتنشيط سبل العلم والمعرفة والثقافة ، وتوجيه القوة والجهاد نحو عدو أخطر يهدد وجود العرب كلهم ، لأن الاسلام الحقيقي لا يتم بدون التخلص من افكار بالية وعقائد فاسدة وطقوس جوفاء .

٢ ـ اقامة نظام الدولة :

تزدوج السلطة المدنية والدينية في تعاليم الاسلام ، فلا تنفصل احداهما عن الأخرى ، لأن الاسلام

دولة ودين ، ونظام حياة ، وعقيدة ودستور ، وعبادة ومنهج ؛ اذ لا أمل في انجاح المبادئ بدون سلطة .

وقد اثمرت الهجرة هذه المعاني الدقيقة ، فعرف ان النبي صلى الله عليه وسلم ذو صفتين : كونه رسولا مبلغاً لوحي ربه ، وكونه حاكماً صاحب سلطة مدنية سياسية ، يفصل الخصومات ويقيم الحدود ، ويوفر الأمن ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقود الجيوش ، ويعقد المعاهدات ، ويحمي المسلمين ، ويوحد المواطنين ، فبعد ان كان مشركو مكة يعتقدون أن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم دعوة دينية روحية خلقية ، فوجئوا بأنها أصبحت روحاً ومادة ، وقوة ومدنية ، واجتماعاً وحكومة وسياسة .

اقيمت الدولة على نفس الصورة او القاعدة التي تقوم عليها الدولة الحديثة بأركانها او عناصرها الثلاثة : وهي الشعب والوطن او الاقليم ، والسلطة السياسية او السيادة .

وفي المجال الشعبي حقق الرسول صلى الله عليه وسلم الوحدة الوطنية بين فئات المدينة ، فأزال الاحقاد والاحن الجاهلية ، وسوى المنازعات الحادة بين الأوس والخزرج اهل يثرب ، وآخى بين المهاجرين والانصار ، وعقد معاهدة امن وسلام ودفاع وتعاون بين المسلمين ويهود المدينة ، كل ذلك لتقوى القاعدة الداخلية لممارسة سلطان الدولة .

واصبحت المدينة مقر الهجرة ومبعث القوة ودار الاسلام ، وموطن المسلمين الجديد ، يدافعون عنه ، ويذودون عن حياضه ، بعد تشريع الجهاد للدفاع عن النفس : (**اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير**) الحج / ٣٩ .

ومارست الدولة مظهر سيادتها الخارجي ، فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بارسال الكتب والسفراء ، وبعث البعوث الى ملوك وأمراء العالم ، وزعماء القبائل العربية يدعوهم فيها الى الاسلام خاتم الاديان والنبوات عقيدة ونظام حياة ، مما لا يصدر مثله الا عن قائد وصاحب دولة .

وكانت معاهدة الحديبية مع مشركي مكة في السنة السادسة من الهجرة نموذجا بينا لوجود المسلمين الدولي ، ومثلا يحتذى للمعاهدات السياسية التي تعقدها الدول المعاصرة ، شكلا وموضوعا .

غير ان الفارق الوحيد : هو ان مصدر جميع السلطات التشريعية في دولة الاسلام هو الشرع ، وامر التنظيم متروك للحكام ومستشاريهم ، اما مصدر السلطات في الدولة العصرية فهو قانونا للشعب : (**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**) المائدة / ٥٠ .

٣ ـ استقرار الحياة التشريعية :

عني التشريع المكي باصلاح العقيدة والاخلاق والسلوك ؛ لأنه الأساس الذي يبنى عليه غيره ،

ولاصلاح شأن العرب الذين اختارهم الله انصارا لدينه ودعاة اليه ، وذلك في مدى ثلاث عشرة سنة ، حتى برزت نواة العقيدة الصحيحة في نفوس الناس ، وتلاشت ضلالة الشرك .

ثم اتجه التشريع في المدينة نحو تنظيم حياة الفرد والجماعة في كل النواحي : في العبادات والمعاملات والجنايات والجهاد ، والقضاء والمواريث والوصايا ، والأحوال الشخصية من زواج وطلاق ، والقربات الدينية من كفارات الأيمان ، ووفاء النذور وغير ذلك من كل ما تتطلبه الدولة من قوانين دستورية ودولية ومدنية وجنائية وشخصية ، لتحقيق الاستقرار والاطمئنان وتنظيم حياة الناس الاجتماعية والفردية . واصبح الكمال التشريعي في الأصول والمبادئ والقواعد العامة مع بعض التفصيلات الجزئية هو شعار الاسلام ومفخرة المسلمين : (**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً**) المائدة / ٣ ، وكان يواكب نزول القرآن بيان السنة النبوية والتي لا يشك امرؤ عاقل في ضرورتها ووجودها وكونها تشريعاً ملزماً ، الا ان يكون جاحدا معانداً ، او هداماً منافقاً ، او حاقداً كافراً ، لقوله تعالى : (**يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول**) النساء / ٥٩ : (**وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم**) النحل / ٤٤ ، وقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم على من رد سنة صحيحة بذل العلماء في تحقيقها جهوداً جبارة ، فأثبتوا الصحيح ، وردوا الضعيف ، ونخلوا الآثار نخلا دقيقاً ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يوشك رجل منكم متكئاً على اريكته يحدث بحديث عني ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، الا وان ما حرمه رسول الله مثل الذي حرم الله » رواه ابو داود والترمذي ، وبدا حينئذ ان تاريخ وجودنا كأمة بالمعنى الصحيح . بدأ بالهجرة ؛ حيث انتقل المسلمون من الموقف السلبي الى الموقف الايجابي ، ومن مرحلة الصبر الى مرحلة الجهاد ، ومن بناء العقيدة الى تنظيم الحياة ، ومن الاضطراب والقلق الى الامن والاستقرار ؛ لأن الايمان والثقة بالله يمكن بهما التغلب على الكفر والتردد ، والخوف والتمزق .

والهجرة أقامت دولة ، وأنشأت أمة ، وكونت جماعة وانجبت نظاماً وقانوناً : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً**) النور / ٥٥ .

وقد امتن الله سبحانه على المؤمنين ، اذ يذكرهم بضعفهم وخوفهم السابق بقوله تعالى : (**واذكروا اذ انتم قليل**

مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره) الانفال / ٢٦ .

٤ ـ توفير مناخ التقدم وارساء دعائم الحضارة :

الاستقرار شرط ضروري للنهضة والتقدم وبناء الحضارة ، وهذا قد تحقق بالهجرة ، فبعد ان كان العرب يعيشون في ظلال كثيفة من الجهل والحيرة والتردد ، وفي وسط من الضلالة والظلمة والفساد اصبحوا بالهجرة ينعمون بنور العلم والمعرفة ، ويسيرون في فلك الهداية الربانية والنور الالهي ، وإرشاد القرآن .

وتقوم حضارة الاسلام على أساس الجمع بين مطالب الروح والمادة ، والقيم الخلقية والعمل ، ونحو ذلك مما أنجزته الهجرة في الواقع العملي ، من ضرورة الربط بين الخلق والعلم ، والعمل والايمان ، لأن الايمان اساس العمل .

وانتشر الاسلام بفضل الهجرة في المشارق والمغارب ، وكان المسلمون الأوائل مثلا طيباً عالياً لكل فضيلة وتضحية وإخلاص ، وترجموا بسلوكهم صورة الاسلام النقية الصافية ، كما ارادها الاله في قرآنه العظيم لأن الهجرة كانت الرمز العملي للتضحية والايثار والاخلاص والتنافس في الخير ، وتجميع الجماعات ، وتوحيد الصف ، والاستماتة في سبيل المبدأ . وكان بناء المسجد في قباء اول اعمال النبي بعد الهجرة ليصبح منبراً ومركزاً وقاعدة للجماعة ولاعلام المسلمين أحكام دينهم وقضايا امتهم .

فلولا الهجرة لم يكن هناك اسلام يذكر ، ولما كان للحضارة الانسانية نصيب من الاسلام ، وأوفى نصيب هو تعمير القلوب بالايمان ، والاندفاع نحو القيام بالواجب بالدوافع الذاتية التي لا رقابة لأحد عليها سوى رقابة الله في السر والعلن .

٥ ـ انتاج الكفاءات العالية :

كانت الهجرة محكاً قوياً لاختبار إيمان الصحابة ، ومعرفة مدى صدقهم ، وتفانيهم في سبيل ارضاء الله ، فضحوا بأغلى ما لديهم من نفس ومال ، ورقد علي بن ابي طالب الفتى الشجاع في فراش النبي صلى الله عليه وسلم معرضاً نفسه لسيوف القتلة الذين بلغوا مائة ، انتدبوا من كل قبيلة ، ليتوزع دم رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبائل ، فلا يستطيع بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، ويرضوا بالدية ، فيعطوها لهم . وتصبح اسرة ابي بكر كلها من رجال ونساء وخدم جنودا أوفياء لانجاح خطة الهجرة ، ومصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء السفر والمكوث في غار ثور ثلاثة ايام ، بعد ان دخل ابو بكر الغار اولا ، باحثا وناظرا أفيه سبع او حية ، يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه . وترك مسلمو مكة بلادهم وأموالهم واهلهم ، وهرعوا الى الهجرة الى المدينة ، فاستحقوا ثناء الحق تبارك وتعالى عليهم :

(للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون) الحشر /٨ .

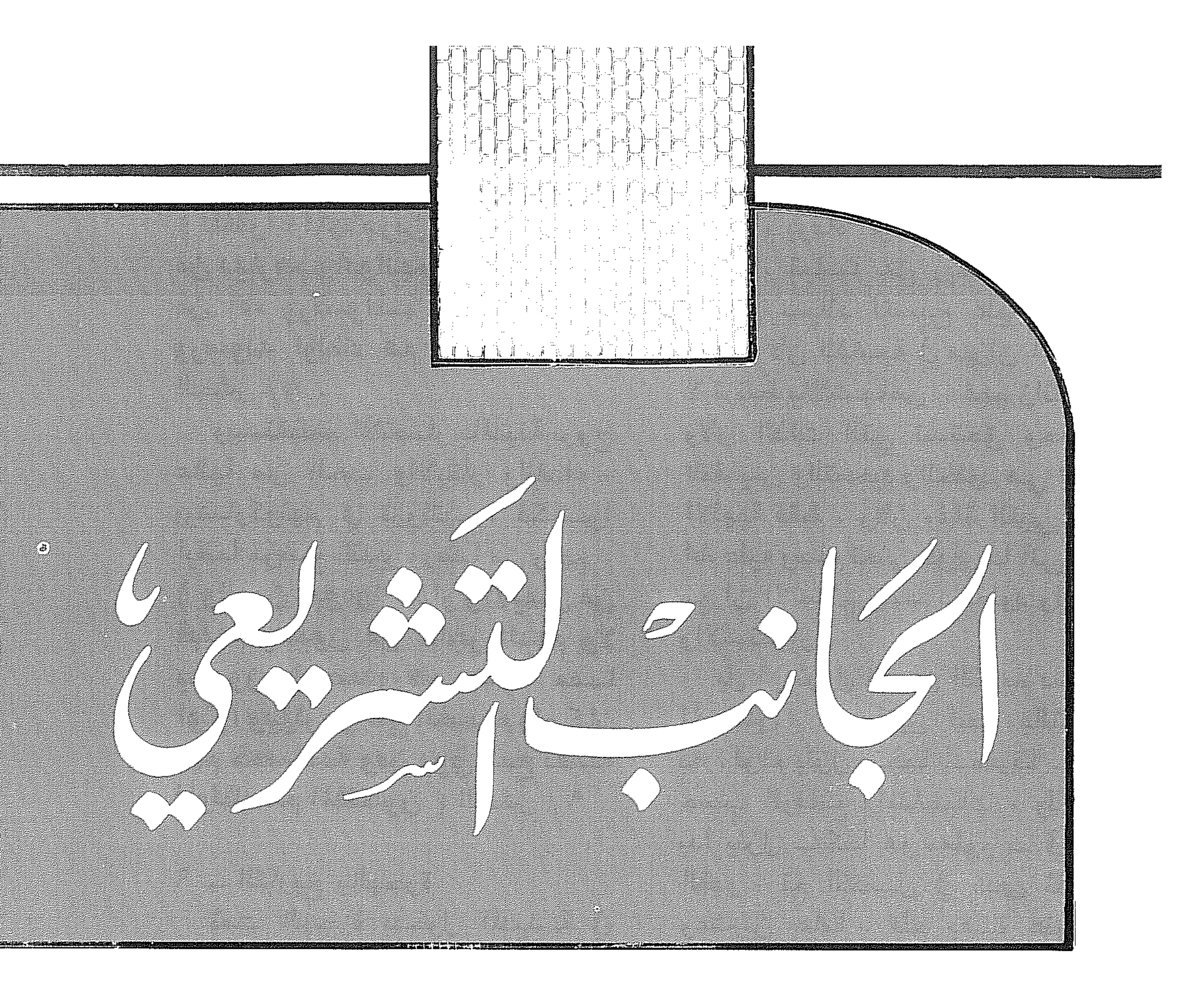
ويستقبلهم الانصار بالمدينة بروح عالية من الحب والايثار والفداء ، ويشاركونهم في ثرواتهم ، فكانوا أيضاً موضع تقدير ورضا من ربهم : **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر / ٩ .

٦ ـ التأريخ بالهجرة :

تمت الهجرة بدخول المدينة في الثاني عشر من ربيع الأول بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة سنة ٦٣٢ م ـ ٣٠ ايلول (سبتمبر) ، ونظرا لما حققته الهجرة من آثار عميقة بعيدة المدى في الحياة الانسانية ، ولما تجسد بها من قيم عالية ، جعلها عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مبدأ التاريخ الاسلامي ، ووافقه الصحابة ، وأجمع المسلمون على رأيه . وهذا حق وصواب ؛ لأن الاسلام يخلد الأحداث العامة التي تحقق آثاراً كبرى وصريحة بين المسلمين ، ولأن التأريخ بالهجرة تجسيد للمعاني والقيم العالية التي اشرنا الى اهمها ، ولا يصح لمبتدع بعدئذ او مدع التجديد ان يغير ما اجمع عليه المسلمون ، او يربط تاريخ الاسلام بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، قياساً على ربط التاريخ الغربي بميلاد المسيح عليه السلام مثلا ، لأن القضية في ميزان الاسلام لا ترتبط بالأشخاص ، فهم زائلون ، ولأن الذات التي تستحق وحدها التقديس والتمجيد والخلود هي الذات الالهية فقط ، ولأن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تعني طوي ما أتى به ، مع ان الاسلام يتسم بالخلود والبقاء والاستمرار .

بل ان نزول القرآن الكريم دستور المسلمين ، قد يكون احق بالتأريخ به ، لو لم ينزل منجماً ـ مفرقاً ـ على حسب الوقائع والمناسبات ، ولكنه بدأ ينزل ـ كما هو معلوم ـ في ليلة القدر ، ثم اكتمل في مدى ثلاثة وعشرين عاماً ، فلم يعد عنواناً صالحاً للتأريخ ببدء نزوله مثلا .

والهجرة اخيراً ليست مجرد تاريخ ، او حادث عابر يمر ، فنتذكره في لحظة زمنية محددة ، وانما هو امر حي في النفوس المؤمنة ورمز لأي نصر الهي يمكن ان يتحقق ويتجدد في كل زمن بتجدد صدق المؤمن ، وتجدد الايمان والعطاء ، وتنفيذ العهد مع الله في اي زمان ومكان : **(الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)** التوبة / ٤٠ .



ـ الرسالة المحمدية : ـ

أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ، يقول تبارك وتعالى : **(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)** سبأ/٢٨ . وما كانت هذه الرسالة العامة لأحد من الرسل من قبله ، فموسى عليه السلام أرسل لبني إسرائيل خاصة ، لقد اقتصرت دعوته على بني إسرائيل لدرجة انه حينما ذهب هو وهارون عليهما السلام الى فرعون قالا له : **(انا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل)** طه/٤٧ إن « موسى » ذهب إلى فرعون ليرسل معه بني اسرائيل ، ولم يكافح موسى عليه السلام الشعوب أو الأمم في سبيل دعوته .

و « عيسى » عليه السلام إنما أرسل إلى « خراف بني إسرائيل الضالة » على حد تعبيرهم القديم ، ولم يحاول عليه السلام أن يبشر بدعوته خارج فلسطين ، ولم يحاول أن يجاهد من أجلها .

اما رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسله الله إلى الناس جميعا من حيث المكان ومن حيث الزمان : **(قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا)** الأعراف/١٥٨ وقد تكفل الله تعالى بحفظ الكتاب الذي



أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ضمانا لهذا العموم في الزمان والمكان وتحقيقا له : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر/ ٩ ومن أجل هذا الوعد بحفظ الوحي كاملا غير منقوص ، صحيحا غير مزيف ، كانت الحكمة الالهية في أن الانسانية لا تحتاج إلى رسول بعد الرسول ولا إلى نبي بعد النبي ، إنه صلوات الله وسلامه عليه خاتم الرسل وخاتم الانبياء ولقد امتزج صلى الله عليه وسلم برسالته الخالدة فكان هو هي ، شرحا وتفصيلا ، وكانت هي هو ، بيانا لمعدنه وجوهره وخلافة له ونيابة عنه .

- حديث عن سنة رسول الله : -

واذا جئنا الى الحديث عن سنة رسول الله وجدناها تتناول ما صدر عن رسول الله من أقوال وأفعال وتقريرات إن سنته القولية مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » رواه أحمد وابن ماجة .

كما قال فيما رواه البخاري ومسلم « إنما الاعمال بالنيات ... »

وسنته الفعلية : مثل إقامته الصلاة وأدائه الزكاة وصومه وحجه وتوضئه .

وسنته التقريرية : مثل إقراره

بعض ما صدر من أصحابه من قول أو عمل روي انه صلى الله عليه وسلم أقر ما تصرف به أحدهم عندما لم يجد وقودا في صباح يوم بارد فتيمم رغم وجود الماء ، ولقد أمرنا القرآن الكريم بأن نأخذ ما أتى به صلى الله عليه وسلم ، ونتجنب ما ينهى عنه إذا رآه من غيره ولم يقره ، وذلك بمثل النص الكريم : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**) الحشر/ ٧ وينبغي أن نعرف أن سنن رسولنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حجة على المسلمين وقانون واجب عليهم أن يرجعوا إليه وأن يتبعوا أحكامه ، ذلك لأن القرآن الكريم هو القسم الاول من القانون الدستوري الاسلامي وقد تحدثت عن ذلك في العدد ١٨٨ من الوعي الاسلامي الصادر في شعبان عام ١٤٠٠ هـ .

والسنة هي القسم الثاني ، وقد استدل جمهور المسلمين على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى كما أمر بطاعته أمر بطاعة رسوله حيث يقول جل جلاله : (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**) النساء/ ٥٩ . ويقول : (**يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**) الانفال/ ٢٤ ، وكما حرم سبحانه على المؤمن أن يعصيه حرم عليه أن يعصى رسوله فقال : (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**) الاحزاب/ ٣٦ وفي القرآن الكريم ايات عديدة تنفي الايمان عمن لا يطمئن إلى أحكام الرسول ولا يسلم لها يقول سبحانه : (**قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين**) آل عمران/ ٣٢ . وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن الاعراض عن طاعة الله أو عن طاعة الرسول كفر ، وما من شك في أنه كفر ، ذلك أن من أركان الايمان ، الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأن كل ما أتى به صدق ، فالتولي عنه استخفافا أو جحودا وإنكارا أو عنادا ومماراة كفر يخرج به المعرض عن دائرة الاسلام .

ويقول الله تعالى في طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام حينما يفرده بالحديث : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما**) النساء/ ٦٥ ويقول : (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**) النور/ ٦٣ ، ويقول عليه الصلاة والسلام . فيما رواه أبو داودوالترمذي وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب قال : قال صلى الله عليه وسلم :

« ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله ... » .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود عن عبيد الله ابن أبي رافع عن أبيه : ـ

« لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » .

وأحكام الرسول هي ما صدرت عنه قولا أو فعلا أو تقريرا ، وهي قانون واجب اتباعه في حياته وبعد مماته وقد كان الصحابة في حياة الرسول وبعد موته إذا عرض لهم حادث وأرادوا معرفة حكمه رجعوا الى كتاب الله فإن وجدوا حكم ما عرض لهم اتبعوه ، وان لم يجدوا في القرآن حكم ما عرض لهم رجعوا إلى الرسول في حياته وسنته بعد مماته . روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه الى اليمن فقال له « كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ « قال : أقضي بكتاب الله . قال : « فإن لم يكن في كتاب الله ؟ » قال : فبسنة رسول الله . قال : « فان لم يكن في سنة رسول الله ؟ » قال : أجتهد رأيي ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله » .

وجاء فيما رواه أصحاب السنن : عن قبيصة بن ذؤيب رضي الله عنه قال : جاءت الجدة إلى أبي بكر رضي الله عنه تسأله ميراثها . فقال : مالك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئا فارجعي حتى أسأل الناس . فسأل فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس فقال أبو بكر هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة فقال مثل قوله : فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه قال : ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر رضي الله عنه فسألته ميراثها فقال : ما لك في كتاب الله شيء وما كان القضاء الذي قضى به الا لغيرك ، وما أنا بزائد في الفرائض ولكن هو ذلك السدس فان اجتمعتما فيه فهو بينكما وأيكما خلت به فهو لها .

وأرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسالته المشهورة إلى أبي موسي الاشعري يقول فيها : « سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة » ويقول له « الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة » .

ـ تساؤل عن موقف سنة الرسول من القرآن : ـ

وإذا تساءلنا ما موقف سنة الرسول بالنسبة إلى القرآن وجدناها لا تخرج عن حالات ثلاث :

١ ـ إما أن تكون سنة مبينة ومفصلة لنص جاء مجملا في القرآن . وذلك مثل سننه العملية في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت فانها تبيين وتفسير لقول الله تعالى : **(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)** البقرة/ ٤٣ ولقوله : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** البقرة/ ١٨٥

ولقوله : (**ولله على الناس حج البيت**) آل عمران/٩٧ فلولا تبيين الرسول لهذه النصوص المجملة ما أمكن تنفيذها ، وهذا التبيين جعله الله لرسوله لأن وظيفة الرسول أمران : تبليغ ما أوحى إليه من ربه ، وتبيين ما يحتاج الى التبيين من مجمله ، يقول الله تعالى : (**يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**) المائدة/٦٧ ويقول : (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**) النحل/٤٤ ويقول : (**كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة**) البقرة/١٥١ .

٢ ـ وأما أن تكون سنة مؤكدة ومقررة لما جاء في القرآن وذلك مثل السنن التي أمرت بما أمر به القرآن من التوحيد وبر الوالدين والعدل والاحسان وأداء الأمانات ، والتي نهت عما نهى عنه القرآن من الزنا وشهادة الزور وقتل النفس التي حرم الله قتلها .

٣ ـ وامـا ان تكون سنـة منشئة وشارعة حكما في واقعة لم يذكر حكمها في القرآن ، وذلك مثل ما جاء في السنن من أنه لا يجمع في الزواج بين البنت وعمتها والبنت وخالتها ومن أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، ومن تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ومن أن ما بقي من الارث بعد ذوي الفرض لأقرب عاصب ، ونحو هذا . ومن الواجب أن نذكر أن سنن الرسول عليه الصلاة والسلام لا تعارض حكما جاء في القرآن لأن رسول الله مأمور بأن يبلغ الناس ما أنزل اليهم ليتبعوه ولينفذوه ، فلا يصدر عنه ما يخالف الوحي الذي أمر باتباعه .

ـ هل السنن كلها تشريع عام ؟!

ونتساءل بعد ذلك : هل السنن التي صدرت عن رسول الله كانت كلها تشريعا عاما حجة على المسلمين في كل زمان ومكان ؟ ونجيب بأنها لم تكن كلها تشريعا عاما وحجة على المسلمين في كل زمان ومكان ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم له صفتان : صفة أنه بشر مثل أفراد الناس في بشريتهم وإنسانيتهم ، وصفة أنـه رسـول اصطفاه الله تعالى ليوحي إليه ، وليبلغ للناس ما أنزل إليه من ربه ، فمن ناحية أنه بشر صدرت عنه أقوال وأفعال ، والحجة على المسلمين هو ما صدر عنه بصفته رسولا يشرع للمسلمين أحكاما ليأتسوا بها وليتبعوها ، وما صدر عنه بصفته بشرا مثل سائر البشر فليست حجة على المسلمين ولا هي قانون عام ويترتب على ذلك ما يأتي : ـ

١ ـ أن السنن القولية أو الفعلية التي رويت في أكله صلى الله عليه وسلم وشربه ومشيه ولبسه ونومه وركوبه وقعوده ونحو هذا مما صدر عنه بمقتضى طبيعته الانسانية وحاجته البشرية ، ليست تشريعا عاما ولا قانونا يجب اتباعه ، فما روي عن الرسول من أنه كان أحب الثياب اليه ثوب يماني مخطط من قطن أو كتان ،

وكان أحب الطعام إليه الدباء ، وأنه كره لحم الضب ونحو هذا لا يعد تشريعا عاما ولا يوجب على المسلم حب ما أحبه ولا كره ما كرهه لأن مرجع هذا إلى المزاج الانساني لا إلى الحكم الديني . ولذلك وجدنا أئمتنا وعلماءنا الحريصين على اتباع السنة لا يتقيدون بشكل ولا بجنس ما كان يلبسه الرسول ، ويختلف بعضهم عن بعض فيما يلبسون جنسا وهيئة ، ولا يتقيدون بنوع ما كان يأكل ولا بهيئة طبخه ولا يتقيدون كذلك بأن يمشوا كما كان يمشي أو يركبوا ما كان يركب .

٢ ـ السنن القولية أو الفعلية التي صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تدبير مسألة دنيوية أو واقعة حربية بناء على تقديره وتفكيره وتجاربه كتعيينه مكانا لينزل الجنود فيه ، ,وصفه دواء لمرض ومشورته في زراعة أو تجارة أو مضاربة ونحو هذا مما يظهر فيه أنه وليد الرأي لظرف خاص ، وليس صادرا عن الوحي ، لا تعد تشريعا عاما ولا قانونا واجبا اتباعه ..

عن أبي سعيد الخدري قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أخي استطلق بطنه يريد الاسهال ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسقه عسلا » فسقاه ثم جاء فقال : سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال له « ثلاث مرات » ثم جاء الرابعة فقال « اسقه عسلا » فقال : لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق الله وكذب بطن أخيك » . فسقاه فبرأ . « متفق عليه » . لا يدل هذا الحديث على أن شراب العسل دواء من أي مرض باطني لأي مريض ، لأن هذا صدر عنه صلى الله عليه وسلم بناء عن تجاربه بوصف أنه إنسان لا عن وحي إلهي . وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم مر على نفر يقومون بتأبير النخل (أي تلقيحه) بنقل المذكر منه إلى المؤنث فقال لهم « لو لم تفعلوا لصلح » أي انه لا داعي لهذا العمل وأنهم لو تركوه بدون تلقيح لأتى بالثمر ، واستمع القوم الى قول رسول الله ، ولم يقوموا بتلقيح النخل كما اعتادوا فلم يثمر النخل ، وذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقصوا عليه أمر نخلهم فقال لهم « أنتم أعلم بأمر دنياكم » . يعني أنتم في حل من التقيد بقولي .. والغريب أن بعض الناس يسيئون فهم هذا الحديث ويريدون أن يتخذوا منه مبررا لكي يشرعوا لأنفسهم بحجة أنهم أبصر بشؤون دنياهم ، ونسوا أو تناسوا أن هناك فرقا بين الأمر التجريبي العملي الذي يكون الفيصل فيه للتجربة التي لا تخضع للهوى الشخصي ، ولا تختلف فيه الآراء ، وبين الأمر النظري الذي تختلف فيه الأهواء والمذاهب فنحن أبصر بشؤون دنيانا فيما يختص بالأمور المادية والعلمية الناتجة من التجارب المعملية الصماء التي لا تحتمل التأويل والاختلاف ، وتلك الامور لا نستمع فيها لرأي ولا مشورة أما بالنسبة للأمور النظرية

والفكرية التي يدخل فيها الهوى الشخصي وتحتمل تعدد الآراء فان التشريع قد جاء ليحمينا من تلك الأهواء التي تدعو إلى الاختلاف والمصلحة الشخصية ، ولقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء فيما يختص بهذا التشريع الذي تختلف فيه الأهواء فقط .

٣ ـ السنن القولية أو الفعلية التي صدرت عن الرسول ودلت القرائن على أنها صدرت منه بناء على ظرف خاص أو عرف خاص ، أو مراعاة لمصلحة خاصة لا تعد تشريعا عاما لكل بيئة في أي زمن ، روى مسلم والبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « خالفوا المشركين ، وأحفوا الشوارب وفروا اللحى » .

وفي عبارة الحديث ما يدل على أنه تشريع قومي زمني ، وليس إلزاما بشعار ثابت دائم ، ولو كان من عادة المشركين في عهد الرسول توفير اللحي وإعفاء الشوارب لقال الرسول وفروا الشوارب وأحفوا اللحي .

في مواجهة أعداء السنة :

أخي القارىء : إن أعداء الاسلام بدءا من غلاة المستشرقين والملحدين وانتهاء بكل ضال أو مضل في الشرق أو في الغرب يحاولون النيل من الحديث النبوي والسنة المشرفة بالتشكيك فيها والزعم بأنها من نسيج روايات الرواة حتى أنهم تطاولوا على أصدق كتاب بعد كتاب الله باتفاق علماء الاسلام وهو « صحيح البخاري » وشككوا في رواة البخاري كما فعل المستشرق المجري (جولد زيهر) حينما طعن في أبي هريرة وفي كل ما يتصل بالسنة ، والواقع أن أمثال هؤلاء حينما يحاولون تحطيم السنة النبوية إنما يهدفون إلى هدم التشريع الاسلامي كله ، فلا يمكن تصور البناء الاسلامي بغير أقوال وأفعال وتقريرات نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام الذي وصفه رب العزة في قرآنه الكريم بقوله : (**وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى**) النجم/٣ و ٤ . وإن مجرد النظرة إلى دور السنة النبوية في تشريع كل ما يتصل بالدين يجعل المرء يدرك أن السنة هي الأساس الثاني للتشريع وفيما يلي أمثلة سريعة سيجد الناس فيها أي جناية ترتكب ضد الاسلام إن هم استمعوا إلى هؤلاء الحاقدين والجاهلين : ـ

أ ـ **في العبادات** : شرعت السنة الطهارة والتيمم والمسح على الخفين وبينت عدد ركعات الصلاة ومواقيتها ، وانه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وبينت أيضا كيفية صلاة الجمعة وصلاة العيدين وصلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء والجنازة وأحكام الأذان ومبطلات الصلاة وأحكام السهو والجمع بين صلاتين في السفر وأحكام صلاة القصر .

ـ وفي الزكاة حدد النصاب والمقدار الواجب إخراجه وأحكام صدقة الفطر وما يجب في الركاز .

ـ وفي الصيام شرعت كفارة الفطر

المتعمد في رمضان وأحكام الحامل والمرضع والأعمال الشاقة .

ـ وفي الحج جاء الحديث الشريف « خذوا عني مناسككم » رواه مسلم والترمذي .

ب ـ في المعاملات : ـ حرم الرسول بيع الخمر والميتة والأصنام وبيع الغرر والمرأة ، وحرم النجش وبيع الثمرة قبل بدو صلاحها وبيع ما لا يملك .. الخ .

وشرع خيار البيع وبين أحكام الشفعة والسلم والرهن وحرم الاحتكار وبين أحكام الشركات والقراض والهبة والوقف والاجارة والاعارة والربا ..الخ .

جـ ـ في حقوق الأسرة : بين الرسول أن الثيب أحق بنفسها ، وأن البكر يستأمرها أبوها ، وأوجب الزواج على الشاب المستطيع ، وحرم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها قياسا على تحريم الجمع بين الأختين ، ونهى عن نكاح المتعة وبين أحكام الطلاق وبين أن الوصية تكون في الثلث .. الخ .

د ـ في الحدود : بين حكم الردة والزنا وشرب الخمر والديات .

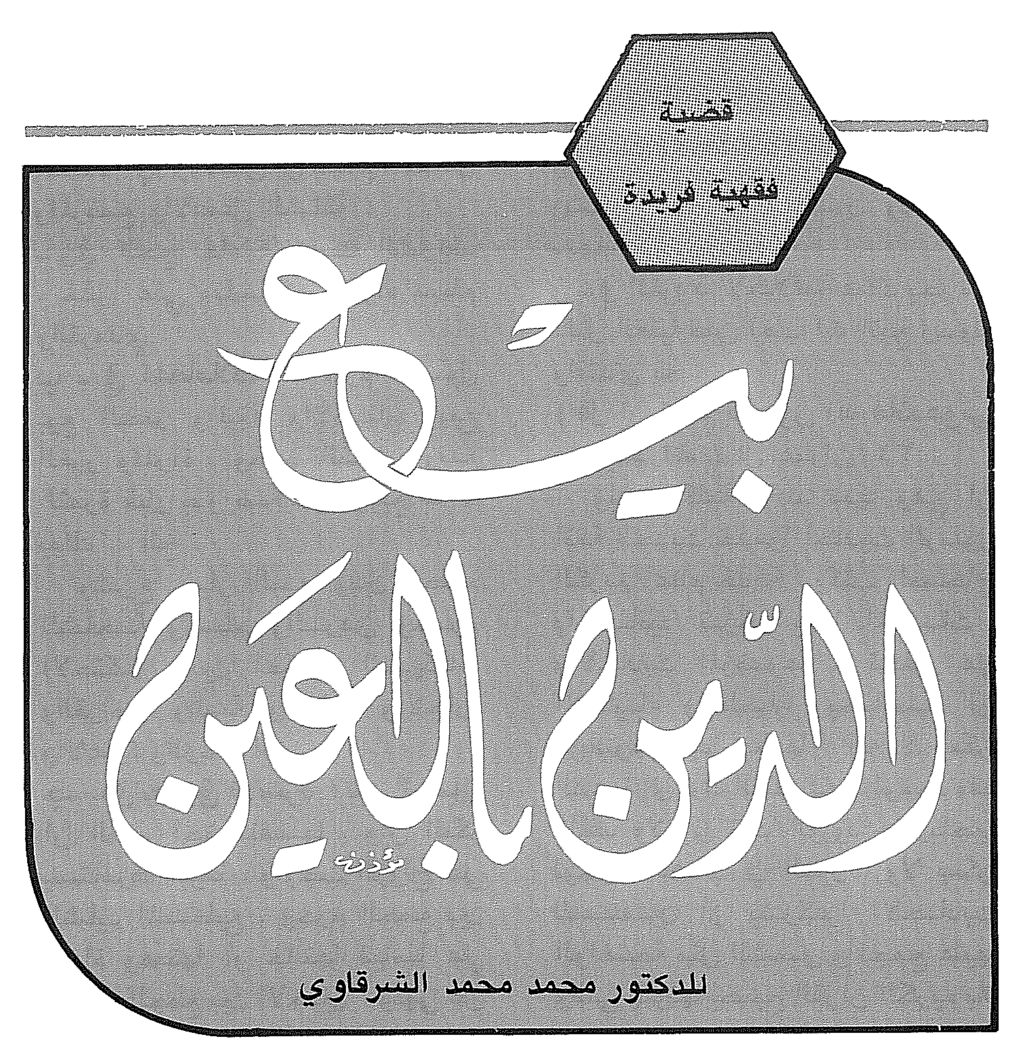
هـ ـ في الحلي والثياب : حرم الحرير والذهب على الرجال والأكل في صحاف الذهب والفضة والشرب في أوانيها ، وحرم الحمر الأهلية وما له مخلب من الطير وناب من الوحوش وحرم قليل الخمر قياسا على كثيره ، كما حرم كل مسكر ومخدر ومؤثر في العقل قياسا على الخمر .

و ـ في الجهاد : بين أحكام شهيد الدنيا والآخرة وشهيد الدنيا فقط والآخرة فقط ، وحرم التمثيل بالقتلى وشرع للفارس سهمين وللراجل سهما ... الخ .

ز ـ في الثروة الأخلاقية هناك بحر من المثل العليا فمن أحب الله اتبع رسوله واقتدى به .

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) آل عمران/ ٣١ .

وبقيت كلمة لا بد منها وهي أن أئمة الحديث خدموا أحاديث الرسول الكريم أعظم خدمة ، وكتب الصحاح والمسانيد تزخر بها المكتبات ، والأحاديث الموضوعة لا تخفي على الأذكياء والعلماء وبخاصة أن موضوعها يدل عليها . إنه لا يمكن الدعوة إلى ترك النقد الجيد لوجود نقد زائف ولا إلى ترك الورود والرياحين لوجود أعشاب في الطين ، ولا يمكن للمسلمين أن يتركوا الأحاديث الواضحة مثل الشمس والمجمع عليها والتي بدونها يصبح القرآن الكريم بلا مضمون بدعوى الأحاديث اللاغية التي تفضح نفسها ، ورحم الله العلامة « الشاطبي » الذي ذكر في كتابه (الموافقات) أن الاقتصار على الكتاب رأى قوم لا خلاق لهم خارجين على السنة إذ عولوا على أن الكتاب فيه بيان كل شيء فاطرحوا أحكام السنة ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله ، ورحم الله الامام الشافعي ـ الذي قال عن المنكرين للسنة « إن هؤلاء ليسوا من الاسلام في شيء » وصلى الله على صاحب السنة الشريفة أفضل صلاة وأزكى سلام .



حكمة مشروعية البيع بصفة عامة أعرف من أن تعرف ، وأوضح من الشمس في رابعة النهار والبدر في ليلة التم والازدهار .. لأن كل انسان له حاجة إلى ما في يد الآخر غالبا ، وقد لا يبذل العطاء ، ولا يرفد الصحاب .. فمست الحاجة الى تبادل ما في الأيدي ، وتناول ما عند الآخرين ، بمقابل مدفوع ، باذن مشروع .. فكان لا بد من البيوع التي عرفتها اللغة : بأنها تمليك مال بمال وزاد فيها الشرع بالتراضي لاعلى وجه التبرع .. أخرج ابن ماجة وابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم (انما البيع عن تراض) والحديث الشريف تفسير لقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم**) النساء / ٢٩ . لان الحديث عبر عن التراضي بأداة الحصر وهي انما ونتيجة ذلك ان كل بيع خلا من الرضا فهو بيع باطل عند الله تعالى لا يحل تعاطيه .

وقد أحاطت الشريعة البيع الصحيح بضوابط وشروط لا بد من مراعاتها حتى لا يدخل تحت طائلة

النهي والحظر الشرعي منها : عقل البائع وتمييزه ، والمال المتقوم المقدور التسليم ، والملك والولاية على كل من الثمن والمثمن .. وفي الحديث الشريف (ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل : « أي الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور ») رواه البزار وصححه الحاكم .. قال الحافظ ابن حجر : « وفوق ذلك ما يكسبه الرجل من أموال الكفار بالجهاد وهو مكسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أشرف المكاسب لما فيه من إعلاء كلمة الله تعالى » ومعلوم أن كسب الجهاد نوع من عمل الرجل بيده .. فهو داخل في عموم كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم .

ومن أهم شروط البيع المصححة له شرعا ، وجود المبيع فعلا وواقعا . حتى ينتفي الغرر والجهالة المفضية الى النزاع .. فنهى عن بيع حبل الحبلة كما في الحديث المتفق عليه ومعناه أن يشتري الرجل حمل ولد الناقة من دون اشتراط الولادة ، وعلة النهي كما اشار اليه البخاري حيث صدر الباب ببيع الغرر : هو كونه بيع معدوم ومجهول وغير مقدور على تسليمه .. وكان بيعا شائعا في الجاهلية ، فأبطله الشرع وعن ابي هريرة عند مسلم « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر) وبيع الحصاة يشبه القمار .. لأنه بيع ما تقع عليه الحصاة التي يقذفها البائع على مجموعة من السلع المرصوصة بثمن واحد ولفظ الغرر يشملها .. وانما خصت بالذكر لشيوعها في زمان صدور الحديث ، والغرر معناه الخداع .. ويتحقق في صور منها : عدم القدرة على التسليم حالا .. اما لكون المبيع غائبا غيبة بعيدة او معدوما ، او مجهولا في قدره ونوعه ، وقد يعفى عن بعض الجهالات التي لا تفضي الى ضخامة حجم الجهالة .. ولا تؤدي الى نزاع عادة ويجري بها العرف ، مثل الاجارةشهرا مثلا مع انه قد يكون ثلاثين يوما او تسعة وعشرين وبيع ثوب مبطن لا ترى بطانته ، ودخول حمام لا يدري كمية الماء المستهلك فيه ونحو ذلك .. واجمعوا على بطلان بيع الاجنة في بطون امهاتها ، والطيور في اجوائهاوالاسماك في امواهها .. وعن بيع الثمار في البساتين قبل ظهورها اذا تعينت اشجارها ومن صور الجهالة والغرر استثنيت وبرزت في افق الفقه صورة فريدة في بابها .. كثيرة في تداولها ، وهي بيع المحاصيل الزراعية وقيس عليها غيرها كما سنبين ـ وذلك قبل زراعتها وقبل حرث الارض لها .. واتخاذ الاهبة لانتاجها .. أي إنه يجوز شرعا بيعها بأي مقدار معلوم في كمه وجنسه ونوعه مما تنتجه الأرض ويدخل فيها ثمار النخيل وغيرها ، وهي لما تزل شائعة في ضمير الغيب .. على ان يسلم ثمنها في مجلس العقد او قريبا منه بيوم او بيومين ـ كما يرى المالكية ـ وذلك نظرا للحاجة الاجتماعية الماسة الى شرعية هذا اللون من التعامل .. فان الناس .. بين غني بماله .. فقير بخبرته .. وبين خبير

بزراعته .. مقل في امكانياته .. فكان لا بد من التعاون المثمر بين طرفي المجتمع حتى لا تتعطل الأعمال ، ويقع الناس في الحرج . فشرع ما سمى ببيع (السلم) وحقيقته شرعا : بيع موصوف في الذمة ببدل مالي يدفع عاجلا ، ولم يخالف في شرعيته الا ابن المسيب .. وهو بهذا مخالف لاجماع الفقهاء فلا عبرة بخلافه واتفقوا على انه يشترط فيه ما يشترط في البيع المطلق من شروط الصحة والنفاذ ، وعلى ضرورة تسليم البدل النقدي في نفس مجلس العقد .. ومالك رحمة الله تسامح في تأخيره يوما او يومين ، ولا بد من تقديره بكيل معلوم او وزن معلوم .. فان لم يكن مما يكال ويوزن .. ذكر عدد معين ، ووصف يزيل الجهالة ، ويرفع النزاع .. والسلم من هذه الزاوية مخالف للقياس لأنه بيع المعدوم وعقد على الغرر .. ولكن القياس ترك اعتباره لما ورد فيه من احاديث خاصة منها .. ما أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين فقال : من أسلف في ثمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم » وفي لفظ البخاري : « من اسلف في شيء » وهو اعم من الثمر ، وروى البخاري عن عبدالرحمن بن ابزي ، وعبدالله بن ابي اوفى قال : (كنا نصيب المغانم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يأتينا انباط الشام - أي زراع من الشام - فنسلفهم في الحنطة والشعير والزبيب .. وفي رواية والزيت الى أجل مسمى قيل : أكان لهم زرع . . قالا : ما كنا نسألهم عن ذلك » وقد استدل جمهور الفقهاء بالاحاديث السالفة الذكر على شرعية السلم وعلى انه على خلاف القياس لانه بيع المعدوم لان المقصود الأصلي في البيع هو المثمن لا الثمن وهذا اولى من قياسه على البيع بالثمن المؤجل .. ولكن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وهو ترجمان القرآن .. قد رأى ان السلم قد ثبتت شرعيته بالكتاب العزيز فضلا عن السنة الصحيحة فقد أخرج الحاكم في المستدرك بسنده وصححه على شرط الشيخين عن قتادة عن ابي حسان الأعرج عن ابن عباس قال : « اشهد ان السلف المضمون إلى أجل مسمى - وهو السلم - قد أحله الله في الكتاب وأذن فيه وأنزل فيه أطول آية في كتابه .. وتلا قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين إلى اجل مسمى فاكتبوه**) البقرة / ٢٨٢ .. والجمهور على ان هذه الآية الكريمة في عموم الديون كلها سواء كانت سلما ام غيره والمقصود بها الارشاد الى الاستيثاق بكتابة الديون التي تحل في الذمة خوفا من النسيان او الجحود ودفعا للنزاع والشغب ، وفي كتاب الهداية جـ ٥ ٣٢٤ (والسلم جائز في المكيلات والموزونات والمراد بالموزونات ما عدا الدراهم والدنانير لانها اثمان » والمسلم فيه لا بد ان يكون مثمنا لا ثمنا ويصح كذلك في المذروعات - اي ما يمكن

ضبطه بالاذرع كالثياب مع ذكر صفتها وطريقة صناعتها ، ويصح كذلك في المعدودات المتقاربة الآحاد كالبيض الحاقا بالمكيلات والموزونات ، والكبير والصغير سواء لاصطلاح الناس على اهدار التفاوت في ذلك بخلاف البطيخ والرمان لتفاوت آحاده تفاوتا فاحشا .. ولا يجوز في الحيوان لتفاوته في المعاني والأوصاف تفاوتا فاحشا ، ولا بأس بالسلم في الطوب وكل ما امكن ضبط صفته ومعرفة مقداره .. ولما كان كثير من أصحاب رؤوس الأموال يلجأ الى الابتزاز والحاق الضرر بالمزارعين الفقراء .. فيشتري منهم الى أجل .. بثمن بخس يلحق بهم الاذى مستغلا فيهم ضعف الامكانيات ، وقلة ذات اليد .. فيضطرون اضطرارا الى قبول الاثمان الزهيدة ، وبذل المبيعات القيمة .. كان لا بد من التنبيه الى ضرورة تحقيق العدل في التقدير ، وتقوى الله في معاملة المحتاجين .. وان نضع في الاعتبار القاعدة العامة لتنظيم التبادل بين الناس في اي قطاع من قطاعات البيوع ، وهي قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« انه لا يحل مال امرىء الا بطيب من نفسه » رواه احمد .. وطيب النفس في هذا الحديث هو المعادل للتراضي المشروط في كل عمل تجاري يجري فيه التعامل بين الناس .. والتراضي عمل من اعمال القلوب وهو خفي لا يمكن الاطلاع عليه الا بدليل ظاهر .. وليس يكفي فيه مجرد النطق بالايجاب والقبول ، فقد يكون ذلك تحت ضغوط مختلفة .. وانما المهم فيه توفير الضمانات الكافية لتحقيق الانصاف بين البائع والمشتري ولا سيما في جانب السلم ، وذلك بمراعاة الاسعار السارية بين الغالبية من المتعاملين ، والتي ينتفي فيها الجشع والاضرار بالناس ، وفي الحديث الشريف « لا ضرر ولا ضرار » رواه احمد وابن ماجة وهي قاعدة عامة تنطوي فيها كل انواع التصرفات وبعد فقد تبين لنا من خلال هذه العجالة :

١ ـ ان شرط صحة البيع انتفاء الجهالة والغرر بصفة عامة سواء الثمن في جانب الثمن أم في جانب المثمن ليقوم التعامل بين الناس على اساس من الصراحة والوضوح والبعد عن الخداع والغش والتدليس .

٢ ـ انه استثنى من هذا الشرط بيع السلم الذي هو بيع أي أصناف يمكن وصفها وتحديدها في الذمة وصفا ، وكما ، ونوعا ، وعددا ، وكيفية حتى تزول الجهالة المفضية الى التنازع والخصومة بشرط دفع الثمن حالا .

٣ ـ ان بيع السلم على خلاف القياس اصلا ، ولكن ترك هذا الاعتبار وابيح التعامل فيه مراعاة لمصلحة ارجح وهي الحاجة الداعية الى انتفاع الغني بخبرة الفقير ، والفقير بمال الغني فشرع بالسنة ..

٤ ـ انه لا بد حين تسعير الاصناف من مراعاة التقوى والرحمة بحيث يكون السعر مما ينتفي به الجشع ومما يدخل تحت تقويم المقومين بلاابتزاز ولا استغلال ولا قسوة

ثبوت النسخ في القرآن الكريم

للاستاذ / مصطفى عبد الله العريس

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم عالمين بأحكام الدين الناسخة منها والمنسوخة في معظمهم لمعاصرتهم من الابتداء لنزول تلك الاحكام ، وحضورهم في غالبهم اوقات نزول الوحي والاحكام والتشريع من قرآن وأحاديث . وقد حرصوا على نقل كل ما علموه من امور الدين الى من بعدهم من التابعين ومن جملتها كل ما يتعلق بالنسخ في الكتاب والسنة . رغبة في ان يؤدوا ما اؤتمنوا عليه من الدين وفي ان يكون لهم نصيب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المرغب في نشر العلم وتعليمه القائل : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له » رواه البخاري .

لقد سمعت ان بعض العلماء المعاصرين انكروا وقوع النسخ في بعض احكام الشريعة الاسلامية ولم يسلموا بما أتي به المتقدمون من الادلة على وقوع النسخ في القرآن والحديث ، وراحوا يفسرون الآيات والأحاديث الدالة على وقوع النسخ تفسيرا خاطئا بعيدا عن الصواب والحقيقة ، فاستغربت ما سمعت عنهم ، ورغبت في الرد عليهم بايراد ما اثبته العلماء الاعلام في حقيقة وقوع النسخ في الشريعة الاسلامية وفي الشرائع قبلها ، لأن نسخ بعض الأحكام هو من سنة الله في شرائعه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، لذلك اقول :

ان العلماء الذين يقرون بوقوع النسخ يرون ان نسخ بعض الاحكام

في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من الحكمة الدقيقة في تدرج التشريع تبعا لتطور الفطرة ومتطلبات الحياة ، للانتقال بالمكلف من حسن الى أحسن ومن قويم الى اقوم ، ومن واجب فرض الى اباحة مستحبة ، ومن اباحة الى تحريم ، ومن تحريم محدد الى تحريم مطلق ، وهكذا .. وان النسخ في القرآن كان بالقرآن ، وفي السنة بالسنة ، وفيما بينهما ايضا لوحدة علاقة الوحي فيهما مع التفاوت بينهما . والله سبحانه وتعالى يقول : **(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)** البقرة ١٠٦ .

لقد كان القرآن يوحي به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باللفظ والمعنى جميعا ، فوجبت المحافظة عليه لفظا وترتيبا وترتيلا . والسنة كان يوحى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله تعالى بالمعنى واللفظ تارة كما في بعض الاحاديث القدسية ، وتارة بالمعنى فقط دون اللفظ كما في باقي الاحاديث النبوية التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغها للناس بما أوتي من جوامع الكلم وحسن الاختيار عليه الصلاة والسلام . والقرآن والسنة كلاهما جميعا وحي من الله تعالى ، عليهما تقوم أسس الشريعة الاسلامية ، يقول الله جل جلاله في ذلك : **(وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى)** النجم ٣ و ٤ . ويلزمنا الله سبحانه بهما بقوله : **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب)** الحشر/٧ . والآيات بهذا المعنى في القرآن كثيرة .

ولما كانت احكام الشريعة الاسلامية نزلت في القرآن الكريم مجملة غالبا وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مفصلة واضحة . ولما كان في هذه الاحكام ما هو ناسخ وما هو منسوخ ، فانه لن يتوصل احد الى معرفة الاحكام المقررة الثابتة في الشريعة إلا اذا كان له معرفة وإلمام بالناسخ والمنسوخ .

لقد كان الصحابة الكرام عالمين باحكام الدين ناسخه ومنسوخه لانهم عاصروا الوحي من ابتدائه ، ومن تأخر اسلامه منهم أخذ هذا العلم عن السابقين في الاسلام ، فكانوا يسألون بعضهم بعضا ويتلقون عن بعضهم البعض فيما غاب عنهم أخذ ه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يكن هذا حال المتأخرين في الاسلام بل كان هذا شأن الذين يتعاطون الصفق في الاسواق ايضا عندما يفوتهم امر حكم من الاحكام لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان كل واحد منهم مدرسة او استاذا للآخر .

الشافعي واضع اسس النسخ :

والعلماء الأوائل بعد الصحابة رضوان الله عليهم عنوا بالتحقيق التام والبحث للوصول الى معرفة الاحكام الثابتة ، فكان لا بد لهم من الالمام بعلم الناسخ والمنسوخ فألفوا في ذلك الكتب القيمة فسهلوا الكثير على المتأخرين .

وان اول من اهتم من هؤلاء العلماء وكتب في النسخ في الشريعة الاسلامية هو الامام محمد بن ادريس الشافعي صاحب المذهب رضي الله عنه . فاثبت ذلك في كتابه : الرسالة ، وان كان الامام الزهري قد سبقه بشيء من هذا ولكن الشافعي لخصه وامعن فيه . جاء في كتاب الاعتبار للهمداني ص ٣ ما يثبت ذلك بما يأتي :

لا نعلم احدا جاء بعد الزهري تصدى لفن الناسخ والمنسوخ ولخصه وأمعن فيه وخصصه الا ما يوجد من بعض الايماء والاشارة في عرض الكلام عن احد الأئمة ، حتى جاء ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه ، فانه خاض تياره وكشف اسراره ، واستنبط معينه واستخرج دفينه واستفتح بابه ورتب ابوابه .

الامام احمد بن حنبل يشهد بذلك أيضا للشافعي رضي الله عنهما .

اخبرنا الامام ابو عبد الله الحسن ابن العباس الفقيه في كتابه عن ابي مسعود الحافظ انا احمد بن عبد الله ثنا محمد بن حميد بن سهل ثنا عبد الله بن محمد بن ناجية قال : سمعت محمد بن مسلم بن وارة قال قدمت من مصر فأتيت ابا عبد الله احمد بن حنبل اسلم عليه فقال لي : كتبت كتب الشافعي رضي الله عنه ؟ قلت لا . قال : فرطت . ما علمنا المجمل من المفسر ولا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه حتى جالسنا الشافعي رضي الله عنه .

ان لعلم الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة كبرى في التشريع الاسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة الشريفة فهما مصدر الاحكام ومنشؤها . ولا يستطيع احد ان يعلم الاحكام ويتثبت منها ان لم يحط بهذا العلم ، وهو فن مستصعب كتب فيه الكثيرون فأعياهم ، لذلك انكره من انكره لصعوبته عليهم ففضلوا انكار وجوده على التمرس والالمام به .

شهادة الامام الهمداني بصعوبة علم النسخ .

يقول ابو بكر الهمداني في كتابه الاعتبار : ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنسوخه علم جليل ذو غور وغموض ، دارت فيه الرؤوس وتاهت في الكشف عن مكنونه النفوس ، وقد توهم بعض من لم يحظ من الآثار الا بأثار ، ولم يحصل من طريق الاخبار الا الاخبار ، ان الخطب فيه جلل يسير غير كثير ، ومن أمعن النظر في اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم في الاحكام المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، اتضح له ما قلناه . ويشهد لصحة ما رسمناه ، ما اخبر به ابو موسى محمد بن عمر الحافظ انا ابو علي الحسن بن احمد انا ابو نعيم ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحق ثنا عبدالله بن سعد ثنا هارون بن معروف ثنا عمر بن رجاء ابن ابي سلمة عن ابن رزين قال : سمعت الزهري يقول : أعيى الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من

منسوخه .

الله يأمر بالأخذ عن رسوله القرآن والسنة جميعا .

اوضح الله سبحانه وتعالى للناس احكام الاسلام على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن تارة وبالحديث تارة اخرى ، فانه سبحانه جل شأنه انزل القرآن هداية للناس ومعجزة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم معجزة باهرة باقية خالدة ، ثم اعطاه السنة وهي الحكمة التي ذكرها في كتابه العزيز بقوله :(**كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة**) البقرة/ ١٥١ .

اعطى الله رسوله السنة مفصلة ومفسرة وشارحة للكتاب واثبت ذلك بقوله جل جلاله : (**وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون**) النحل/ ٤٤ .

وتمم تعالى شريعته بالقرآن والسنة بعد ان بدل جل وعلا بعض هذه الاحكام ومحا واثبت منها ما فيه مصلحة عباده ، من غير سهو منه ولا جهل ولا نسيان ، بل لحكمة أرادها ومنفعة لهم ساقها ، وأمرهم بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في الاخذ والترك ، في العمل بالناسخ وترك المنسوخ من احكام شريعته لأن الرسول هو وحده المكلف بتبليغهم اوامر الله في جميع الاحوال ، فيقول تعالى : (**من يطع الرسول فقد اطاع الله**) النساء/ ٨٠ . ويقول : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) ويقول كذلك :(**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**) آل عمران/ ٣١ .

لذلك كله يتحتم علينا ان نعتمد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في تشريع الاحكام وتثبيتها ومعرفة ناسخها من منسوخها ، كما نعتمد القرآن الكريم في اصول هذه الاحكام ومنشئها . لأن الاصول في القرآن والتفصيل في السنة . فالله تعالى اعطى نبيه من السنة مثل ما اعطاه من القرآن وخوله تفهيم الناس احكام شريعته بما أوتي من الحكمة وحسن البيان وجوامع الكلام .

لقد صرح الرسول صلى الله عليه وسلم للناس مثبتا لهم ان الله سبحانه وتعالى آتاه من العلم بالوحي ما جاء في القرآن الكريم ، ومثل ما في القرآن في حديثه عليه الصلاة والسلام ، صرح بذلك بقوله : « يوشك رجل متكئا على اريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ، فما وجدناه فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ؛ الا وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » وفي رواية « الا اني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ثلاثا .. ألا يوشك رجل شبعان على اريكته ....» رواه ابو داود والترمذي وغيرهما .

لقد بين عليه الصلاة والسلام بحديثه هذا انه لا عذر لمن يريد ان يرجع في الاحكام من تحليل وتحريم فيها الى ما في القرآن فقط ، وكذلك يبين ان ما ثبت من تحليل او تحريم في حديثه له نفس المكانة والمنزلة للذي ورد في كتاب الله تعالى وان كلا من

الكتاب والسنة مرجع للاحكام جميعا ، بل ان ما اجمل من الاحكام في القرآن الكريم ، لا يعلم تفصيله إلا من سنته عليه الصلاة والسلام ، إذ أن كلا من القرآن والسنة متمم للآخر خصوصا في ناسخ الاحكام ومنسوخها .

تعريف النسخ والناسخ والمنسوخ

يطلق النسخ في اللغة على معان كثيرة :

١ ـ إزالة الشيء واعدامه من غير حلول آخر محله نحو قولهم : نسخت الريح آثار الاقدام . اي اتت عليها ومحتها ومنه قوله تعالى : (**فينسخ الله ما يلقي الشيطان**) الحج/٥٢ .

٢ ـ إزالة الشيء وابداله بآخر ومنه قوله تعالى : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) . ومنه نسخ الشيب الشباب .

٣ ـ نقل الشيء من مكان الى مكان مع بقائه في نفسه . ومنه تناسخ المواريث بانتقالها من قوم الى قوم والميراث قائم . ومنه نسخ الكتاب .

والمعول عليه هو ان النسخ : حقيقة في الازالة مجاز في النقل .

يثبت ذلك ان الله تعالى لما خاطب عباده في القرآن الكريم خاطبهم بما يفهمون من لغتهم العربية . فلما اراد ان يبين لهم ان النسخ جائز وواقع بقدرته قال جل وعلا لهم :(**ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها**) وننسخ معناها نزيل . كما عبر سبحانه عن النسخ بالتبديل في قوله (**واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل**) . النحل/١٠١ والتبديل انما يكون برفع الآية والاتيان بغيرها بدلا عنها او رفع الحكم والاتيان بغيره . ولا معنى للازالة الا هذا لأنه لا يجمع بين البدل والمبدل عنه .

واذا استعمل القرآن هذه المادة في غير معناها الحقيقي فلأن الاجماع قائم على ان القرآن جاء بما تعرفه العرب من لغتهم واتى باعلى المراتب في فنون القول ، وتنقل بين الحقيقة والمجاز والأطناب والايجاز . وعلى هذا فالنسخ معناه : رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر .

وبالنسبة لله تعالى وهو المشرع فالنسخ بيان منه لانتهاء امد الحكم واظهار ذلك للمكلفين . والناسخ حقيقة هو الله تعالى . فيقال : نسخ الله فهو ناسخ (لجواز تسميته بما يشتق من اسمائه عند البعض اذا لم يوهم نقصا) ومنه قوله تعالى :(**فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته**)

والناسخ مجازا قد يطلق على الآية فيقال مثلا : آية السيف نسخت آية الصبر والمرابطة وكذلك يطلق على كل طريق يعرف به نسخ الحكم من خبر الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره . وقد يطلق النسخ مجازا على الحكم فيقال : وجوب صوم رمضان نسخ وجوب صوم عاشوراء فهو ناسخ .

تعريف المنسوخ والناسخ :

المنسوخ هو الحكم المرتفع طلب

فعله عن الأمة بالقرآن أو السنة . فما كان ارتفاع حكمه بالقرآن : كارتفاع وجوب تقديم الصدقة بين يدي مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وارتفاع وجوب ثبات المقاتل الواحد امام العشرة في القتال بقوله تعالى :(**الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين**) الانفال/٦٦ . وغير ذلك كثير .

وما كان ارتفاعه بالحديث : كارتفاع وجوب الوضوء مما مست النار . روى جابر قال : آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم « ترك الوضوء مما مست النار » وغير ذلك كثير أيضا .

فكل ذلك (الأوامر الأولى) نسخ برفع وجوبه عن الأمة فهو منسوخ اما بايجاب بديل ، واما من شدة الى سهولة ، او من سهولة الى شدة وذلك لمنفعة عاجلة او آجلة ولحكمة يعلمها الله تعالى . فالاوامر المبدلة هي المنسوخة ، والاوامر الاخيرة الثابتة هي الاحكام الناسخة .

وقوع النسخ في الشرائع السابقة .

ان ادلة القرآن وشواهده ليست دليلا على وقوع النسخ في الشرع الاسلامي فقط بل هي دليل وشاهد على وقوعه ايضا في الشرائع التي سنها الله تعالى لعباده منذ انزل الشرائع للناس يقول تعالى : (**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**) المائدة/٤٨ فالشرائع السابقة كانت متعبدا للأمم السالفة والشرائع آيات في كتب او صحف وهذه الأيات قابلة للنسخ ، يدلنا على ذلك قوله تعالى :(**ما ننسخ من آية**) وليس في هذه الآية القرآنية تخصيص النسخ بشريعة الاسلام فقط بل هي عامة . ودليلنا قصة الذبيح اسماعيل مع ابيه ابراهيم عليهما السلام فالآية صريحة في قوله تعالى :(**وفديناه بذبح عظيم**) الصافات/١٠٧ فقد كان الحكم اولا : الأمر بالذبح ثم نسخ حكم الذبح بالفداء فكان الفداء ناسخا للذبح .

وعصا موسى عليه السلام كانت آية لابطال سحر السحرة ولاخافة فرعون بانقلابها ثعبانا عظيما . فلما بطل السحر وانتهى بايمان السحرة ، وقتل فرعون لهم ، اصبحت العصا آية لشق الطريق في البحر ، ليجوز بنو اسرائيل من مصر الى سيناء تخلصا من حكم فرعون ، ثم اصبحت ايضا اداة لانباع الماء بضرب الحجر بها وغير ذلك من الآيات الواردة في القرآن الكريم عن الأمم السابقة وفيها النسخ في أحكامها .

نسخ شريعة الاسلام لما سبقها من الشرائع :

ان الأدلة على نسخ شريعة الاسلام للشرائع المتقدمة عليها كثيرة واضحة نذكر بعض ما جاء منها في القرآن الكريم . يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (**وما أرسلناك الا كافة للناس**

بشيرا ونذيرا) سبأ/٢٨ .

فارسال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا بشيرا ونذيرا للناس كافة هو كف لرسالة من قبله من الرسل وانهاء لنظمهم وشرائعهم المنزلة للناس من عند الله ، وهذا الخبر بطبيعته نسخ لما سبقه من اخبار واوامر وتثبيت لما حمله الرسول الجديد من أوامر وأحكام . فشريعة محمد صلى الله عليه وسلم هي الأخيرة في النزول للناس وهي المنهية لما سبقها من شرائع وأحكام .

ويقول الله تعالى : **(ان الدين عند الله الاسلام)** آل عمران/١٦ ، ويقول جل وعلا : **(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)** آل عمران/ ٨٥ .

هذا كلام من الله تعالى صريح واضح وأمر جازم للناس ، بأنه يجب عليهم أن ينصرفوا عن الأديان السابقة عن جميع الأديان السماوية منها والوضعية المرفوضة ، ويدخلوا في دين الاسلام لأنه لا دين مقبول عند الله الا الاسلام وان من يتجه الى غيره من الأديان فسيكون من الخاسرين في الآخرة والنادمين أشد الندم . ويقول الله تعالى : **(ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون)** يذكر الله سبحانه وتعالى هذا الكلام في القرآن الكريم عن لسان نبيه ورسوله وخليله ابراهيم عليه السلام ولسان حفيده نبي الله يعقوب ، وهم يوصون أولادهم بالاسلام يقول الله تعالى : **(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون)** البقرة/١٢٧ ـ ١٣٣ . أوردنا هذه الآيات بمضمونها لنبيين ان الله سبحانه وتعالى كان يدعو رسله للاسلام منذ ابراهيم عليه السلام . فالاسلام لم يكن غريبا عن رسل الله تعالى ولا عن أممهم ، وكان مجيئه منتظرا حتى ان الله سبحانه وتعالى كان يأخذ العهد على كل من يرسله قبل محمد صلى الله عليه وسلم بأن يكون من أتباع محمد وأنصاره اذا أرسل في أيامه ، يقول الله تعالى : **(واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على**

ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) آل عمران/ ٨١ .

ويقول الله تعالى كذلك : (**اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** المائدة/ ٣ .

لقد كانت الشرائع للأمم السابقة مقتصرة على نوع من أنواع الأحكام والعبادات ولم تكن شاملة كل الشمول لجميع الأحكام فأتت شريعة الاسلام بجميع ما اشتملت عليه الشرائع السابقة وكتبها وصحفها وفي زيادة عليها كذلك . لذلك وجب أن تكون عامة لجميع الناس ناسخة لشرائعهم ، لأنها ليس فيها نقص ولا تفريط يقول الله تعالى : (**ما فرطنا في الكتاب من شيء)** الأنعام/ ٣٨ . ومما يقوله الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (**قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)** الأعراف/ ١٥٨ .

النسخ في شريعة الاسلام

لقد ثبت لنا أن شريعة الاسلام قد نسخت الشرائع السابقة وأحكامها . وهي أيضا قد وقع فيها النسخ . وقد كان النسخ فيها أنواعا ثلاثة بالنسبة للقرآن الكريم والسنة الشريفة ، لذلك كان نزول القرآن الكريم على قلب محمد عليه الصلاة والسلام منجما ولم ينزل دفعة واحدة ، فكانت الأحكام تنزل من عند الله تدريجيا لينسخ ما ينسخ ويثبت ما يثبت .

أنواع النسخ الثلاثة في القرآن الكريم :

النوع الأول : نسخ الحكم والتلاوة .
النوع الثاني : نسخ التلاوة مع بقاء الحكم .
النوع الثالث : نسخ الحكم مع بقاء التلاوة .

فالحكم الذي نسخ وبقيت تلاوته يعرف نسخه بتلاوة الحكم الجديد . والآيات التي نسخ حكمها وبقيت في القرآن الكريم . تبقى تلاوتها عبادة وفيها الأجر . مثالا لذلك قوله تعالى : **(يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين)** الأنفال/ ٦٥و٦٦ .

لقد كان الحكم الأول بوجوب صمود العشرة أمام المائة والمائة أمام الألف ثم خفف الحكم وأصبح وجوب الصمود للمائة أمام المائتين وللألف

أمام الألفين فقط ورغم أن الحكم نسخ فقد بقيت تلاوة الحكم الأول وثبتت في القرآن . وفي تلاوتها أجر كتلاوة غيرها من القرآن .

نسخ الحكم والتلاوة

ان مما نسخ حكمه وتلاوته لفظ الحكم بالاتجاه في الصلاة الى بيت المقدس في ابتداء الأمر . فان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين كانوا يتجهون في صلاتهم الى بيت المقدس ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في صلاته في مكة المكرمة جاعلا الكعبة بينه وبين جهة بيت المقدس ، ولما هاجر للمدينة صار يتجه لبيت المقدس وهو يطمع في أن يتغير هذا الاتجاه الى الكعبة الشريفة يوما ما ، ويطيل نظره الى السماء راجيا أن ينزل عليه الوحي بما يطمع ويرجو . والله تعالى يقول له في ذلك : **(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها)** البقرة/ ١٤٤ .

ولما لم ينقل الينا لفظ حكم الاتجاه في الصلاة الى بيت المقدس ، ولما كان اتجاه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم في صلاتهم الى بيت المقدس لا يكون الا عن أمر من الله سبحانه وتعالى ، ولما كان الله تعالى يشهد لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه فيما يبلغه للناس - لا ينطق عن الهوى ، بل هو وحي من الله يوحى في قوله تعالى : **(وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى)** النجم/٣و٤ . لكل هذه الأسباب نقول : انه لا بد من أن يكون هناك وحي وقرآن من الله تعالى في وجوب الاتجاه في الصلاة الى بيت المقدس ، ولكنه نسخ ذلك من القرآن ونسخ معه كذلك حكم الاتجاه ، وجاء الناسخ بوجوب الاتجاه في الصلاة الى الكعبة الشريفة وهذا ما كان يتمناه النبي عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى : **(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون)** البقرة/ ١٤٤ .

نسخ التلاوة مع بقاء الحكم

ان مما يتناقله الرواة أن حكم الزناة كان معلوما بلفظ : (الشيخ والشيخة اذا زنيا فاجلدوهما البتة نكالا من الله) . وان مثل هذا المعنى وهذا الحكم موجود في القرآن الكريم بغير هذا اللفظ . ففي القرآن قوله تعالى : **(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)** النور/ ٢ ، فالتلاوة الأولى نسخت ولم تعد قرآنا ولا يتعبد بتلاوتها ، وبقى الحكم الذي يدل على لفظها ثم نسخ وتطور الى أشد في بعض الحالات .

ومن الأحكام ما اشترك القرآن والحديث في نسخها وتطورها ، مثال ذلك حد الزنا : فان أول ما نزل في الزناة في القرآن الكريم قوله تعالى : **(واللاتي يأتين الفاحشة من**

نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما) النساء/ ١٥و١٦ .

فاذا زنت المرأة بكرا كانت أم ثيبا كان حدها أن ثبت عليها الفعل بشهادة أربعة شهداء ان تمسك في بيتها وتحبس فيه حتى يأتي أجلها فتموت فيه ، أو يجعل الله لها من دون ذلك فرجا بأن ينسخ هذا الحكم بغيره . وأما الزاني ان كان بكرا أي لم يتزوج بعد ، أو كان ثيبا أي تزوج زواجا شرعيا ، فان حده كان الايذاء بالتعنيف والتوبيخ والتعيير حتى يظهر توبته فان تاب تاب الله عليه وخلص من الايذاء .

نسخ القرآن بالقرآن

بعد أن ثبت حكم حد الزناة كما مر تفصيله في الزانية والزاني نزل قوله تعالى فيهما مغيرا الحكم فقال جل جلاله : (**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**) . تغير حد الزنا الى أشد بالنسبة للزاني فان الجلد أمام طائفة من الناس فيه ايلام وتعزير . وأما بالنسبة للزانية فجاء أخف لأن جلدها مائة جلدة أمام الناس وخلوصها من الحبس حتى الموت لا يستويان بالنسبة لها فكان الحكم الجديد فيه تسوية الحد على الاثنين بجلدهما مائة جلدة أمام الناس .

نسخ السنة للقرآن

عندما نزل حكم حد الزنا أول مرة في القرآن الكريم ثم نزل تعديله مرة ثانية فنسخ الحكم الأول بالحكم الثاني صار عند الناس أمل في تكرار التعديل وتجديد النسخ وأخيرا صدر تعديل هذا الحكم وتبديله بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نصه : « خذوا عني خذوا عني خذوا عني : قد جعل الله لهن سبيلا (جوابا لقوله تعالى : (**أو يجعل الله لهن سبيلا**) » : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » سنن الدارمي ٢/ ١٨١ . ثم نسخ الجلد للثيب وبقى الرجم فقط ، ثبت ذلك أيضا بالحديث لا بالقرآن . فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث التالي : حدثنا عبدالله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد « رضى الله عنهما » أنهما أخبراه أن رجلين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما : اقض بيننا بكتاب الله وقال الآخر وهو أفقههما : أجل يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله وأذن لي أن اتكلم . قال « تكلم » قال : ان ابني كان عسيفا على هذا (خادما في أهل

بيتـه) - (قـال مـالـك والعسيف الأجير) فزنى بامرأته ، فأخبرني ان على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة وجارية لي ، ثم سألت أهل العلم فأخبروني أن ما على ابني : جلد مائة وتغريب عام وانما الرجم على امرأته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ، أما غنمك وجاريتك فرد عليك ، وجلد ابنه مائة وغربه عاما . وأمر أنيسا الأسلمي أن يأتي امرأة الآخـر فان اعتـرفت فـارجمهـا » فاعترفت فرجمها . رواه البخـاري وروى مثله أحمد ومسلم .

والنسـخ كمـا ثبت وجـوده في القرآن ، أي نسخ القرآن بالقرآن ، كذلك ورد النسخ وثبت في السنة أي نسخ السنة بالسنة .

أنواع النسخ في السنة ثلاثة

أولا : نسخ الحكم واللفظ .
ثانيا : نسخ اللفظ مع بقاء الحكم .
ثالثا : نسخ الحكم مع بقاء اللفظ .

نسخ الحكم واللفظ

ان ما نسخ حكمـه ولفظه من الحديث ، منه ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه ليلة الاسراء والمعراج فرضت عليه الصلاة على المسلمين خمسين صلاة ثم تدنت خمسا فخمسا حتى أصبحت خمس صلوات في اليوم والليلة فالحكم الزائد عن الخمس نسخ مع لفظه .

نسخ اللفظ مع بقاء الحكم :

مثال ما نسخ لفظه وبقى حكمه ، قضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالشاهد واليمين فلا بد وأن يكون له لفظ دال عليه ، ولكنه لم ينقل الينا بل ألقى ونقل الينا الحكم فقط . فانه وان كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتمل فيما يشتمل عليه يشتمل على قوله وفعله ، ولكن موضوعنا هنا يدور حول بقاء اللفظ ونسخه .

نسخ الحكم مع بقاء اللفظ

ان هذا النوع من النسخ في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير . منها قوله عليه الصلاة والسلام : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان في زيارتها تذكرة » أخـرجه مسلم وغيره وفي رواية للنسائي : « ... فمن أراد أن يـزور فليزر ولا تقـولـوا هجرا » .

وفي رواية لابن ماجه : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر بالآخرة » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـد نهى عن ادخار لحـوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام ونهى عن الأشربة في الأوعية التي كانت مظنة التخمر ثم أباح ذلك كله في حديث له فقال عليه الصلاة والسلام : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها . ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم ونهيتكم عن

النبيذ الا في سقاء ، فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مسكرا » رواه مسلم .

فهذه الأحاديث وأمثالها كثير قد نسخت فيها أحكام وثبتت فيها أحكام جديدة نسخت الأحكام القديمة ، وبقى لفظ الأحكام القديمة موجودا ولكن لا يعمل به لانتساخه .

متعة النساء

ان من الأحكام التي كانت مباحة ونسخها رسول الله صلى الله عليه وسلم متعة النساء ، والذي في حكم متعة النساء زيادة عن غيرها من الأحكام ، ان هذا الحكم كان مباحا ثم حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أباحه ثم حرمه . أباحه مرارا وحرمه مرارا ثم كان آخر الأمرين منه التحريم .

عن علي رضي الله عنه ، كما رواه مالك في الموطأ : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نهى عن المتعة يوم خيبر » . أي يوم فتح خيبر . ونهيه صلى الله عليه وسلم كان ولا شك بعد اباحة .

وروى سبرة الجهني قال : « أذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتعة فلم نخرج من مكة حتى حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه البخاري ومسلم .

فيكون هذا الحديث دالا على أن رسول الله صلى اله عليه وسلم بعد أن حرم المتعة يوم خيبر ، أباحها ثانية ثم حرمها بعد اباحتها .

تحريم متعة النساء نهائيا :

روى الدارمي في سننه : قال أخبرنا جعفر بن عون عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز عن الربيعة بن سبرة أن أباه حدثه أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال : « استمتعوا من هذه النساء » . والاستمتاع عندنا التزويج فعرضنا ذلك على النساء فأبين ألا يضرب بيننا وبينهن أجل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افعلوا » (وفي قوله افعلوا إباحة للمتعة بعد أن كانت محرمة) فخرجت أنا وابن عم لي معه برد ومعي برد وبرده أجود من بردي وأنا أشب منه ، فأتينا على امرأة فأعجبها شبابي وأعجبها برده فقالت : برد كبرده . وكان الأجل بيني وبينها عشرا فبت عندها تلك الليلة ثم غدوت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بين الركن والباب « أي عند الكعبة » فقال : « يا أيها الناس اني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ألا وان الله قد حرمها الى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا » وروى شبيهه البخاري ومسلم .

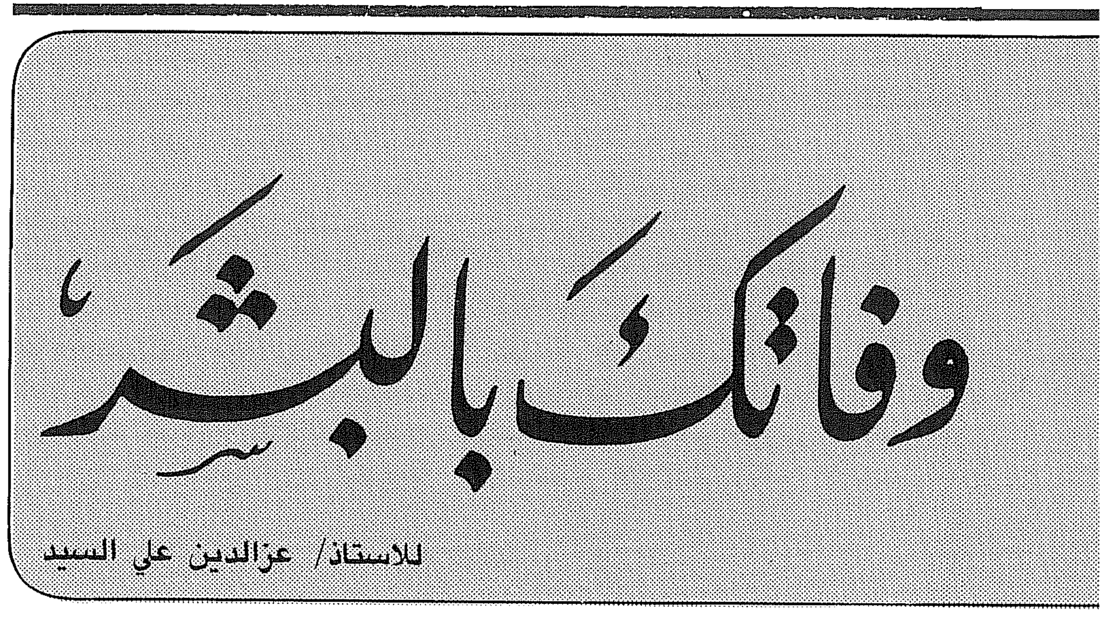
هذا غيض من فيض في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناسخ والمنسوخ في الأحكام . فأرجو أن أكون قد نفعت ووفيت بعض الشيء من حق هذا الموضوع الهام والحمد لله أولا وآخرا .



كفيف البصيرة فيم الضجر … وأنت الأثير بلطف القدر ؟
تأمل حياتك من مبتداك … وحتى يجيء تمام الخبر
وأنت الجنين بحرز مكين … حفيظ يوقيك مس القذر
وأول خلقك ماء مهين … رماه القضاء به فاستقر !
يطوره اللطف أطواره … ويضفي عليه البهاء الأغر !
وينفخ فيه الحياة القدير … ويرزقه من لذيذ الثمر
غذاء تحول بالمعجزات إلى … جسمه ما درى كيف مر ؟
فلا فك يمضغ قوتاً يقات … ولا كف تجلب رزقا فتر !
ولا عين تبصر لون الغذاء … ولا عقل يحمي اغتماض البصر !
إلى أن خرجت لنور الحياة … عزيز اللقاء بدنيا البشر
بعين ترى ، وبأذن تصيخ ، … ولمس أعان ، وعقل سبر
وذوق به تستسيغ الطعوم ، … وشم به تستطيب الزهر !

★★★

تباركت يا أحسن الخالقين ! … وهبت ابن آدم أبهى الصور !
وآتيته منذ بدء الحياة … على الأرض مفتاح كنز العبر
نوافذ حس تمد الفؤاد … بعلم عليه سما للقمر
فما اهتز شكراً بحمد الوهوب … ولا بالخطوب ارعوى وازدجر
إذا مسه الخير زاد ابتهاجاً … وقال بعلمي أنال الظفر



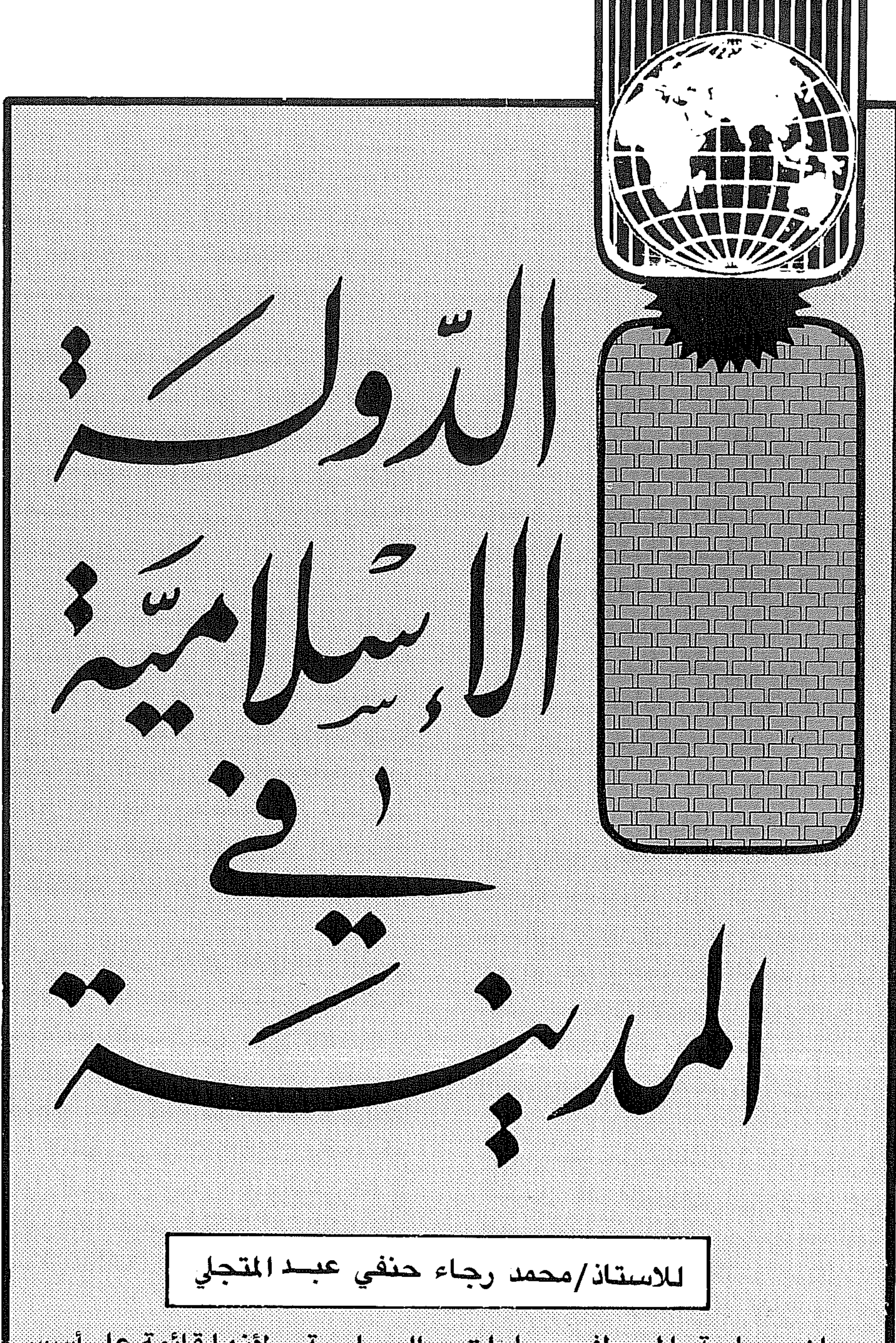
للاستاذ/ عزالدين علي السيد

وإن مسه الشر سب الزمان ... وألقى العنان كوحش عقر !
عجبت لصنعك يا بن التراب ! ... عجبت لكل عنيد كفر !
ولو أنت حين استفز الغرور ... شعورك يرديك بين الحفر
وعيت نداء اللطيف الخبير ... يحذر منه شديد الحذر
فعذت به .. لاستنار الفؤاد ، ... وفر اللعين ، وزال الخطر
ولكن قلبك كهف الظلام ... فعنه الهدى بالظلام استتر
يرى كل شيء بعين الجحود : ... بفكر تولى وعقل سدر
وتقنص من كونك المشتهى ... ولو كان شراً عظيم الضرر
وتسخر من ورع المتقين ... وقد عظموا الله فيما أمر
وملء القلوب عفاف الضمير ، ... وخوف تهددهم من سقر !
وحب حداهم لدار السلام ... اعدت لساع سعى فاصطبر !
على الغيب آمن ملء الفؤاد ... فحث الخطى هانئاً بالسفر
فليست له الأرض دار المقام ، ... وليس بها العيش كل الوطر
ولكنها لبسة المستعير ، ... وظل إذا العود نام اندثر !
فأسهر ليلا كثير النيام ... فطال السجود ، وطاب السهر
وصام نهاراً شديد اللهيب ... ليوم اشد رمى بالشرر !
وفي كل طرفة عين له ... بتلك الحياة نذير هدر
وآيات ربك للموقنين ... تجلت لكل حليم نظر
بأكبر جرم كتلك السماء ، ... وأصغر جرم كبذر الثمر
وأصغر منه كذر الهباء ... على جنبات النسيم انتشر !

بصوت يجلجل في سمعه ، برؤيا فؤاد لرب ظهر
على كل شيء بهذا الوجود يناديه : عبدي ، إليَّ المفر
تدبر صنيعي ، فاني القدير ودع في ضلال الهوى من فجر
أدبر ملكي بـ (كن) لا انام وأرزق خلقي بجوف الحجر !
واعلم سرا طواه الضمير ، ووهما اطاف ، وغيبا وقر
وأحيي بماء السماء الجديب وإن شئت أمسكت عنه المطر
ولو شئت أهلكت هذا الأنام وأنشأت خلقاً لأرضي عمر
يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة تقياً كريماً حميد الأثر
ولكن وصفي الحليم الكريم الرؤوف الرحيم عليكم ستر
فان آب جان على نفسه فعبد أناب ورب غفر !
وإن لج في الكفر حق الوعيد فعبد طغى وإله قهر !

★ ★ ★

فيا ابن التراب رويداً على تراب الجدود إذا ما انتشر !
فكم من قبور عداها البلى رماداً وما عندنا من خبر
عليها بعنف نقيم الديار ، ونجري الخيول ، ونقني البقر !
تقول لنا باللسان الفصيح : أناة أناة غزاة المدر !
غداً في ثراكم تبول الكلاب فكف البلى أقسمت لن تذر !
تركنا الحياة وكنا الأباة حماة السروح بعهد غبر
يخيف الأسود فتانا الغرير إذا ثار في وجهها أو زأر !
وملء الحياة مني حالمات عليها نما حلمنا وازدهر !
فرحنا وراحت بمر السنين كأن لم تكن .. وعدتنا الفكر !
فلم تذكروا أنكم تحرثون ونحن السمادلهذا الشجر !
رويداً رويداً جناة الأنام قساة القلوب فما من وزر ..
من الموت يسلب تلك القوى ، ويجري عليكم كؤوس الكدر !
سفكتم دماء زكت في السماء ولم ترهبوا من دعاء السحر
مجاباً لدى الله من أرمل ، وطفل له وجهكم قد بسر !
ومن زهرات كزهر الرياض طوى حسنهن الأسى واعتصر !
ولا ذنب إلا التقى والعفاف قلوب أنابت وصدر زفر
من الحزن مقتا لكفر الكفور إلى الله مما جناه اعتذر !
وأنتم ضحايا الطغاة البغاة سلام على مؤمن قد صبر !
قريباً ترون عجيب القضاء يبل القلوب .. وثأر القدر !



الدولة الإسلامية في المدينة

للاستاذ/محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

ان سياسة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في أمته ومع الأمم الأخرى تعد منهجا فريدا في الحياة السياسية ، لأنها قائمة على أسس ربانية يراد منها التقارب لا التباعد ، والاتحاد لا التفرق بين

الأمم ، على اختـلاف أجناسهـا وألوانها وشرائعهـا وقوانينهـا ، كما يراد من هذه السياسة الحرص على تطبيق مبدأ المساواة بين البشر جميعهم في الحقوق والواجبات ،

واعتبار المجتمع الانساني مسئولا مسئولية كاملة عن المحافظة على أرواح الناس وأموالهم وممتلكاتهم وأعراضهم وأوطانهـم ، في حدود العـدل الالهـي ، والتشريـع السماوي الرحيم .

ولن تستطيع أي دولة أن تبني حضارتها وتعلي مجدها وكيانهـا بين الأمم الا اذا كان دستورهـا وقوانينها المعمول بها وأعمالهـا قائمة على أسس رحيمة صالحة لأن تسع بعدلها ورحمتها كل حاجات أفرادها ، مهما تطـورت الحيـاة واختلفت الأماكن .

ولقد كان نظام الدولـة التـي أنشأها المصطفى صلـوات اللـه وسلامه عليـه من نوع جديـد ، يختلف اختلافاً كلياً عن جميـع النظم ، فقد كان هذا النظام مزيجا من الشورى والاستقلال بالحـكم يقول الحق عز وجل : (**وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله**)آل عمران/ ١٥٩ .

وكان هذا النظام في اطاره العام دينيا ، يعتمد على الأحكام الشرعية وتعاليم السماء ، ولكنه في تفاصيله وتطبيق أحكامه شورى .

وقد أقرت الدولة الاسلامية مبدأين على جانـب كبـير من الأهميـة ،

وهما :**الأول : حرية العقيدة :**

وبموجب هذه الحرية تكفل الدولة لأصحاب العقائد المختلفة الحق في الحياة ، وتضمن لهم الاستقـرار ،

وتيسر لهم سبـل الأمـن والأمـان ووسائـل الطمأنينـة ، وتتكفـل بحمايتهم ورعايتهم ماداموا يعيشون مسالمين لا يحدثـون فتنـة داخـل « المدينة » ، ولا يتآمرون على الدولة ومصالحها العليا ، فالاسلام لا يرغم أحدا على الدخول فيه ، وليس لأحد أن يجبر أي انسان بأية وسيلـة من الوسائل على الايمان بشيء لم يصل اليه بقلبه وعقله ، فحرية العقيـدة مكفولة مضمونة على الـدوام ، ولا يستطيع أحد أن ينال منهـا ، أو يتعرض لها بالمحو أو الاثبات ، لأنها تتعلق بضمير الانسان ووجدانـه ، ومن المستحيـل التحـكم فيهـا ، والنصوص القرآنية صريحة في ذلك ،

يقول الحق جل وعلا : (**لا إكراه في الديـن قد تبـين الرشـد من الغي**)البقرة/ ٢٥٦ ، ويقول مخاطبا المصطفى صلـوات اللـه وسلامـه عليه :(**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره النـاس حتـى يكونـوا مؤمنين**)يونس/ ٩٩

الثاني : المساواة :

إن جميع الرعايا في الدولة متساوون في الحقوق والواجبات مساواة تامة ، بلا اي فرق بين طائفة وأخرى ، فالكل أمام عدالة القرآن الكريم وعدالة الاسلام سواء .

وقد قرر الاسلام مبدأه الأساسي وهو المساواة بين الناس في أكمل صوره وأمثل أوضاعه ، واتخذه دعامة لجميع ما سنه من نظم لعلاقات الأفراد بعضهم ببعض ، وطبقه في جميع النواحي التي تقتضي العدالة الاجتماعية ، وتقتضي كرامة الانسان أن يطبق في شئونها .

سياسة الرسول الداخلية :

وقد برزت عبقرية المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وتجلت مقدرته العظيمة في تدبير شئون المسلمين والدولة والاستعداد للمستقبل ، فلم تكن مهمته قاصرة على تبليغ رسالة السماء التي نزلت عليه ، بل كانت أكثر من ذلك ، فشملت تنظيم « المدينة » ، وكان صلى الله عليه وسلم يقدر هذه المسئولية من أول الأمر ، فـ« الأوس » و« الخزرج »وهم سكان « المدينة » الأصليون ، وكانت تحدث بينهم مشاحنات ومنازعات كثيرة ، وكان اليهود يجاورونهم ولهم تاريخهم الحافل بكل مظاهر الغدر والخيانة والقتل ، ونسج خيوط الفتن ، وتدبير المؤامرات واشعال نار الحرب ، والى جانب هؤلاء كان هناك المنافقون الذين يضمرون للاسلام والمسلمين كل غدر وشر ، وان بدوا في الظاهر من رجال الصفوف الأولى أحيانا عند الصلاة وعند توزيع الغنائم .

وأصبحت هاتان القبيلتان من « الأوس » و« الخزرج » في أمس الحاجة الى من يوفق بينهما ويوحد صفوفهما ، كي يتمكن الفريقان من العيش في هدوء وانسجام ، وقد انضم إليهم المهاجرون ، مع أن المهاجرين قد استقبلوا في المدينة أستقبالا حسنا ، وعوملوا من اخوانهم الأنصار معاملة ممتازة ، الا أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه رأى أن يحتاط لاقامتهم في « المدينة » .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك من خلفه « قريشا » وهي على درجة كبيرة من العداوة للمسلمين لا يمكن تصورها ، ويعلم مدى قدرتها على الاعتداء على المسلمين والتحرش بهم ،وأنها لن تدخر وسعا في سبيل إلحاق الضرر بهم ، فلا بد اذن والحالة على هذا النحومن الوقوف على أهبة الاستعداد ، واتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهة كافة الاحتمالات ، ومجابهة خطر العدوان المتوقع من جانب « قريش » ، وهذا لن يكون الا بتقوية الجبهة الداخلية والعمل على تماسكها ووحدتها ، لأن وحدة الأمة أهم أسس بنائها ، هو الحفاظ على كيانها وقوتها .

وقد واجه المصطفى صلوات الله

وسلامه عليه هذا الموقف منذ البداية مواجهة تدل على سعة تفكيره وقوة ادراكه للأمور ، وأبدى من بعد النظر ودقة التنظيم ما جعل سكان « المدينة » يعيشون في استقرار تام وترابط قوي ، وقدرة على النمو ، وجعلهم يعيشون ظروف احتمالات الغزو الخارجي بجدارة أكسبتهم النجاح والنصر في كل عمل يقومون به ، فاستطاعوا أن يقيموا الدولة الاسلامية العظيمة .

ولقد اجتمعت في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصية أمة بأكملها ، فهو الداعية الحكيم ، والمربي الحنون الرحيم ، والقائد المظفر ، والسياسي الملهم ، والاجتماعي الممتاز ، والاقتصادي الرائع ، والمشرع العبقري .

وقد وضع صلى الله عليه وسلم دستورا ينظم شئون الحياة في « المدينة » ، ويحدد العلاقات بينها وبين ما جاورها من البلاد ، وهذا الدستور دليل على مقدرة عظيمة في التشريع ، وعلى الخبرة الواسعة بأحوال الناس ، ومعرفة ظروفهم المعيشية ، وقد عرف هذا الدستور باسم « الصحيفة » .

وقسمت « الصحيفة » سكان « المدينة » الى ثلاثة أقسام :

١ ــ المهاجرون .
٢ ــ الأنصار .
٣ ــ اليهود المقيمون بـ « المدينة » .

وتعتبر هذه « الصحيفة » ذات أهمية كبيرة ، لأنها حددت شكل الدولة الاسلامية ، ولها أهمية ــ أيضا ــ في مفهوم الأحداث التي جدت بعدها .

ونصوص هذه « الصحيفة » متفقة في مبادئها العامة مع القرآن الكريم ، من ناحية توحيد الصفوف ، وجعل المسلمين أمة واحدة لها كيانها بين الأمم ، ومن ناحية التعاطف والتراحم والتضامن بينهم ، والمحافظة على رابطة الولاء التي تربط بينهم برباط قوي لا ينفصم ، وحقوق الولاء المترتبة عليها ، ومن ناحية القرابة والصحبة والجوار وتحديد المسئولية الشخصية ، والبعد عن الحزازات الجاهلية وعصبيتها ، ومساواة الجميع أمام القوانين الخاصة بالدولة ، ورد أي أمر من الأمور الى الدولة لتتصرف فيه ، وتعاون الرعايا في المحافظة على النظام واقرار الاستقرار ، والضرب بشدة على يد كل من تسول له نفسه تعريض أمن الدولة وسلامتها للخطر .

وكانت المهمة السياسية للرسول صلى الله عليه وسلم بعد كل هذا تقتصر على الدفاع عن الدولة ، وتأمين حدودها وحمايتها وضمان الأمن لها ، ولم تتجاوز تصرفاته هذا الغرض طوال مدة العهد المدني والى أن لحق بالرفيق الأعلى .

ولتقوية جبهة « المدينة » اعتبر كل من هاجر اليها مستحقا لرعاية الدولة الجديدة ، فعلى أي انسان يرغب في أن يكون من بين مواطني « المدينة » بعد اسلامه ، فعليه أن يهاجر اليها ، وقد نص القرآن الكريم على ذلك نصا

صريحا ، يقول الحق جل شأنه :(**والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق**) الأنفال/٧٢ .

وكما حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايجاد أداة للحكم في « المدينة » وتنظيم أمورها الداخلية ، حرص كذلك على ضم القبائل والريف المحيط بها اليها ، عن طريق السرايا التي بعثها ، وحرص ـ أيضا ـ على تخطيط مجالها وتقرير حدودها ، وعقد الأحلاف مع القبائل النازلة فيما حولها ، حيث إن « المدينة » لا تستطيع العيش بمفردها ، ولا غنى لها عن الريف الذي يمدها بكل ما تحتاج اليه ، لهذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بعدة سرايا ابتدأت من « المدينة » وسارت الى كل الجهات ، فأمنت الريف ، وتم في نفس الوقت عقد أحلاف مع القبائل المجاورة ، لأن المدن التي تكون مقامة في وسط البادية لا بد لها من أن تكون على حذر شديد ، ولا سبيل لها الى ذلك الا عن طريق عقد المعاهدات مع من هم حولها ومهادنتهم ، ثم صد غاراتهم واستعمال الشدة معهم اذا اقتضى الأمر ذلك ، ليشعروا بأن « المدينة » على جانب كبير من القوة ، وأنها قادرة على توجيه الضربات في الوقت المناسب ضد أي عدو ، وأن في استطاعتها أن تقوم بصد أي عدوان يقع عليها .

وقد سالم الرسول صلوات الله وسلامه عليه اليهود ، وعاهدهم على المناصرة والمساعدة ، ولولا أن اليهود غدروا وخانوا ونقضوا العهود والمواثيق بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام لما وقف منهم موقف العداء ، ولظلت « المدينة » يغمرها الود والصفاء ، ولكنهم جوزوا بما جنته أيديهم واقترفوه بحماقتهم ، فأجلى صلوات الله وسلامه عليه يهود « بني قينقاع » ، ويهود « بني النضير »وقضى على يهود « بني قريظة » ، وترك يهود « خيبر » بعد انتصاره عليهم زراعا في أرضهم ، على أن يكون لهم نصف ما يخرج منها .

وأخيرا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى بتطهير « الجزيرة العربية » من أي دين من الأديان غير الاسلام ، وقد نفذ هذه الوصية عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ في خلافته ، لأن خلافة أبي بكر الصديق ـ رضى الله تعالي عنه ـ لم تتسع لمثل هذا العمل ، حيث كانت حروب « الردة » بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام هي شغله الشاغل .

سياسته الخارجية :

وكانت سياسته صلى الله عليه وسلم الخارجية لا تقل في براعتها وروعتها عن سياسته الداخلية ، فقد كان لنجاحه في الداخل أثر كبير في نجاحه بالخارج ، اذ أنه خطا خطواته الخارجية وهو مطمئن الى أن القلة

المؤمنة معه تعدل في ميزان الأمم أكبر دولة عالمية حينئذ ، بل وتزيد ، لأنها تسلحت بايمانها ووحدتها وعملها الصالح فوق تسلحها بسلاح عصرها وتفوقها ، ويكفيه فضلا من الله عز وجل عليه وعلى أمته أننا لا نجد نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ترك في أمته مثل ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد بدأ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه منذ أول يوم وصل فيه الى « المدينة » يؤسس الدولة الاسلامية الكبرى ، التي أذن لها الله جل شأنه فيما بعد أن تمتد في كل اتجاه ، وأن تضم بين ذراعيها وتبسط سلطانها على أقوى دولتين كانتا تتحكمان في العالم في ذلك الوقت ، وهما دولة « الفرس » ودولة « الروم » ، وتقف ثابتة كالطود أمام أعاصير الالحاد وبراكين الفتن ، وكتب لها المولى تبارك وتعالى الخلود الى أن تنفطر السماوات ، وتنكدر النجوم ، وتبدل الأرض غير الأرض ، والسموات غير السماوات ، ويرث الله جل شأنه الأرض ومن عليها .

ان البناء الضخم الشامخ الذي أقامه وأرسى أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في « المدينة » ، لم يسبق له نظير أو مثيل في المجتمعات أو الدول التي سبقت أو عاصرت الدولة الاسلامية ، كما أن أسس هذا البناء ستظل على الدوام في كل عصر وفي كل وقت جديدة ومثالية ، حتى في عصرنا هذا الذي نعيش فيه ، والذي تعددت فيه المشاكل وتنوعت وتشعبت .

وستظل أسس المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ « المدينة » تضع الأمة الاسلامية في الموضع الذي اختاره لها الله عز وجل ، في قوله جل شأنه :(**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**)البقرة/١٤٣ .

والأمة الوسط تظل كذلك في كل عصر من العصور ، وفي كل زمن من الازمان ، تنمو نموا مطردا ، كما أن شهادتها على الناس تدعوها بأن تكون على الدوام محيطة بكل ما في الناس ، وبكل ما لدى الناس ، وفي أي وقت من الأوقات ، حتى تستطيع أن تقوم بما ألقى على عاتقها من مهام على الوجه الأكمل .

وشهادة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، يجعلها على الدوام تقيم ميزانا وضميرا حيا ، ورقابة ذاتية ، ومقياسا صحيحا على جميع تصرفاتها ، وعلى كل حالاتها ، قربا أو بعدا من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقربا أو بعدا من دين الحق جل وعلا ، وقربا أو بعدا من وضعيتها ومهمتها بين الأمم الأخرى .

بداية الدولة الاسلامية :

العمل في بناء المسجد والمساكن

استقر رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأصحابه المهاجرون بـ « المدينة » بين ظهراني الأنصار ، وصارت الدعوة الاسلامية في مأمن ، وأصبح الدين الاسلامي حقيقة واقعة يشعر بها العرب ، وأخذ المسلمون يشعرون بقوتهم وكيانهم كجماعة واحدة وكوحدة واحدة ، فبدأوا يقيمون شعائر دينهم للمرة الأولى علنا وبلا أدنى خوف ، وبلا أي تصد من أي أحد كان .

واستسلمت « المدينة » عن بكرة أبيها ، وبكل ما فيها من مشركين ويهود الى الوضع الجديد الذي جد فيها ، وبدأت حالة من الاستقرار النسبي تتطلب وتقتضي تنظيما دقيقا لشئون المسلمين ، وتستدعي النظر في مختلف الأحوال والملابسات التي تكتنف هذه الدولة الناشئة ، وذلك حتى تستقر الأوضاع فيها استقرارا تاما ، وعلى أساس قوي ، ودعائم ثابتة متينة .

وكان من الطبيعي بعد أن التأم شمل هذه الدولة الناشئة وانتظم عقدها ، أن يتجه تفكير قائدها ومؤسسها صلوات الله وسلامه عليه أول ما يتجه الى بناء دار للعبادة ، يجتمع فيها المسلمون لاقامة شعائر دينهم ، وأول هذه الشعائر الصلاة ، التي تعد أكبر أركان الاسلام الخمسة .

ومن هنا كان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بناء المسجد ، فبناه في مكان « الجرن » الذي لم يقبل أن يوهب له ودفع ثمنه ، حيث كان يمتلك هذا « الجرن » فتيان يتيمان هما : سهل وسهيل ابنا عمرو .

وقد أصبح عمل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بمثابة تشريع منه ، ولقد حدث نفس الشيء من عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ ، وذلك عندما أراد بناء مسجده بـ « القدس » ، فقد أصر على شراء قطعة الأرض التي بنى عليها المسجد .

ثم أخذ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه والمسلمون في البناء ، وقد استغرق بناء المسجد أحد عشر شهرا ، وقد استدعى البناء كل ذلك الوقت لأن « الجرن » كانت فيه قبور للمشركين ، وحفر ونخل ، فلا بد من تسويته ، وازالة الحفر والقبور والنخيل ، وبنى المسجد « بالطوب النيىء » ، أما جانبي المسجد أي : الأبواب فكانا من الحجارة ، والسقف من الجريد ، وعمده من جذوع النخل .

وعلى هذا النحو ظل البناء المادي والتعمير دأب المسلمين منذ أن أقام الرسول صلى الله عليه وسلم البناء ، سواء في « قباء » ببناء مسجدها ، أو بـ « المدينة » بشروعه ببناء مسجده ومساكنه منذ اللحظة الأولى ، فاذا أحصينا المدن والقرى التي أقامها المسلمون في مختلف العهود ، أو التي عمروها بعد أن كادت تزول وتفنى ، لوجدنا آلاف المدن والقرى ، الأمر الذي لم يتوفر في أي دول أخرى غير دول الاسلام .

ولا غرابة في ذلك ، فقد كان في مقدمة التعليمات التي توجه الى القوات الاسلامية : هي ألا يهدموا بناء ، وألا يقطعوا شجرا ، وألا يقتلوا الا المحاربين ، وألا يحرقوا أي شيء ، فضلا عن العناية بالسوائم والبهائم .

وكان في مقدمة العاملين في البناء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أشعل ذلك الحماس في قلوب المسلمين ، من مهاجرين وأنصار ، ودأبوا في العمل بهمة ونشاط زائدين ،

وكان بناء المسجد النبوي والمساكن بمثابة تدريب عملي على العمل المشترك ، وحثا على العمل ، وذلك بتقديم الرسول صلوات الله وسلامه عليه المثل لهم ، لدرجة أن قال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

وكانت مساكن الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة عن عدة حجرات حول المسجد ، وكانت بسيطة ، قصيرة البناء ، قريبة ، على غرار المسجد ، ولم يكن لأبوابه حلق ، بل كان يقرعها الطارق بالأظافر ، وقد أضيفت الحجرات كلها الى المسجد بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ووفاة أزواجه .

الأخوة بين المهاجرين والأنصار :

كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرين بعد أن تركوا وطنهم وخرجوا من ديارهم وصودرت أموالهم وممتلكاتهم موقفا دقيقا يتطلب الاخلاص والتضامن ، ويقتضي أن يسود بينهم وبين اخوانهم الانصار التعاون .

وكان الأنصار وهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ـ اي : فقر ـ .

ولا غرو ، فقد شعروا بحاجة اخوانهم المهاجرين ، وقدروا ظروفهم العصيبة ، فآووهم ، ونصروهم ، وضربوا في الاخلاص لهم والتفاني في خدمتهم أروع الأمثال ، حتى لقد وصفهم المولى تبارك وتعالى بذلك الوصف الرائع حيث يقول : **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر/ ٩ ،أي : يفضلون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم مهما كان فقرهم ، ومهما اشتدت حاجتهم .

وكانت سياسة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في هذه الظروف القاسية سياسة القائد المحنك الرشيد ، فقد عمل على تنظيم صفوف المسلمين ، وتوكيد وحدتهم ، فربط بينهم برباط قوي متين ، وذلك أنه عقد تلك الأخوة النادرة المثال بين المهاجرين والأنصار ، وجعل لها من الحقوق والواجبات ما لأخوة النسب ، فكان أبو بكر الصديق أخا لخارجة بن زهير « الأنصاري » ، وكان عمر بن الخطاب أخا لعتبان بن

مالم « الانصاري » ، وكان أبو عبيدة بن الجراح أخا لسعد بن معاذ « الأنصاري » ، وكان عبدالرحمن ابن عوف أخا لسعد بن الربيع « الأنصاري » ، وكان عثمان بن عفان أخا لأوس بن ثابت « الأنصاري » ، وهكذا أصبح المهاجرون والأنصار بنعمة الله عز وجل اخوانا .

ولقد كان يترتب على هذه الأخوة أن يتوارث الأخوان كما يتوارث الأخوان من النسب ، وظل الأمر على هذا الشكل إلى أن نزل قول المولى تبارك وتعالى :**(وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم)** الأنفال/ ٧٥ ، فنفت هذه الآية الكريمة سنة التوريث بالمؤاخاة ، ولكن نفى التوريث لا ينفى عاطفة الاخاء نفسها ، لأن هذه العاطفة قويت بمرافقة الجهاد في سبيل الله عز وجل وفي سبيل اعلاء دينه .

وقد أظهر الأنصار من الكرم والتسامح مع اخوانهم المهاجرين ما خفف عنهم آلام الغربة ، وعوضهم عن فراق الأهل والعشيرة .

دستور المدينة « الصحيفة » :

لقد أخذ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ينشىء دولة اسلامية تجمع بين الجميع ، بصرف النظر عن الأجناس والديانات ، وبذلك بدأت الدعوة الاسلامية تدخل في دورها السياسي ، وبدأ المظهر السياسي يبدو في شخصية المصطفى صلوات الله وسلامه عليه مع المظهر الديني .

ولقد كانت « المدينة » عند مقدم المصطفى صلى الله عليه وسلم خليطاً من عقائد مختلفة ، ومن عناصر لا يربطها نظام ولا وحدة ولا وفاق ، فعمل صلى الله عليه وسلم على أن ينظمها ويوحد بينها ، ويجمعها تحت جامعة الانسانية العامة ، ويقيم التعاون بينها على أساس من الاخاء العام الذي يربط بين الانسان وأخيه الانسان ، فكتب كتابا بين المهاجرين والأنصار ــ وهو ما يسمى بالوثيقة أو الصحيفة ــ ، بين فيه ما يجب على المؤمنين والمسلمين ــ بعضهم لبعض ــ من التعاون والتكافل والتناصر والأخذ عل يد الباغي ، ووادع فيه اليهود وعاهدهم ، فشرط لهم أن يكونوا آمنين على دمائهم وأموالهم ومواليهم ، وأن يكونوا أحراراً في عقائدهم ، فمن تبع المسلمين منهم فله ما للمسلمين من النصر والأسوة ، واشترط عليهم أن يكونوا مع المسلمين يدا واحدة على من دهم « يثرب » آو حارب أهلها ، وأن ينفقوا مع المسلمين مادامـوا محاربين ، على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم .

كما اشترط على المشركين من العرب ألا يجير مشرك مالا أو نفسا لـ « قريش » ، ولا يحول دونه على المؤمن ، وألا تجار « قريش » ولا من نصرها ، وأن بينهم النصر على من دهم « يثرب » ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

وكما تضمن الكتاب ــ الوثيقة أو الصحيفة ــ حرية العقيدة وحرية الرأي وحرية الهجرة والاقامة ، تضمن ــ أيضا ــ حرمة النفس وحرمة المال وحرمة الجوار وحرمة الوطن ، وكفل نصرة المظلوم ومقاومة المعتدي واعانة من أثقله الدين ، وشدد في تحريم البغي والفساد وايواء الباغين والمفسدين ، وفتح باب الصلح لمن أراده من المسلمين وغير المسلمين ، ودعا الجميع الى التعاون على البر دون الاثم ، وجعل الاحتكام فيما يكون بين أهل هذا الكتاب من خلاف الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكان الهدف الذي يرمي اليه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أن يعيش الجميع في وطنهم آمنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وأهليهم ، وأن يكونوا أحرارا في عقائدهم وآرائهم ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان .

وهكذا أخذ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يضع قواعد المجتمع المثالي الصالح ، الذي يسوده الوئام والحب ، ويعد له الفرد المثالي الصالح ، الذي يقيم صلته بالمولى تبارك وتعالى على الاخلاص في عبادته والعمل على مرضاته ، ويقيم صلته بالناس على التعاون الصادق في سبيل الخير ، ويعاملهم جميعا على أنهم اخوة ، فمن وافقه في عقيدة الاسلام فهو أخوه في الله عز وجل ، ومن خالفه فيها فهو أخوه في الانسانية .

ونصوص هذه « الصحيفة » هي :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

١ ــ هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

٢ ــ أنهم أمة واحدة من دون الناس .

٣ ــ المهاجرون من قريش على ربعتهم ــ أي : على أمرهم الذي كانوا عليه ــ يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم ــ أي : الأسير ــ بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٤ ــ وبنو عوف على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٥ ــ وبنو الحارث ــ من الخزرج ــ على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٦ ــ وبنو ساعدة على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٧ ــ وبنو جشم على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٨ ــ وبنو النجار على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٩ ــ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم ،

يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٠ ــ وبنو النبيت على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١١ ــ وبنو الأوس على ربعتهم ، يتعاقلون ، معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٢ ــ وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا ــ وهو من أثقله الدين والغرم فأزال فرحه ــ بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ، وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

١٣ ــ وأن المؤمنين المتقين ــ أيديهم ــ على كل من بغى منهم ، أو ابتغى دسيعة ظلم ــ أي : طلب دفعا على سبيل الظلم ، أو ابتغى عطية على سبيل الظلم ــ ، أو اثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم .

١٤ ــ ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن .

١٥ ــ وأن ذمة الله واحدة : يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

١٦ ــ وأنه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .

١٧ ــ وأن سلم المؤمنين واحدة : لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على عدل وسواء بينهم .

١٨ ــ وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ــ أي : يكون الغزو على التناوب بينهم يعقب بعضهم بعضا فيه .

١٩ ــ وأن المؤمنين يبيىء ــ من أبأت القاتل بالمقتول اذا قتلته به ــ بعضهم عن بعض بما نال دماؤهم في سبيل الله .

٢٠ ــ وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا دونه على مؤمن .

٢١ ــ وأنه من اعتبط ــ أي : قتل ــ مؤمنا قتلا عن بينة فانه يقاد به ، أي : أن القاتل يقاد به ويقتل ــ ، الا أن يرضى ولي المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم قيام عليه .

٢٢ ــ وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ــ أي : جانيا ــ ، أو يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

٢٣ ــ وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده الى الله والى محمد رسول الله .

٢٤ ــ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

٢٥ ــ وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين :لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم الا من ظلم أو أثم فانه لا يوتغ ــ أي : يهلك ــ الا نفسه وأهل بيته .

٢٦ ــ وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

٢٧ ــ وأن ليهود بني الحارث مثل ما

ليهود بني عوف .
٢٨ ـ وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .
٢٩ ـ وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .
٣٠ ـ وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .
٣١ ـ وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، الا من ظلم أو أثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهله .
٣٢ ـ وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .
٣٣ ـ وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ، وأن البر دون الاثم .
٣٤ ـ وأن موالي ثعلبة كأنفسهم .
٣٥ ـ وأن بطانة يهود كأنفسهم .
٣٦ ـ وأنه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد ، وأنه لا يتحجر على ثأر جرح ـ أي : لا يلتئم جرح على ثأر ـ ، وأنه من فتك فبنفسه ، وأهل بيته الا من ظلم ، وأن الله على أبر هذا .
٣٧ ـ وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم .
٣٨ ـ وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .
٣٩ ـ وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .
٤٠ ـ وأنه لا تجار حرمة الا باذن أهلها .
٤١ ـ وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فان مرده الى الله والى محمد رسول الله ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره .
٤٢ ـ وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها .
٤٣ ـ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .
٤٤ ـ واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه ،وأنهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .
٤٥ ـ وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، وأن البر دون الاثم ، لا يكسب كاسب الا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .
٤٦ ـ وأنه هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله . اهـ .

هذا هو نص الوثيقة الدستورية التي وضعها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وهي التي نقلها الامام ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » ، في الجزء الثالث ، في الصفحة ٢٢٤ ، نقلا عن محمد بن اسحاق .

وهذه الوثيقة تعد بحق فتحا في الحياة السياسية والحياة المدنية في

ذلك الوقت ، واذا كان ذكر يهود « بني قينقاع » ، ويهود « بني النضير » ، ويهود « بني قريظة » لم يرد في هذه الصحيفة ، فقد ثبت أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قد عقد مع كل فريق منهم معاهدة على حدة ، ولقد وفى المسلمون بما جاء في هذه الصحيفة وبما التزموا به ، ولكن اليهود نقضوا العهود على مألوف عاداتهم ، فهم أناس لا أمان لهم ، فكان عملهم هذا مصدر تعاسة وشقاء لهم .

ولا شك في أن تلك المعاهدات التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت متفقة في نصوصها الأساسية ، لأن معاملته عليه الصلاة والسلام لجميع طوائف اليهود كانت واحدة ، وكان ظاهر هذه الصحيفة التي كتبت للبطون الصغيرة أنها كانت تخصهم ، ولكن أسسها ونصوصها العامة كانت تشمل كل من تحالف مع اليهود ، فلما اتضحت هذه النصوص من هذه الصحيفة سارع يهود « بني قينقاع » و « بني النضير » و « بني قريظة » الى عقد معاهدات شبيهة بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهي معاهدات واحدة بالنسبة لمن عقدت لهم ، وإن اختلفت باختلاف من عقدت لهم .

ويجدر بنا أن نقف عند بعض نصوص هذه الصحيفة وقفة تأمل وتفحص لنحلل بدقة ما فيها من النقاط الهامة ، رغبة في ايضاح سياسة الدولة الاسلامية في بداية نشأتها ، فهذه الصحيفة قد تضمنت الكثير من المبادىء السامية ، والأسس التي يجب أن تقوم عليها العلاقات بين الأمم ، ومن أهم المبادىء التي تضمنتها الصحيفة ما يأتي :

تكوين الأمة :

لقد ورد في الصحيفة : « أن المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس » ، فلم يجعل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الانتماء الى هذه الأمة قاصراً على أوائل المسلمين في عهده ، بل جعله عاما يشمل كل فرد يدخل في هذا الدين الى يوم القيامة ، بشرط أن يكون من المجاهين في سبيل الله عز وجل ، لا من الخاملين المتقاعدين الذين يكتفون باقامة الشعائر الدينية ، من غير أن يكون لهم دور ايجابي في حياتهم ، فمن أراد أن ينال شرف عضوية الأمة فعليه بالجهاد .

واننا اذا تصفحنا التاريخ لوجدناه شاهدا بوجوب هذا الشرط الذي اشترطه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فيمن يرغب في الانضمام الى الجماعة الاسلامية ، لأن كل الدعوات لم تقم لها قائمة بغير الجهاد .

ولم يشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم صفات معينة فيمن يريد أن يتبع المهاجرين والأنصار ، ويلحق بهم ويجاهد معهم ، ليكون ذلك من حق كل انسان مهما كان دينه أو وطنه

أو جنسه ، وهو يقصد بقوله : « أمة واحدة من دون الناس » استقلال هذه الأمة وقيامها بذاتها ، واعتمادها على نفسها دون غيرها .

وقد اعترفت الصحيفة مع ذلك بالمجموعات القبلية القائمة ، وأشارت الى المهاجرين بصفتهم وحدة ، أي : أمة واحدة من دون الناس ، كما أشارت الى قبائل من « الأوس » ومن « الخزرج » ، بيد أنها مع اعترافها هذا لم تترك لهذه الوحدات ما يشعرها بالتكتل الا عند دفع الدية أو الفدية ، وما الى غير ذلك مما لا يتعارض بأي شكل من الأشكال مع وحدة الجماعة الاسلامية .

وحدة الأمة :

ورد في الصحيفة : « وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على عدل وسواء بينهم » .

ولعل في هذا اشارة من المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الى أن المسلمين متحدون في كل أمورهم ، فلا يليق أن تكون هناك وحدة في السلم ، ويكون هناك انقسام في الحرب أو في غيرها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأن أيديهم عليهم جميعا » ، فالمقصود بهذه العبارة هو من يسعى بالافساد بين المؤمنين ، وقال أيضا : « وأن المؤمنين عليه كافة » ، ويعني بذلك من يقتل مؤمنا بغير حق ، فرسول الله صلوات الله وسلامه عليه حين يعبر بكلمتي : « جميع » و « كافة » في حديثه عن قيام المؤمنين بالقصاص من الذي يقتل أحدهم أو يسعى بينهم بالفساد ، فانه بهذا التعبير يقرر وحدة المسلمين وحدة تامة ، وهذا هو أساس فوزها وانتصارها في مختلف الحروب التي خاضتها .

حرية العقيدة :

جاء في « الصحيفة » : « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » ، وفي هذا خير برهان وأكبر دليل على أن الاسلام بريء مما ادعاه أعداؤه من أنه قد انتشر بقوة السلاح ، فلو كان هذا الادعاء صحيحا لما وجدنا الاسلام يقر المغلوبين من أهل الأديان الأخرى على دياناتهم مقابل دفع الجزية ، على أنه قد أعفى منها الفقير المعدم ، والضعيف العاجز عن العمل ، والشيخ الفاني ، والمرأة ، والصبي ، والرقيق ، لئلا يدعي أحد أن العاجزين عن دفع الجزية ليس أمامهم الا الحرب ان كانوا أقوياء ، أو الاسلام قهرا ان كانوا ضعفاء .

ولم يرغم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أحدا على الدخول في الاسلام أو اعتناقه ، وأوضح دليل على ما نقول أنه ترك لليهود الحرية في دينهم ، كما ورد النص على ذلك في الصحيفة ، وقد قال المولى تبارك وتعالى مشيرا الى مبدأ حرية العقيدة : **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** البقرة/٢٥٦ ، وقال عز

شأنه :(**قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين**) سورة الكافرون .

وهكذا يأمر المولى تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الاسلام عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، وبانذار الكافرين بالعذاب الأليم ان هم أصروا على كفرهم ، بدون أن يرغمهم على الدخول في الاسلام أو اعتناقه ، والناس بعد ذلك مخيرون بين الايمان والعمل الصالح وهما طريقا الفوز والفلاح ، وبين الاستمرار على الكفر والضلال وهما المؤديان الى الخسران والهلاك ، يقول الحق جل وعلا : (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا**) الكهف/ ٢٩ ، وبذلك يكون الاسلام قد قرر مبدأ حرية العقيدة ، ونادى به منذ بدأت دعوته ، بينما يصفق العالم اليوم لمن يظنهم سباقين الى هذا المبدأ .

وقد عمي عن ذلك أعداء الاسلام ونسوا أو تناسوا سماحته ، وأنه هو السابق الى مبدأ حرية العقيدة ، وهم لا ينظرون الى الاسلام الا بمنظار أسود يحول بين أعينهم وبين رؤية ما فيه من العدالة والكمال ، فلا يرون فيه الا ظلاما وهميا من نسج خيالهم .

التعاون الاجتماعي :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة : « وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل » ، والمفرح هو الانسان الكثير الأولاد ، والذي كثرت ديونه ، فاذا كان من أقارب الأسير ساعده المؤمنون ليستطيع المساهمة في الفداء ، واذا كان من عاقلة شخص جنى خطأ عقلوا عنه ، حتى لا تزيد ديونه بسبب عجزه عن دفع ما عليه من الفداء أو الدية ، ولئلا يعجز عن الانفاق على أولاده اذا دفع ما معه في الفداء أو الدية ، وهذا يحقق مبدأ التعاون الاجتماعي الذي تفخر به الانسانية .

والمسلمون اذ يعطون المفرح في الفداء أو الدية انما يحاربون الموت والرق في وقت واحد ، فقد كان العرب في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفقر ، ويقدمون على هذا العمل ولا يبالون بما يفعلون ، وكان المدين عندما يعجز عن دفع ما عليه من دين في الأجل المحدد له تضاعف دينه ، وصار كالخادم عند الدائن ، يأتمر بأمره ، ويمتنع عما ينهاه عنه .

لقد حارب الاسلام كل ذلك ، وقضى على كل الأسباب المؤدية اليه ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه باعانة المفرح ومساعدته ، فكانوا يقومون بسداد دينه ، أو اعطائه المال عند الشدة ، وهذا مبدأ من مبادىء الاسلام السامية التي

تسعد البشرية ، والتي جاءت بها الشريعة الاسلامية السمحة الغراء .

نظام الحكم :

جاء في صحيفة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله والى محمد رسول الله » .

وبهذا يقرر الاسلام مبدأ عاما وقضية طبيعية ، وذلك لأن كل الجماعات والأمم ينشب بينها النزاع ، ولكن شتان ما بين نزاع يزيد وينمو على مر الأيام ويتحول الى أحقاد تتوارثها الأجيال ، وبين نزاع سريع الزوال ليحل محله الود والصفاء ، وهذا الأخير هو الذي يقصده المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فهو لا يريد لأمته نزاعا جاهليا تتسع هوته على مر الأيام ، ولكنه يريد النزاع الاسلامي الذي لا يلبث أن يزول وتنقشع سحبه .

وقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه للفصل في هذا النزاع ، لأنه يريد تأليف القلوب وإزالة أسباب الفرقة والخلاف ، فحبه واحترامه يغمر القلوب ، قلوب المسلمين جميعا ، فلا يخالفون له أمرا ، ولا يتخلف واحد منهم عن تلبية دعوته في أي أمر من الأمور ، ولن يتوانى صاحب الحق في التنازل عن حقه والعفو عمن ظلمه اذا ما سمع من الرسول عليه الصلاة والسلام كلمة تدعوه الى ذلك .

ويدل نص الصحيفة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يقضي في خصومات أهل الكتاب والمشركين من أهل الصحيفة ، كما يقضي في خصومات المسلمين ، ولعله قد اختار نفسه للقضاء بين الناس ليؤكد لهم أنه هو رئيس الحكومة الجديدة في « المدينة » بعد هجرته اليها .

ومن الطبيعي أن تفويض السلطات التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية للرسول صلى الله عليه وسلم يستند الى آيات قرآنية كريمة ، فقد قال المولى عز وجل : (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) النساء/٥٩ ، وقال جل شأنه : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**) النساء/٦٥ ، وقال تبارك وتعالى :(**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**) الأحزاب/٣٦ ، وقال سبحانه وتعالى :(**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا**) النساء/٨٠ .

اذاً فالمصطفى صلوات الله

وسلامه عليه كان يمارس هذه السلطات مهتديا بأحكام القرآن الكريم ، وأن دستور الحكم في الأمة الاسلامية هو القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وليس للعرف أو التقاليد القبلية .

مراعاة حق الجار :

لم يحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة من هو المقصود بالجار ، ليدل بذلك على أن هذه الكلمة تشمل كل من جاور المسلم .

ولا شك في أن الجار هو أقرب الناس الى الانسان بعد أهله ، فمن الممكن أن يعرف أخلاقه وطباعه ، فلو رأى رجل من أهل الكتاب لينا ولطفا وحسن معاملة من المسلم لتألف قلبه للاسلام وفهمه على حقيقته ، وعلى العكس لو رأى غلظة وقسوة منه لنفر قلبه من الاسلام ، وأساء فهمه وزاد بعدا عنه ، وقد تحدث بينهما مناقشات قد تؤدي الى منازعات لا تعود على الاسلام بفائدة ، فلا يليق بالمسلم أن يسيء معاملة جاره إن كان على غير دينه ، وانما يجدر به أن يعامله باللين ، ويخاطبه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن تنعكس شخصية المسلم على تعامله معه .

واذا عرفنا أن كلمة « الجار » في الاسلام تشمل من يسكن الأربعين بيتا المحيطة بالمسلم لعلمنا أن جميع الأمة جيران ، وأنها حلقات متصلة في ظل المحبة والاخاء ، والتعاطف والبر والتراحم .

موادعة اليهود .

لقد أقر الرسول صلوات الله وسلامه عليه اليهود على دينهم ، وقد اوضحنا ذلك عند الحديث عن حرية العقيدة ، وقد جعلهم عليه الصلاة والسلام هم والمسلمون أمة واحدة بقوله في الصحيفة : « وأن يهود بن عوف أمة مع المؤمنين » ، ثم أورد كل قبيلة من القبائل اليهودية أو البطون اليهودية وجعل لها مثل ما ليهود « بني عوف » .

وقد ورد في الصحيفة : « ولا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه » ، فالمصطفى صلوات الله وسلامه عليه حين يحدد وصف المؤمن بقوله : « آمن بالله واليوم الآخر » انما يريد بذلك التقريب بين اليهود والمسلمين من جهة العقيدة ، بحيث لو رغبوا في اعتناق الاسلام والدخول فيه لوجدوا تقاربا بينهم وبين دينهم .

وأغلب الظن أن الحرص على ضم اليهود الى صفوف المسلمين يتضح في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم » فيه من الاغراء والترغيب ما فيه .

إيقاف الموادعة اذا ما ظلم اليهود :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة : « الا من ظلم

وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه » ، ويقصد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بالظلم والاثم ما يقع من اليهود من محاولات الغدر المقصود بها اشعال نار الفتن والحروب ، ومقاومة الاسلام ومحاربة الدعوة ، وصد الناس عنها ، مما يوقع الضرر بالمسلمين والاسلام ، ويحول دون انتشار الدعوة وتقدمها ، واظهارا لقوة المسلمين وتهديدا لليهود بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من ظلم منهم فلن يكون ظالما الا لنفسه .

ولعل المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يشعر بأنه لن يكون هناك وفاق بين المسلمين واليهود ، ولذا كرر هذا المعنى في الصحيفة ، وذكر هذا التحذير عدة مرات ، لأن اليهود سينقضون هذا العهد وسيغدرون بما ركب في نفوسهم الدنيئة من الخسة والنذالة ، والميل الى الدس والنفاق والشقاق والكيد ، فأراد صلوات الله وسلامه عليه أن يقيم عليهم الحجة ، ويبين سلامة موقفه أمام المولى تبارك وتعالى ، والضمير ، والانسانية ، اذا عاقبهم على ظلمهم ونقضهم للعهد ، ولذا كرر انذاره لهم ، وقديما قيل في الأمثال : « قد أعذر من أنذر » .

وأغلب الظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقصد من هذا الانذار منع الصراع الداخلي في « المدينة » بين اليهود والمسلمين ، لئلا تنتهز « قريش » الفرصة وتهاجم المسلمين ، وتشغل الرسول عليه الصلاة والسلام عن نشر الاسلام خارج « المدينة » .

وبعد هذا الانذار أورد الرسول صلى الله عليه وسلم ترغيبا ، اذ أمر بألا يقوم المسلمون بأي شىء تجاه اليهود الا في حالة عدائهم للاسلام ، فما دام اليهود مسالمين فالمسلمون موادعون لهم .

تحريم خروج اليهود من المدينة بغير إذن الرسول الكريم :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واثق من اخلاص اليهود له ، وكان يتوقع منهم دائما الغدر ، فهم قد جبلوا عليه وطبيعتهم مركبة منه ، ولا يعرفون الى الوفاء سبيلا ، ولذلك فقد حرم عليهم الخروج من « المدينة » بدون اذنه ، ليكون في مأمن من شرهم ، وليكون على علم تام بأمرهم وكل تحركاتهم ، اذ ليس من المستبعد أن يعرف البعض منهم أخبار المسلمين ثم يقوم بتوصيلها الى « قريش » التي تتربص بهم الدوائر ، في الوقت الذي يريد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام كتمان الأخبار عنها ، ومن المحتمل أن يخرج البعض من اليهود لتأليب « قريش » على المسلمين ، واشعال نار الحرب .

محالفة اليهود :

كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدى قوة « قريش » ، ويتوقع هجومها على « المدينة » في أي وقت من الأوقات ، وكان يدرك أن المسلمين في بداية

عهدهم في « المدينة » وليست لديهم القوة التي يستطيعون بها أن يقفوا وحدهم أمام « قريش » ، فعقد معاهدة الدفاع المشترك عن « المدينة » بهذه العبارة من الصحيفة التي تقول : « وأن بينهم النصر على من دهم يثرب » ، ليتخذ أنصارا يقفون معه ضد كل من يعاديه من « قريش » وغيرها ، ولم يعين صلوات الله وسلامه عليه المقصود بكلمة « النصر » هذه لتشمل المساعدة الحربية والمساعدة المادية معا .

وقد نصت الصحيفة كذلك على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلب من اليهود مصالحة حليف للمسلمين فانهم يصالحونه ، وأن اليهود اذا طلبوا من المسلمين مثل هذا فعلى المسلمين أن يجيبوهم اليه ، وقد فعل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ذلك تأكيدا للتضامن الحربي بين اليهود والمسلمين ، وتقوية لوحدة الأمة اليثربية التي أرادها .

هذا باستثناء من حارب الاسلام ، فيحرم على المسلمين مصالحة من حارب دينهم ، وليس من حق اليهود أن يصالحوا أعداء الاسلام ، ثم يطلبوا من المسلمين مصالحة هؤلاء الأعداء .

اشتراك اليهود في النفقة مع المسلمين وقت الحرب :

جاء في الصحيفة : « وأن اليهود ينفقون مع المسلمين ماداموا محاربين » ، فاذا كان في الجيش معسكر لليهود ومعسكر للمسلمين التزم كل معسكر بنفقاته ، فيطعم الجنود ويشتري السلاح من ماله الخاص .

وقد نفى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بهذا النص أن ينفق المسلمون على اليهود اذا خرجوا معهم للقتال ، أو يظن اليهود وجوب نفقتهم على المسلمين لخروجهم معهم لقتال أعدائهم .

يقول أبو عبيد في هذا الشأن : فهذه النفقة في الحرب خاصة ، شرط عليهم المعاونة له على عدوه ، وانما كان يسهم لليهود اذا غزوا مع المسلمين بهذا الشرط الذي شرط عليهم من النفقة ، ولولا هذا لم يكن لهم في غنائم المسلمين سهم ، وانما كان هذا الكتاب قبل أن يظهر الاسلام ويقوى ، وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب .

صيانة الأمن وتحريم الجريمة :

ورد في الصحيفة : « وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل » .

والمحدث هو : المجرم أو الجاني . فلا يحل لأحد أيا كان أن يمنع من اقامة الحد عليه ، حيث جاء في الأثر : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في

أمره » .

وقد روى عن السيدة عائشة – رضى الله عنها – أن امرأة مخزومية سرقت ، فقالوا : من يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيها ؟ .. فلم يستطع أحد أن يكلمه غير أسامة بن زيد ، وكانت شفاعته مقبولة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : « أتشفع في حد من حدود الله » ثم قام فاختطب ، ثم قال « إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدهـا » رواه مسلم .

حق الحياة :

جاء في الصحيفة : « وأنـه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به ، الا أن يرضى ولى المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم قيام عليه » .

واعتباط المؤمن قتله بغير حق ، وجزاؤه القتل الا اذا قبل ولى المقتول الدية ، ونحن نجد في القرآن الكريم ما يؤكد هذا الحق الانساني ، فقد جعل المولى تبارك وتعالى قتل النفس ظلما كقتل الناس جميعا ، وذلك لينفر من جريمة القتل ويقرر حق الحياة ، فقد قال عز وجل بعد قتل قابيل لأخيه هابيل :(**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**) المائدة /٣٢ .

إن الله عز وجل لم يخلق الحياة عبثا ، بل خلقها لحكمة جليلة وغاية عظيمة ، تتمثل في اختيار كل انسان لمعرفة مدى قيامه بواجباته أو تقصيره فيها طيلة فترة عمره ، يقول الحق جل وعلا : (**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**) الملك/١ و ٢ .

وقد جعل الله جل شأنه الحياة حقا من الحقوق وواجبا من الواجبات في نفس الوقت ، ولذلك فمن حق كل انسان ومن واجبه أن يعمل على حفظ حياته وصيانتها له ولاخوانه بقدر ما يستطيع ، ولا يحق لأي انسان أن يعتدي على حياة غيره ، لأنه بذلك يكون قد ارتكب جرما واغتصب حقا من أهم حقوق اخوانه ، ومن قتل نفسا بغير حق فقد باء بغضب من الله عز وجل الذي تفرد بصفة الاحياء والاماتة ، ومن المجتمع الذي ينكر عليه التعدي على أهم حقوق غيره .

إن حياة الناس سواء في مشارق الأرض ومغاربها ، والاعتـداء على بعض الناس يعتبر اعتداء عليهـم جميعا ، والاسلام يدعو جميع الناس لعمل كل خير ودفع كل شر ، وبالتالي يدعوهم لجمع الصفـوف وتوحيـد الكلمة .

وعلى الدولـة بصفتهـا ممثلـة للمجتمع أن تمنع اعتداء الانسان على حياة أخيه الانسان ، وتطبق في سبيل ذلك الأحكام الشرعيـة الرادعـة ، وتبحث عن أسباب الجريمـة قبـل

وقوعها لتلافي حدوث هذا الأمر .

حرمة المدينة :

ورد في الصحيفة : « وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة » ، واننا لنجد في هذا النص تأكيداً لناحيتين :

الأولى : وجوب مسالمة اليهود للمسلمين وعدم الكيد لهم .

الثانية : تأمين اليهود على أنفسهم وممتلكاتهم .

ولعل الحكمة في جعل بعض الأماكن حرماً كـ « مكة » و« المدينة » هي عين الحكمة في جعل بعض الأشهر حراما لا يحل فيها القتال ، فالمقصود بهذا أن يعتاد الناس حياة الأمن التي لا يعكر صفوها نزاع أو جريمة ، ولحرمة « المدينة » قال أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ : « لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها » .

وأغلب الظن أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لو كان يملك زمام الأمر في « جزيرة العرب » كلها وقت كتابة الصحيفة لجعلها كلها حراما ، وما جعل الحرمة قاصرة على « المدينة » فقط .

عدم جوار قريش :

لقد جاء في الصحيفة : « وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها » ، وقد كان من مظاهر المروءة والشرف عند العرب في الجاهلية عادة الجوار ، وقد رأى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بثاقب رأيه وعظيم حكمته أن هذه العادة لو بقيت لكانت مصدر خسران وبلاء للاسلام ، فلو اشتد أحد من « قريش » في عداوته للمسلمين واضطهاده لهم ، ثم طلبه المسلمون بعد ذلك لينال جزاءه فاستجار برجل من أهل « المدينة » لم يتمكن المسلمون من أن يتخلصوا منه ومن عداوته لهم ، فلا غرابة اذن في أمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بألا تجار « قريش » ولا من يناصرها .

ولم يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة المجير في أمره بعدم اجازه « قريش » ليشمل المشرك واليهودي بجوار المسلم .

تنظيم الحياة العامة في الدولة الاسلامية :

لقد نصت الصحيفة على الأسس التي تنظم الحياة العامة في الدولة الاسلامية ، ويتبين من هذه الصحيفة الى أي حد تغيرت الأحوال والأوضاع القديمة التي كانت سائدة قبل ظهور الاسلام .

وأول هذه الأسس أن الصحيفة جعلت للجماعة الاسلامية كيانا ، فقد نصت على أن كل المسلمين من « قريش » و « المدينة » ومن انضم اليهم وقاتل معهم في سبيل تعزيز الدولة الاسلامية أمة واحدة من دون الناس وبهذا اصبح الاسلام ملكا لمن دخل فيه واعتنقه ، وبناء على هذا

الاساس دخل في الاسلام شعوب كثيرة ، بدون أن يضع الرسول صلى الله عليه وسلم أمامها أية حواجز تمنعها من المشاركة في حياة العالم الاسلامي ، ذلك لأن الحدود القبلية أصبحت غير معترف بها رسميا في الدولة .

وهذه الأمة تجمع بين رعاياها رابطة الاتحاد النابع من الايمان ، والمؤمنون هم أول من يتمثل معنى الاتحاد ، وهم أول من يلتزم بالوفاء له ، وهم كذلك أول من يتمتع بالحقوق التي يمنحها لهم .

والأمة الاسلامية لها منطقة من الأرض ، هي منطقة « المدينة » ، وكل ما في هذه المنطقة يجب أن يكون مقدسا ودار سلام ، لا يحدث فيها اعتداء من أحد على أحد ، وعلى هذا الأساس فالأمة الاسلامية لا تتألف من المسلمين وحدهم ، بل هي تتألف من كل من يحالف المسلمين ويجاهد معهم ، وبذلك يدخل في الأمة الاسلامية من لم يعتنق الاسلام ، كبعض الأنصار الذين لم يسلموا وظلوا على ما هم عليه من ديانة ، وأدمجوا في الدولة الاسلامية ولم يستبعدوا عنها .

كما شملت الأمة الاسلامية — أيضا — اليهود في « المدينة » ، بيد أن اندماجهم في الامة الاسلامية لم يكن كاندماج المهاجرين والأنصار ، ولذلك لم يكونوا مكلفين بنفس الواجبات ولا يتمتعون بنفس الحقوق ، وقد ألحق بعضهم بالدولة بنص صريح في الصحيفة ، وهؤلاء هم الذين كانت بينهم وبين الانصار روابط تحالف ، ووضع بند خاص لكل من يتبع الدولة منهم بعد ذلك ، وعلى هذا فلم يكن الجميع ينتمون للدولة بدرجة واحدة ، بل أصبح هناك فرق وتمايز بين أصحاب الحق الكامل ، وبين غيرهم ممن يتبعونهم أو ينزلون بهم .

وعلى الرغم من انضمام كل الطوائف تحت لواء الأمة الاسلامية فانها لم تكن أمة أفراد ، بل أمة جماعات ، فانتماء الفرد الى الأمة انما يكون عن طريق القبيلة أو العشيرة ، وقد نصت الصحيفة على بقاء القبائل كما هي ، ودخولها في الأمة الاسلامية على ما هي عليه ، فظل تشكيل القبيلة الاجتماعي كما هو ، ومع أن نظام العصبية والقبلية الذي كان سائدا في العصر الجاهلي لم يعد له أدنى اعتبار ، فان النظام القبلي باعتباره عاملا من عوامل قوة القبيلة في داخلها وبطريقته في معاملة الغرباء ظهرت فائدته ، فلم يستطع نبذه أو الاستغناء عنه ، فظل رؤساء القبائل كما هم ، ولم يقم غيرهم مقامهم .

أما فيما يختص بعلاقة الأمة بالقبائل ، وتحديد سلطة كل منهما ، وما لكل منهما من حقوق وواجبات ، فقد ظلت القبائل ملزمة بالنفقات التي لا تأخذ طابعا خاصا ، وخاصة فيما يتعلق بفداء الأسرى ودفع الديات ، لأن نظام خزانة الدولة لم يكن قد عرف أو وجد بعد ، وبقى للقبيلة حق الاحتفاظ بنظام الولاء ، فلا يصح

لأي انسان أن يتحالف مع مولى غير مولاه ، وكذلك ظل حق الاجارة من غير قيد ، فيجوز لأي شخص أن يجير الغريب ، وهو باجارته ملزم للجماعة كلها ، ولكن اجارة « قريش » ومن نصرها محرمة على كل من اشترك في هذه الصحيفة .

ومقتضى ذلك أصبح لزاما على القبائل أن تتناسى مسألة الأخذ بالثأر فيما بينها ، لأن أول هدف للأمة الاسلامية هو منع نشوب حرب أهلية داخلية ، فاذا قام نزاع وجب أن يعرض على القضاء ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نص في الصحيفة على أن يتولى هو بنفسه القضاء بين الناس دون سواه .

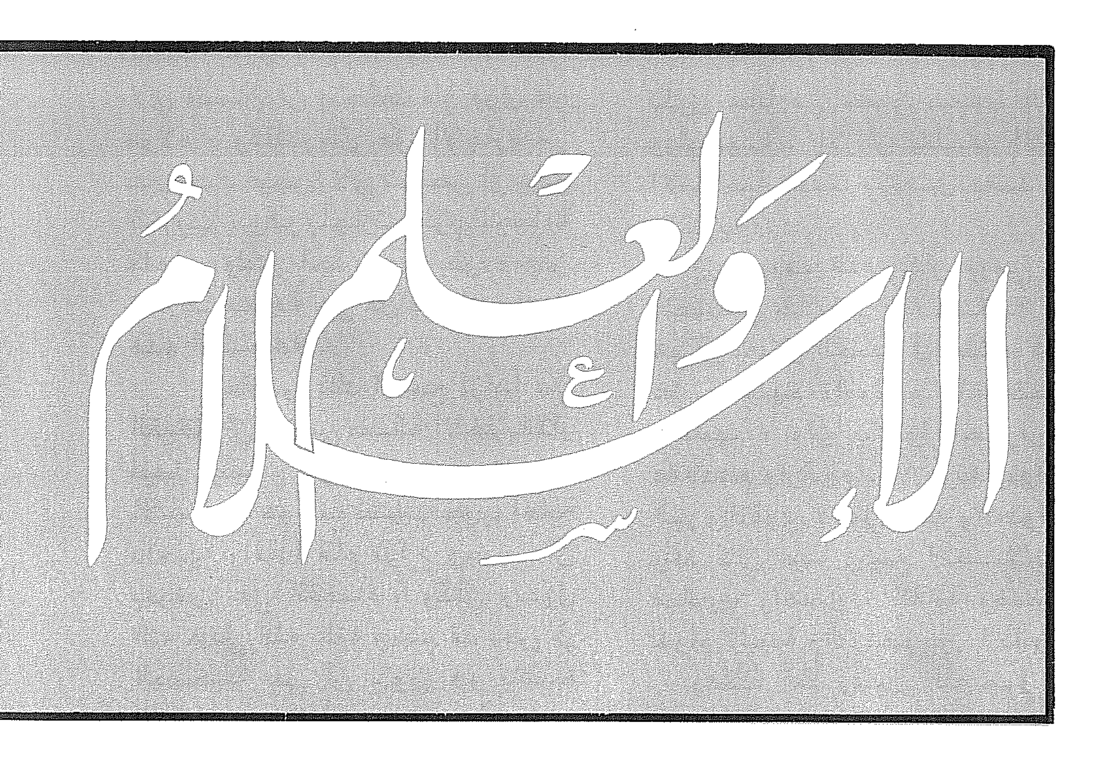
والهدف الثاني الذي بينته الصحيفة هو تضامن القبائل لصد أي عدوان يتهددهم من الخارج ، والمؤمنون ملزمون بالتناصر والتآزر والتعاقل فيما بينهم ، وهم يد واحدة على من سواهم ، وهم جميعا على من بغى منهم ، ولا يقع واجب الثأر على عاتق أهل المقتول بحكم رابطة القرابة ، وانما يقع على كاهل المؤمن ليأخذ بثأر المؤمن ، وبذلك أصبحت الحرب حربا ليس إلا ، وأصبح السلام مع قوم أجانب أمرا يشمل المؤمنين جميعا كما هو الشأن في الحروب .

لقد أوضحت الصحيفة التخطيط الشامل لكل الأمور ، واذا كانت هناك بعض الثغرات التي تتمثل في حق المجني عليه ، في الأخذ بالثأر أو العفو ، وفي حق الاجارة التي يجب أن تكون حقا من حقوق سيادة الدولة ورئيسها ، إلا أن نظام الأمة الاسلامية أخذ يكتمل بعد ذلك بالتدريج .

إن الهدف الذي كان يرمي اليه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه هو أن يعيش الجميع في وطنهم آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأهليهم ، وأن يكونوا أحرارا في عقائدهم وآرائهم ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، ولقد كان فيما وضع الاسلام من مبادىء وأصول ، كفاية وضمان لدوام المحبة والتراحم بين الناس .

وهكذا أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع قواعد المجتمع المثالي الصالح ، الذي يسوده الاطمئنان والاستقرار ، والمودة والوئام ، ويعد له الفرد المثالي الصالح ، الذي يقيم صلته بالله عز وجل على الصدق والاخلاص في عبادته ، والعمل على مرضاته ، ويقيم صلته بالناس على التعاون الصادق في سبيل الخير ، ويعاملهم جميعا على أنهم اخوة ، فمن وافقه في عقيدة الاسلام فهو أخوه في الله عز وجل ، ومن خالفه فيها فهو أخوه في الانسانية .

لقد كان المؤمنون وعلى رأسهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه هم الروح التي تحيا بها الأمة الاسلامية ، وعنصرها الذي به تنهض وتصدر عنه الحركة ، وكلما كانت الدعوة الاسلامية تنتشر كانت الأمة الاسلامية آخذة في طريق التماسك والبناء .



لم يخلق الله سبحانه وتعالى الانسان في هذا الكون ليعبث ويلهو ويلعب .

ولم يخلق الله الانسان ليطغى بقوته وجبروته وصلفه وغروره ، ولم يخلق الله الانسان ليعيش في احضان الجهل .

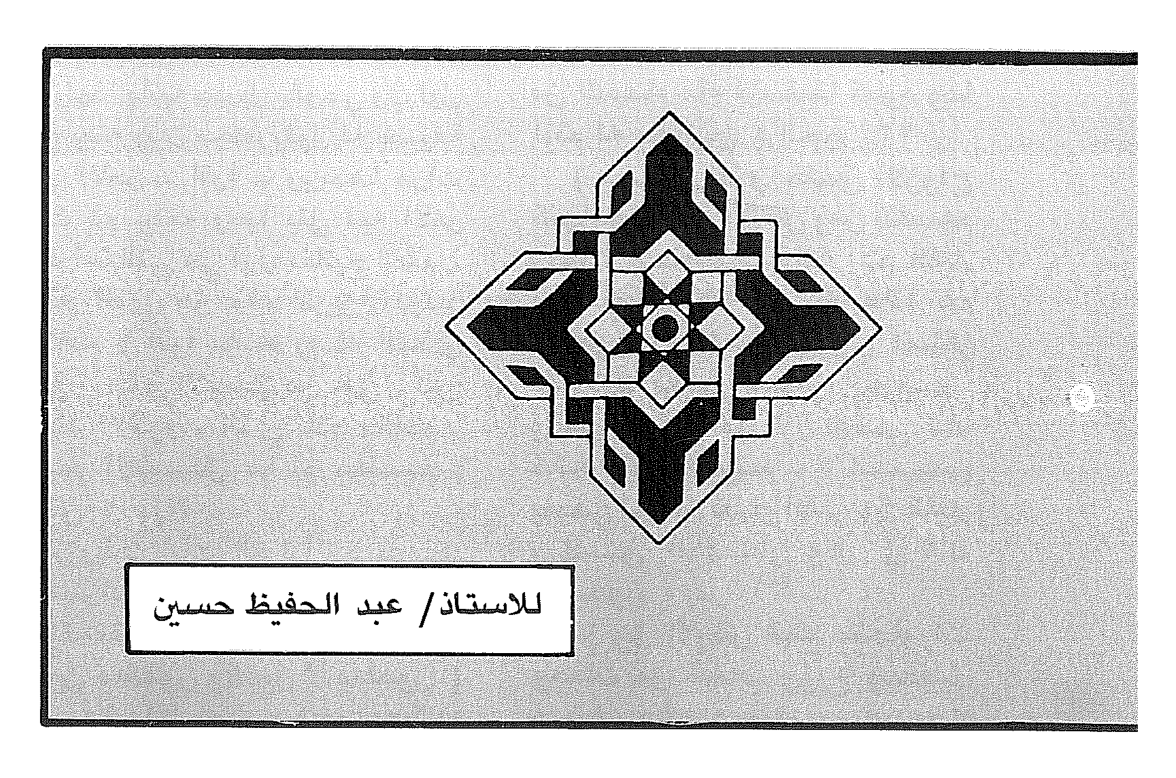
(افحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) المؤمنون/ ١١٥ .

(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) الملك/ ١ و٢ .

فالانسان خلق وركب فيه ما ركب من قوى الادراك والعلم والعمل ليكون خليفة في الارض يعمل على اصلاحها واتساع عمرانها واظهار اسرار خالق الكون فيها وتدعيم اوامر الخير فيها واقرار السعادة والخير في جميع اصقاعها .

وقد ارشد الى هذه الحكمة كثير من آيات القرآن منها قوله تعالى في سورة البقرة وهو يحدث عن مبدأ خلق الانسان :

(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا



آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) البقرة/ ٢٩ ـ ٣٣ .

فهذه الآيات توحي بأن العلم أساس للدنيا والدين . فالخلافة في الأرض والسيطرة عليها وتسخير ما فيها واستغلال خيراتها وثمراتها وطيباتها بل تسخير السموات وما فيها . أساس ذلك كله العلم لا غيره .

ومن ذلك قوله تعالى : (هو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم) الأنعام/ ١٦٥ .

ومن ذلك قوله تعالى : (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) الحديد/ ٧

وقوله تعالى : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) ص/ ٢٦ .

وإذا كانت هذه هي مهمة الانسان في الحياة وهي حكمة خلقه . وحكمة الانعام عليه بقوى العلم والعمل وحكمة تسخير الكون وإخضاعه له في التفكير والتصريف فانه لا سبيل إلى قيام الانسان بهذه المهمة وتحقيق تلك الحكم إلا إذا تحصن بالعلم .

وإذا كانت الخلافة الانسانية في الأرض أساسها العلم فان رسالة الاسلام أساسها العلم أيضا لأن محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والرسل ولأن رسالته مكملة حلقات الرسالات السماوية .

ولهذا يأتيه جبريل بالوحي وفي أول لقاء بينه وبين محمد يقول له بصيغة فعل الأمر ـ اقرأ ـ ويرددها مرات ثلاث ثم يبلغه وحيا يتلى فيه الأمر بالقراءة التي هي أولى مفاتيح العلم ، العلم الذي هو سلم طريق المجد والتقدم **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** العلق/١ ـ ٥ .

وتوالت آيات القرآن تحث على الاستزادة من العلم والاغتراف من رحيقه فقال تعالى : **(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر/ ٩ وقال تعالى : **(وما يعقلها إلا العالمون)** العنكبوت/٤٣ وقال تعالى : **(وقل رب زدني علما)** طه/ ١١٤ .

ولم يكتف الاسلام بهذا بل فتح مجال العلم للعقل الانساني وتعدى به أسرار الطبيعة وتغلغل به في أسوار الحياة .

فقال تعالى : **(فلينظر الانسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم)** عبس/ ٢٤ ـ ٣٢ .

(فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب) الطارق/٥ ـ ٧ .

(وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) الحجر/ ٢٢ .

(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون . وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يس/٣٦ ـ ٤٠ .

(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الرعد/ ٤ .

(ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فصلت/ ١١ و ١٢ .

(أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون . وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون . وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)

الانبياء/ ٣٠ ــ ٣٢ .

(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم) الحج/ ٥ .

هذه الآيات وما جرى مجراها فتحت للعقل الانساني آفاق الكون ووصلت به إلى خير ما قدر له من الانتفاع والرقي والتقدم .

وفي آيات القرآن الكريم دعوة إلى التأمل والمشاهدة والتفكير في ملكوت السموات والأرض لاستنباط الحقائق وما يفيد المجتمع .

(أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت) الغاشية/ ١٧ ــ ٢٠ .

دعوة صريحة إلى المشاهدة والتأمل واستنباط الحقائق العلمية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وعودة صادقة إلى اتباع الأسلوب العلمي في مناحي الحياة .

وكل ما جاء به القرآن في الحث على التفكر والتفكير دليل على مكانة العقل والعلم في نظر الاسلام : إذ العقل آلة التفكير والعلم ثمرة التفكير .

فكل ما ورد في القرآن حثا على التفكير هو إعلان عن فضل العقل وايحاء بالعمل على تربيته وتقويته وهو في الوقت ذاته تسجيل لفضل العلم وايحاء بتحصيله . حتى يتمكن الانسان من الحقائق وتزول عنه غشاوة الجهل . ويتحرر من رق الأوهام والخرافات التي لا صلة لها بواقع الحياة وبهذا كان الاسلام دين الفكر والعقل والعلم .

وقد ارتفع القرآن بالعقل وقدره حق التقدير . وجعله ميزة للانسان استحق بها الخلافة في الأرض وبها احتمل الأمانة التي عجزت عن حملها الجبال والأرض والسموات . **(فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان)** الأحزاب/ ٧٢ .

وأشار القرآن إلى العقل ومشتقاته ومترادفاته في نحو أكثر من ثلاثمائة آية فسماء العقل والفكر والرأي والنظر والفقه والرشد والذكر واللب والحجر والنهى والقلب والفؤاد والحكمة والهدى والبينة والبرهان .

ولم يكتف الاسلام بهذا فحسب بل جعل طلب العلم فريضة .

وقد جاءت آيات كثيرة وأحاديث عدة تدعو إلى النظر والدراسة في هذا الكون الفسيح ونظمه وقوانينه :

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) العنكبوت / ٢٠

(قل انظروا ماذا في السموات والأرض) يونس / ١٠١

(او لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) الأعراف / ١٨٥ .

(قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) سبأ/ ٤٦ .

(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان

يسمعون بها) الحج/٤٦ .

فالقرآن يأمر باستخدام العقل وسائر الحواس استخداما أساسه المشاهدة فالعين يجب ان ترى والأذن يجب أن تسمع والعقل يجب أن ينظر ويفكر .

وهذا هو منطق الاستقراء القائم على المشاهدة والبرهان الحسي والتفكير المنظم المبني على الواقع .

وبناء على التوجيهات القرآنية للناس بالنظر والدراسة وعلى جعل طلب العلم فريضة انطلق المسلمون يدرسون ويبحثون ويترجمون ويقارنون ويغربلون ويقعدون ويؤصلون .

وكان للحديث النبوي وللأسس العلمية التي سار عليها علماء الحديث في تحري الأحاديث النبوية أثر كبير في إيجاد روح الدقة في البحوث العلمية وأساليبها .

ولقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية على أصول ومبادىء عامة صلحت لأن تكون منهجا فكريا سليما حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة .

واستطاعت هذه التوجيهات أن تمكن المسلمين من الاستفادة من تلك القدرة الالهية التي منحها الله للانسان وهي العقل فنمته وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التي خلق من أجلها حتى كانت للمسلمين حضارة وعلوم ومخترعات وكانت هناك تشريعات وفلسفة وقوانين وطب وفلك ورياضيات وأدب واجتماع وتاريخ وجغرافيا وفنون جمالية ومسيقى وآداب للسلوك والاجتماع وكان لكل هذه العلوم والفلسفات اساتذة عباقرة كأئمة الفقه ورجال الحديث الذين ضبطوا أساليب النقد وقعدوا قواعد التشريع .

وعلماء التاريخ والاجتماع والجغرافيا من أمثال : المسعودي وابن حيان وابن بطوطة والبيروني وابن خلدون والزرقاني وابن سعد .

وعلماء الفلك من أمثال : يحيى بن ابي منصور والطوسي وابن جابر والبستاني وأبناء موسى ابن شاكر .

وعلماء الرياضيات من أمثال : الخوارزمي الذي أسس علم الجبر والهندسة التحليلية والميكانيكا والبتاني الذي وضع أسس حساب المثلثات .

حتى الموسيقى كان لها علماء وضعوا أصولها وقواعدها والتاريخ يذكر لنا عشرات العلماء الذين أسهموا في هذا الميدان أمثال اسحاق الموصلي والفارابي وابن محرز والكندي والخوارزمي والغزالي وهيئة علماء إخوان الصفاء « وكثير غير هؤلاء » .

وجاء في رسائل إخوان الصفاء الدستور الذي وضعه العرب للبحث العلمي والفلسفي وهذا الدستور ينحصر في تسعة أحكام وها هي كما جاءت في الرسالة السابقة .

السؤال الأول : هل هو : يبحث عن وجدان الشيء أو عن عدمه والجواب نعم او لا .

السؤال الثاني : ما هو : يبحث عن حقيقة الشيء .

السؤال الثالث : كم هو : يبحث مقدار الشيء .
السؤال الرابع : كيف هو : يبحث عن صفة الشيء .
السؤال الخامس : أي شيء هو : يبحث عن واحد من الجملة أو عن بعض من الكل .
السؤال السادس : أين هو : يبحث عن مكان الشيء أو عن رتبته .
السؤال السابع : متى هو : يبحث عن زمان كون الشيء .
السؤال الثامن : لم هو : يبحث عن علة الشيء المعلول .
السؤال التاسع : من هو : يبحث عن التعريف للشيء .

وتدل هذه الأسئلة على الاتجاه العلمي الذي كان بعض العلماء يسير عليه . وفوق هذا وذاك فقد كان المسلمون هم واضعي طريق البحث العلمي التجريبي الذي كان أساسا للحضارة الأوروبية الحديثة ويكفي أن نستشهد في هذا باعتراف العلامة « بريفولت » .

في كتابه :

العرب وطريق البحث العلمي التجريبي وأنه لم يسبقهم إليها باحث ومفكر .

تلقى المسلمون هذه الينابيع من مصادرها الأصلية واستقرت دعائمها في أعماق نفوسهم وانطوت عليها أفئدتهم وجوانحهم .

فكانت الرائد الأمين لعقولهم وأفهامهم . والغذاء الروحي لغرائزهم ومواهبهم وهذه الينابيع الاسلامية طبعتهم على استقلال الارادة وحرية الفكر .

وكرهت إليهم التقليد والتبعية العمياء ووجهت قولهم للبحث والانتاج .

وفتحت لهم ميادين العلوم والفنون ، فاقبلوا عليها سراعا ودخلوها من كل باب وبهذه النهضة العلمية الجبارة والثورة الفكرية المتحررة . استطاع المسلمون في سرعة لم يعرف التاريخ لها مثيلا . أن ينتقلوا إلى القيادة الفكرية العالمية ويصبحوا أساتذة الدنيا وعباقرة الفنون ورواد الحقيقة .

وكان واصبح هناك قادة وحكام لم يعرف التاريخ لهم مثيلا أمثال أبي بكر وعمر وخالد بن الوليد والمقداد وصلاح الدين الأيوبي وطارق بن زياد وموسى بن نصير ومحمد الفاتح .

وكانت هناك مدن لم يشهد العالم لها مثيلا مثل القاهرة وقرطبة وغرناطة وأشبيلية وبغداد . مدن تزخر بكل ألوان الحضارة .

وكانت هناك دول وممالك في الشرق والغرب بسطت نفوذها وقيادتها وفلسفتها وعبقريتها وشرقت وغربت حتى شملت معظم الرقعة المعمورة من الأرض آنذاك .

كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية الكامنة في الانسان المسلم ففتحت أمامه آفاقا للتحرر من ربقة ما كان عليه الآباء ...

فبحث ودرس وأضاف وجدد وابتكر فكان ذلك النتاج الحضاري الاسلامي الأصيل في سائر المعارف الأنسانية .



للواء محمد جمال الدين محفوظ

ينطوي بناء جيش الاسلام الاول ، الذي كونه الرسول القائد صلى الله عليه وسلم وبنى رجاله وأعد قادته ، وقاده في معارك الدفاع عن الدين ورد العدوان ، على كل مقومات الجيش الذي لا يقهر .

وقد سجل التاريخ لهذا الجيش ـ فوق آيات البطولة والشجاعة وحسن القيادة ـ أنه حقق أعظم الأهداف وهو تأمين الدعوة وحماية بناء الدولة الاسلامية حتى تمت كلمة ربك في الجزيرة العربية .. وكان هذا الجيش مدرسة عسكرية كبرى لها نظرياتها وتعاليمها ، وقد تخرج من هذه المدرسة قادة ومقاتلون حققوا بعد عصر النبوة فتوحات امتدت في أقل من مائة عام من سيبريا شمالا الى المحيط الهندي جنوبا ، ومن الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، كما سجلوا على صفحات

التاريخ الحربي ما أذهل خبراء الحرب من آيات العبقرية الحربية .

وليس من شك في أن تعاليم المدرسة العسكرية الاسلامية ما زالت من القوة والصحة بحيث اذا اتبعتها الأمة العربية والاسلامية لأصبحت جيوشها جيوشا لا تقهر .. فلقد سبقت حكمة الله جل شأنه أن تكون الأمة الاسلامية أمة مجاهدة عزيزة الجانب ، ولم يرد لها أن تخضع ولا أن ترضى بالذلة ، ولا تستكين الى هوان ،

● فأمرها باعداد القوة التى ترهب الأعداء كما يفهم من قوله سبحانه : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)** الأنفال/ ٦٠

● وفرض عليها الجهاد في سبيله ، وجعله الوظيفة الشريفة التى اختارها لأدائها كما يفهم من قوله تعالى : **(وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم)** الحج/٧٨ ـ (اجتباكم يعني اختاركم) .

فالاختيار هنا تكريم وتشريف لهذه الأمة التى جعلها الله في خير منزلة بين الأمم في قوله تعالى : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران/١١٠ ، وفي قوله سبحانه : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)** البقرة/١٤٣ (وأمة وسطا يعني خيارا معتدلين ـ وشهداء على الناس أي في مقام عال ، فان الشهيد ـ لغويا ـ هو الذي ينظر من عل) .

والتكليف باعداد القوة وبالجهاد ، تكليف قائم وباق حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ومقتضى ذلك ألا تفتر عزائم الأمة عن إعداد القوة بعناصرها المتعددة العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها ، ثم ان ورود لفظ القوة مطلقا دون تقييده بشكل معين ، يقضي منطقيا أن تتطور القوة في شكلها ونوعها وتركيبها وأسلوب استخدامها لتناسب روح العصر الذي يحتويها ، والأمة الاسلامية ان لم تفعل ذلك ، ولم تأخذ بأسباب التطور العلمي و (التكنولوجي) ، وتخلفت عن مقتضيات عصرها ، فان قوتها التى أمرها الله باعدادها تفقد قيمتها وفاعليتها ، وتعجز عن إرهاب الأعداء ، فتتعرض الأمة للخطر والهلاك .

ان أخطر ما تتعرض له الأمم هو الغفلة عن الخطر المحدق بها من أعدائها ، والأمة العربية والاسلامية في أشد الحاجة الى اليقظة والحذر ، وهي في صراعها لتحقيق نهضتها الحضارية الشاملة في عصر ساد فيه منطق القوة ، في أشد الحاجة الى « القوة » و التى تتكافأ مع قدرها ومكانتها ، والتى تحمي كيانها وتصون وجودها ، وترهب أعداءها وتمنعهم من التفكير في العدوان عليها . ولا يوجد سبب على الاطلاق يبرر الزعم بأن العرب والمسلمين قد فقدوا الصفات التى مكنت اجدادهم من أن يبنوا قوتهم ويقيموا حضارتهم ، فما يزال الانسان العربي يملك صفات الرجولة والمروءة ، والاستطلاع العقلي الحاد ، والخيال المبدع ..

فلا مراء في أن لدى العرب والمسلمين القدرة على قيادة النهضة الحضارية الشاملة ، وعلى بناء القوة التى تحميها وتدفع عنها العدوان ما استمسكوا بدينهم ، وأقاموا وحدتهم ، وساروا على هدى دينهم في البحث والتطوير ، وعملوا لمستقبلهم بالايمان والعلم ، والصبر والمصابرة .

ويكفي أن نقارن حال العرب قبل الاسلام بحالهم بعد الاسلام ، لكي نكتشف سر ذلك التحول العظيم الذي حدث للعرب بعد الاسلام .. فلقد كانت للعرب قبل الاسلام خبرة طويلة بالحروب ، وكانوا شجعانا لا يهابون الموت ، بل كانوا يعتبرونه في ساحة المعركة شرفا يتباهون به ، ويعدونه في غيرها عارا يأنفون منه ، ومن ذلك قول شاعرهم :

وما مات منا سيد حتف أنفه	ولا طل منا حيث كان فتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا	وليس على غير الظبات تسيل

(الظبات جمع ظبة بضم الظاء والمراد بها السيف)

لكن العرب لم يحققوا ما حققوه من فتوحات وحضارة إلا بعد الاسلام ، ثم نتأمل في سر آخر ، فالرسول القائد صلى الله عليه وسلم كان يحارب في معاركه دفاعا عن الدين عربا بعرب ، بل وقرشيين بقرشيين ، فكان المسلمون ينتصرون على الرغم من تفوق عدوهم عددا وعدة !

فماذا تعلم العرب في المدرسة الاسلامية حتى اصبحوا قوة لا تقهر ؟ وحتى أصبح العربي مضرب الأمثال في الشجاعة والبطولة والعبقرية الحربية ؟

ان الاسلام عقيدة وعملا ، قد أوجد في قلب العرب التربة الصالحة ، وخلق الاستعداد النفسي للغرس والتربية ، يقول الله تعالى : **(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى)** فصلت/ ٤٤ .

كما أن الاسلام قد وجه العرب الى غاية عظمى رفعت أقدارهم وهي إعلاء كلمة الله ، واعزاز راية دينه ، وما يدخل في مفهوم كلمة « سبيل الله » من قيم فاضلة وقضايا عادلة ، وأهداف نبيلة .

فلنتاول الأن أهم الأسس التى تستوحي من تعاليم المدرسة العسكرية الاسلامية في بناء الجيوش بروح العصر الذي نعيش فيه .

أولا : القيادة العلمية

يجمع القادة العسكريون وعلماء الاستراتيجية العسكرية على أنه لا يمكن حل مشكلة واحدة من مشاكل البناء العسكري بدون السيطرة على الطرق العلمية للعمل في الجيوش وقيادتها ، وأن جوهر القيادة العلمية للجيوش في هذا العصر ، بكل خصائصه المعروفة ، يحتم على القيادات العسكرية أن تكون على مستوى

عال من المعرفة ليس في المجال العسكري الخالص فحسب ، بل في مجالات كثيرة للعلوم الطبيعية مثل الرياضيات والفيزياء والاحصاء ، وللعلوم الاجتماعية مثل علم النفس وعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ وعلم الادارة وغيرها .

والاسلام اهتم بالعلم اهتماما بالغا ، فحث عليه ووجه اليه وجعله من أسس الدين نفسه ، ولا أدل على ذلك من أن أول آية نزلت من القرآن على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم تتضمن « **القراءة** » التى هي مفتاح العلم ، و « **القلم** » الذي هو آلة العلم والمعرفة والتاريخ والحضارة ، وأن الله هو الذي علم الانسان كل شيء : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق/٥ ، والآيات والاحاديث التى وجهت الأمة الاسلامية الى العلم كثيرة مستفيضة ، واذا كان العلماء يشهدون التوحيد ، فان منزلتهم بالمكان السامي ، ودرجاتهم في الرفعة والسمو : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) المجادلة/١١ .

ولهذه الجوانب من فضل العلم والعلماء امر الله سبحانه وتعالى رسوله ــ وهو قدوة المسلمين وأسوتهم ــ أن يقول (**رب زدني علما**) طه/١١٤ ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع » الترمذي والنسائي وابن ماجه ، ويقول أيضا : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » رواه مسلم .

وقد اهتمت الجيوش ــ وخاصة بعد الحرب العالمية الاولى ــ بتنمية التفكير العلمي المنظم في عقول رجالها ، فقد انقضى العهد الذي كانت فيه الشجاعة والقوة البدنية تشكلان المقومات الاساسية للنجاح في المعركة ، وأصبح التفكير العلمي المنظم هو المطلب الحيوي الأول للنجاح في القيادة والقتال معا .

من أجل ذلك أنشأت كل الجيوش معاهد عسكرية خاصة لتدريب ضباطها وقادتها على فن التفكير واصدار القرارات على أساس علمي ، وتسمى هذه المعاهد بكليات الأركان ، ويروي أن القائد العام في احدى الدول الكبرى توجه لافتتاح كلية الأركان عند انشائها لأول مرة عقب الحرب الأولى ، فلم يزد في خطابه الذي وجهه الى المجموعة الأولى من الضباط الدارسين على قول كلمتين هما : « تعلموا التفكير » ، ويقول المشير « مونتجمري » معبرا عن تجربته الطويلة في مجالات القيادة : « لقد اقتنعت بأنه لا يمكن لأي قائد في القرن العشرين أن يصبح قائدا عظيما وممارسا ممتازا لفن الحرب ، اذا لم يقم قبل كل شيء بالدراسة والتفكير العلمي المنظم للحرب ، وينبغي أن يكون القائد مفكرا صافي الذهن تماما ، وقادرا على استخلاص العناصر الجوهرية من وسط أكداس العوامل والظواهر الأقل أهمية والتى تتصل بكل مشكلة ، وهذه القدرة على استنباط العناصر الجوهرية يجب الا يصاحبها فقدان الرؤية ، وسوف يفشل القائد ــ في الأغلب ــ إذا لم يكن ذهنه في صفاء الثلج ، واذا لم يكن تفكيره منظما » .

وجملة القول ان « القدرة على اتخاذ قرار سليم في الوقت المناسب » من أول مطالب الحرب الحديثة في الرجل العسكري قائدا كان أو جنديا ، والتفكير العلمي المنظم هو المدخل الصحيح الى القرار السليم ، وعملية التفكير لاتخاذ القرار أو لحل المشكلة يجب ان تسير على المنهج العلمي الذي يقوم على العناصر التالية :

● تحديد المشكلة تحديدا صحيحا .

● دراسة المعطيات والبيانات وتحليلها أو وضع الفروض عن العوامل المسببة او المحددة للمشكلة واختبار كل فرض منها .

● استعراض البدائل التى تسهم في حل المشكلة على ضوء المعطيات أو الفروض الصحيحة .

● اختيار البديل الأفضل .

هذا المنهج العلمي هو أحد الأسس الرئيسية التى قامت عليها أحدث النظريات العلمية التى تستهدف حل المشكلات ومعاونة القائد في عمليات اتخاذ القرارات وتسمى بحوث العمليات Operations Research ، وهي مجموعة من الأساليب الرياضية المستخدمة في تحليل المشكلات والبحث عن الحلول المثلى لها ، ويعرفها علماء الادارة بأنها هي « استخدام الطريقة العلمية في تحليل المشكلات الادارية » . وقد أصبحت لبحوث العمليات أجهزة متخصصة في كل تنظيم حديث في الحياة المدنية والعسكرية على السواء .

والواقع والمدهش أيضا ، أن المنهج العلمي الذي لم يشعر بأهميته الناس الا حديثا ، منهج اسلامي ، سبق به الاسلام منذ أربعة عشر قرنا .

فليس من شك في أن الاسلام هو دين الفكر والعقل والعلم ، وأنه حث على التفكير والتفكر والمشاهدة والتأمل والنظر في ملكوت السموات والأرض لاستنباط الحقائق العلمية والوصول الى معرفة نواميس الكون ، وهو ما يفهم من قول الله تعالى :

- **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** العنكبوت/ ٢٠
- **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض)** يونس/ ١٠١
- **(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها)** الحج/ ٤٦

وهكذا نرى أن القرآن الكريم يأمر باتباع المنهج العلمي في مناصي الحياة ويأمر باستخدام الحواس استخداما أساسه المشاهدة ، فالعين يجب أن ترى ، والأذن يجب أن تسمع ، والعقل يجب أن ينظر ويفكر . وهذا هو منهج الاستقراء القائم على المشاهدة والبرهان الحسي والتفكير المنظم المبني على الواقع ، وهو المنهج الذي قامت عليه الحضارة الحديثة كما يشهد بذلك التاريخ والمنصفون من علماء الغرب مثل « جوستاف لوبون » الذي قال : « قام منهاج العرب على التجربة والترصد ، وسارت أوروبا في القرون الوسطى على درس الكتب والاقتصار على

تكرار رأي المعلم ، ونشأ عن منهاج العرب التجريبي وصولهم الى اكتشافات مهمة » ومثل الأستاذ بريفولت الذي قال : « ان الأوروبيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمي التجريبي وانه لم يسبقهم اليها باحث أو مفكر » .

ولو قيض الله سبحانه للحضارة الاسلامية أن تسير في طريقها دون عوائق ، لكان المسلمون هم الذين غزوا الفضاء ، وكانوا هم الذين وصلوا الى القمر والى غيره مما سخره الله للانسان من كواكب .

فعلى الأمة العربية والاسلامية أن تحرص على توفير القيادة العلمية لجيوشها :

- عن طريق تزويد قادتها بأعلى مستويات المعرفة في علوم الحرب والعلوم الطبيعية والاجتماعية وعلوم الادارة التى أصبحت من الضرورات الحيوية للقيادة العصرية .
- وعن طريق انشاء أجهزة بحوث العمليات وتزويدها بكل ما يلزمها من علماء ومتخصصين وأموال ومعدات .

ثانيا ـ نظريات عسكرية عربية

لكل دولة راقية نظرياتها الخاصة في كل ما يتعلق بشئون الحرب ، مثل بناء الجيوش وتدريبها وتسليحها ، واعداد القادة وأساليب القتال والحرب النفسية وغيرها مما يطلق عليه « العقيدة العسكرية » و « الاستراتيجية العسكرية » .

ويتولى وضع العقيدة والاستراتيجية العسكرية كبار القادة والخبراء العسكريين الذين يجمعون بين العلم والتجربة العملية في قيادة وادارة الحرب ، وتتحول النظريات التى يضعونها الى مناهج للدراسة في كلياتهم العسكرية يتلقاها الضباط والقادة ، ثم تطبق هذه النظريات عمليا في ميدان القتال عندما تشترك الدولة في الحرب .

ومن الحقائق المعروفة أن النظريات العسكرية تختلف من دولة لأخرى ، لأن لكل دولة ظروفها الاستراتيجية والاقتصادية والبشرية ، ووجهات نظرها التى تحكم تصورها للأهداف والوسائل التى تحصل بها على النصر في الحرب ضد أعدائها .

وتعتبر نظريات كل دولة في شئون الحرب سرا من أسرارها ، لأنها تتصل مباشرة بسلامتها وأمنها ، ولذلك نراها اذا أعطت شيئا للدارسين من غير أبنائها ، تحرص كل الحرص ـ وهذا أمر طبيعي لا يخفي على الفطن ـ على ألا تقدم لهم من العلم والخبرة والسلاح الا ما يكون العلم به أو العمل به لا يضر بمصالحها الاستراتيجية ، أوما يكون قد تقادم به العهد ، فأصبحت تملك ما هو أفضل منه ، أو أصبح متخلفا عن مقتضيات العصر .

ولقد عاشت دول عربية واسلامية كثيرة زمنا طويلا تعتمد على الدول الأجنبية في مجال العلوم العسكرية والصناعة الحربية ، فأصبح رجال العسكرية فيها

يدرسون النظريات العسكرية الأجنبية وأعمال القادة الأجانب ، والتاريخ العسكري للدول الاجنبية وكأنه ليس للعرب ولا للمسلمين نظريات عسكرية ، ولا قادة ، ولا تاريخ عسكري يستحق الدراسة .. كما أصبحت هذه الدول تعتمد في تسليح جيوشها أساسا على استيراد السلاح ، وكأنه ليس للعرب والمسلمين قدرة على صناعة السلاح !

ولقد آن الأوان لكي تكون للأمة العربية والاسلامية نظرياتها العسكرية الخاصة بها كما هو الحال لدى الدول العظمى ، وآن الأوان لكي تمتلك القدرة على صناعة السلاح الذي يناسب مقتضيات العصر .

فكيف يكون للأمة العربية والاسلامية نظرياتها العسكرية الخاصة بها كما هو الحال لدى الدول الكبرى ، وكيف تتملك القدرة على صناعة السلاح المناسب لمقتضيات العصر ؟

ان الأمر لا يقتضي أن تذهب الأمة بعيدا ، فكتاب الله وسنة رسوله ، خير مرشد لها على الطريق ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « إني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه » (رواه الحاكم) فالواقع أن الاسلام حضارة كاملة ، فالقرآن الكريم ليس كتاب دين يحث على اخلاص العبادة لله ، والتقرب اليه فحسب ، وانما هو الى جانب ذلك وما يتصل به من عقائد وعبادات وأوامر ونواه ، دستور من أعظم الدساتير التى عرفتها الانسانية في تاريخها الطويل ، وذلك بما تضمنه من القواعد القوية الكفيلة بقيام المجتمع الانساني السليم كما يقول الله تعالى : (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) الانعام/٣٨ وكما يقول تعالى : (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم**) المائدة ١٥ ، ١٦ .

وكما نظم الاسلام كافة امور الحياة دينا ودينا ، فقد عالج أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ووضع خير المناهج والمبادىء لكل ما يتصل بها من حيث أهدافها وأساليب ادارتها وقوانينها وآدابها .

« والعسكرية الاسلامية » تمثل جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية ، ومن الحضارة الانسانية بالتالي ، فلولا جهاد المسلمين الأوائل واسترخاصهم المال والنفس والولد في سبيل الله ، لتغير وجه التاريخ ، ولتخلفت مواكب الحضارة الحديثة عن الظهور ، لقد كان لأجدادنا المسلمين الأوائل فضل تأسيس هذه الحضارة وشق الطريق لهذه الفتوحات العبقرية في ميادين العلوم الطبيعية والانسانية وكان فضلهم هذا ، من بعض ثمرات الجهاد في الاسلام .

والباحث العسكري المدقق ، لا يجد في الاسلام كل ما تحتويه المدارس العسكرية للدول العظمى في الشرق والغرب من نظريات فحسب ، بل انه يخرج من الدراسة المقارنة بأن نظريات الاسلام تتجاوز نظريات تلك الدول وتتفوق عليها ، سواء من الناحية الفنية والعسكرية البحتة ، أو من حيث نبل المقاصد

والأهداف ، ولنضرب مثلا :ـ أصبحت « نظرية الردع » مفتاح الاستراتيجية العسكرية في القرن العشرين وخاصة بعد أن تحقق ما يسمى « بالتوازن الذري » بين الكتلتين المتنافستين الشرقية والغربية ، ومعنى التوازن الذري امتلاك كل من الكتلتين لأسلحة الدمار النووية كالقنابل الذرية والهيدروجينية بقدر متكافيء تقريبا بحيث لا يكون لاحداها تفوق محقق وساحق على الأخرى .

وقد تولد عن هذا التوازن افتتاع لدى كل منهما بعدم جدوى الحرب ، وبأن نشوبها بينهما هو بمثابة « عملية انتحار » رهيبة ، وذلك لأن كلا منهما تملك القدرة على « الردع » والانتقام اذا تلقت الضربة المدمرة أولا .. وقد عبر عن هذا المعنى قائد عسكري كبير بقوله : « إن أية حرب عالمية في هذا العصر قد تكون انتحارا عاما ونهاية للحضارة التى نعرفها ، وإن كلا من الدولتين العظميين لن تخاطر بعواقب استخدام هذه الأسلحة النووية ، لأن الدمار الذي سيترتب على الضربة الانتقامية لأي منهما سيكون مروعا ، كما أن كلا منهما لن يكون على يقين تام من النصر » .

وهكذا يتبين أن « القوة » حققت أهدافها في منع قيام الحرب بقوة « الردع » لكن العالم لم يصل الى تلك النظرية الا في القرن العشرين ، وبعد معاناة قاسية وطويلة في حروب طاحنة اكتوى بنارها ، كما عبر عن ذلك الاستراتيجي الكبير الجنرال اندريه بوفر في قوله : « ان رجل القرن العشرين الذي تلاحقه مآسي الحربين العالميتين ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ، هذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث ، ربما وجد أخيرا الوسيلة لمنع وقوع مثل هذه المآسي . وهي استراتيجية الردع ، فلقد أصبح العنصر الحاسم اليوم هو الردع بلا جدال » .

هذه النظرية « الردع » التى لم تتبلور في أذهان خبراء الحرب الا في هذا العصر ، هي احدى النظريات التى سبقت بها العسكرية الاسلامية منذ أربعة عشر قرنا . فان اعداد « القوة » واظهارها « لارهاب الأعداء » واخافتهم من عاقبة عدوانهم هو موقف مبدئي للاسلام تجاه أعدائه وأعداء أمته ، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الأنفال/ ٦٠ ، وقد طبق الرسول القائد صلى الله عليه وسلم هذه النظرية في صراعه ضد أعدائه بعد أن أذن له بالقتال ، فمن بين ثمان وعشرين غزوة قادها ضد المشركين واليهود نشب القتال في تسع منها فقط بينما فر الأعداء في تسع عشرة غزوة بدون قتال ، ولم يكن فرار الأعداء الا حسابا لعواقب قتالهم للمسلمين وهذا هو « الردع » على أفضل صوره ، وان قمة الردع لتتمثل في غزوة فتح مكة ، اذ كانت خطة الرسول صلى الله عليه وسلم العبقرية في اظهار قوة المسلمين كفيلة « بردع » الأعداء ومنعهم من التصدي للمسلمين وهو ما ينطق به قول زعيمهم أبي سفيان : « يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به » .

غير أن الدراسة المقارنة تكشف عن الكثير مما تنفرد به نظرية الردع الاسلامية من الخصائص الفاضلة والمقاصد النبيلة ، وليس هذا بالأمر الغريب ، فهي تتفق بداهة من جوهر الاسلام الذي هو دين السلام .

فنظرية الردع الحالية قد نشأت كما ذكرنا مرتبطة بالتوازن الذري الناشيء عن تملك كل من الكتلتين لقدر متكافيء تقريبا من الأسلحة النووية وعن قدرة كل منهما على الرد والانتقام اذا ما هوجمت أولا .

وهذا الارتباط بين نظرية الردع وبين التوازن الذري لا يوحي بالاطمئنان ، ولا يؤدي الى الثقة في قيام سلام حقيقي في هذا العالم ، وذلك لأن « فقدان » هذا التوازن أو اختلاله ــ وهو احتمال وارد ــ بحصول احدى الكتلتين على تفوق ساحق على الأخرى ، سوف يؤدي حتما الى اندلاع حرب نووية ، وقد عبر عن ذلك الجنرال أندريه بوفر نفسه في قوله : « ولكن هل سنسير نحو السلام ؟ بالتأكيد كلا » . ثم أوضح السبب في ذلك وهو وجود الرغبة في التوسع والامتداد .

وهنا نستبين احدى حسنات نظرية الردع الاسلامية ، وذلك لأنه اذا تملكت الأمة الاسلامية القوة المتفوقة على خصومها بحيث يصبح ميزان القوى في جانبها ، فان ذلك لن يغريها باستخدام القوة ضدهم ما داموا يمتنعون عن العدوان .. فالأمة الاسلامية لا تتعدى حدود الردع ، ما دام يحقق الهدف منه وهو ارهاب العدو واخافته ومنعه من استخدام القوة وذلك لسببين :ــ

- أن القصد من اعداد القوة في الاسلام هو ارهاب العدو ليمتنع عن استخدام القوة والعدوان .
- وأن العدوان ليس غاية من غايات الحرب في الاسلام ، فلم يشرع القتال الا اعلاء لكلمة الله ودفاعا عن الأمة الاسلامية ضد الاعتداء .

ولعل أبلغ دليل عملي على ذلك غزوة الفتح ، فلقد كانت كل الظروف مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكري ساحق على قريش ، لكن الرسول القائد صلى الله عليه وسلم قرر أن يتم الفتح بدون قتال ، وتحقق قراره عمليا بالتخطيط والتنفيذ .

ومن المقاصد النبيلة لنظرية الردع الاسلامية أيضا أنها تهيىء الفرص الحقيقية لحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية . فان ما تتميز به الأمة الاسلامية من أن دينها يمنع العدوان ، ومن أنها تملك ــ وبأمر دينها أيضا ــ القوة القادرة على رد العدوان وقهره ، يقنع الأمم الأخرى بالامتناع عن اللجوء الى القوة ، وهي مطمئنة الى أن طريق السعي لحل المشكلات بالوسائل السلمية ، ليس مفتوحا فحسب ، بل هو طريق مضمون النتائج ، لا تحيط به الشكوك ، ولا تنعدم به الثقة ، وليس فيه مخاطرة بالتنازل ــ تحت تهديد القوة ــ عن شيء من حق أو كرامة ، ولكن تحوطه كل معاني حب السلام والحق والعدل .. تلك لمحة سريعة عن احدى نظريات العسكرية الاسلامية لم يتسع المجال لشرح كل خصائصها ، وانما قصدنا بها أن نؤكد أن الأمة العربية والاسلامية يمكن أن يكون لها نظرياتها الخاصة في مختلف شئون الحرب مع الثقة الكاملة في أن تلك

النظريات تملك من الخصائص ما لا تتسامى اليه غيرها من النظريات .

ثالثا : الصناعة الحربية العربية

لقد جعل القرآن الكريم العناية بهذا اللون من العلم آية على صدق الايمان وحسن الجهاد ، وهو ما يفهم من قوله تعالى : **(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز)** الحديد/ ٢٥ .. وختم الآية الكريمة بهذين الاسمين الجليلين **(قوي عزيز)** اشارة الى أن الله يحب لعباده المؤمنين القوة والعزة ، وأن كل ما يوفر ذلك نظريا وتطبيقيا هو من وسائل التقرب اليه ، ومن دلائل تقواه جل شأنه .

فلا يقول قائل : انه يكفينا أن نأخذ من غيرنا عتاد الحرب ، لأن الواقع ــ كما ذكرنا ــ هو أن معظم الدول الأجنبية تحرص ــ بطبيعة الحال ــ على أن تكون لها أسرارها الخاصة بها في كافة المجالات العسكرية النظرية والتطبيقية ، فلا تقدم لغيرها من عتاد الحرب الا ما لا يضير العمل به بمصالحا الاستراتيجية ، أو ما يكون قد تقادم به العهد ، أضف الى ذلك أن الاعتماد الكامل على الدول الأجنبية يضعنا في مهب المصالح والسياسات والأهواء المتقلبة .. وهل يغيب عن العرب والمسلمين أن اسرائيل على الرغم من اعتمادها على الولايات المتحدة الأمريكية كمصدر رئيسي للسلاح ، لا تركن الى ذلك فتهدأ وتستكين ، بل تسعى بكل وسائل البحث العلمي والصناعة ، نحو تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي في مجال التسليح ، وذلك على الرغم من الروابط الاستراتيجية القوية التى تربطها بأمريكا والعالم الغربي ؟؟

لقد أثنى الله عز وجل على عدد من أنبيائه الكرام وعباده الصالحين ، فذكر تفوقهم في علوم الصناعة ، وجهودهم في تطويع هذا التفوق لنصرة الحق ، ودعم جانبه ، فقال جل شأنه يصف داود : **(وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في السرد)** سبأ/ ١٠ ، ١١ .. وإلانة الحديد ، هي المهارة في ايجاد شتى الآلات والمعدات منه ، والوصول بصناعاته إلى حد الاتقان دون إعياء أو قصور ، ذلك لحسن الخبرة وطول الدربة .. وقد أمر الله داود بتقدير السرد أي كلفه باحكام النسج للدروع السوابغ التى ينتجها حتى تخرج في أعلى مستوى مستطاع . وفي موضع آخر يصف داود بنوعين من العبادة والعلم ، أولهما طول الذكر والتسبيح ، والآخر اجادة المعدات الحربية ، فقال تعالى :

(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) الانبياء/ ٧٩ ، ٨٠ .. وعباد الله الصالحون ، أثبت القرآن صلاحهم وهم يقومون بأعمال رائعة تدل على علم بالحياة وخبرة عميقة بشئونها ، فهذا ذو القرنين يقول للذين منوه بالمكافأة اذا بنى لهم سدا يحميهم من أعدائهم : **(ما مكني فيه ربي خير**

فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما) الكهف/ ٩٥ .
وهنا يظهر علم الرجل ببناء القلاع فيحول منطقة عمله الى مصانع يصهر فيها النحاس ، وتغلى المواقد ، ويقطع الحديد ، وتمهد الأرض ، وتسوي جوانب الجبل ، ويؤدي الرجال الأتقياء واجبهم لله على هذا النحو الذي يحمي الضعاف ، ويصون الحق ، ويعلي شأن الايمان : **(آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا)** الكهف/ ٩٦ ، ٩٧ .
وقد أفتى العلماء باتفاق أن اقامة الحرف والصناعات فريضة على المجتمع كله ، يأثم بتركها ، وعلى الأفراد الصالحين لهذه الفنون بمواهبهم وقدراتهم أن يجودوا فيها ، ويخدموا أمتهم ورسالتهم بها .
وأبلغ دليل على اهتمام العرب بعد الاسلام بالصناعة الحربية أنهم برعوا — وهم أبناء الصحراء — في صناعة السفن وقيادة الأساطيل وحرب البحار ، لقد رأوا — دون انتظار لنص موجه — أن كتابهم لا يعلو في عالم يجهلون فيه شئونه البحرية ، فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج ، وبلغوا في هذا المجال درجة عالية فسيطروا على بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) وكانت أساطيل الرومان والفرنجة كما يقول ابن خلدون : « تهرب أمام البحرية العربية ولا تحاول الدنو من أساطيل المسلمين التى ضريت عليهم **كضراء** الأسد على فريسته » .

رابعا : الصناعات الثقيلة

وهذا المبدأ مرتبط بسابقه ، إذ أن المعروف أن أسلحة الحرب وخاصة الأسلحة الثقيلة كالمدافع والدبابات والطائرات والسفن الحربية والصواريخ ، لا تقوم صناعتها الا على أساس الصناعة الثقيلة التى تعتمد على صناعة الحديد والصلب . والتوجيه القرآني حول الحديد في الآية الكريمة **(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)** يوحي بعدة مباديء على الأمة العربية والاسلامية ان تعيها وتلتزم بها :-

- أن تقيم الأمة بنيانها الاقتصادي على « الصناعة » أساسا ، والمعروف لدى علماء الاقتصاد أن الصناعة (وليس الزراعة) هي الأساس الحقيقي للتنمية الاقتصادية ولتقدم الأمم وقوتها .
- وأن تتجه الأمة في التصنيع نحو « الصناعة الثقيلة » التى هي أساس لصناعة الأسلحة والمعدات الحربية ذات « البأس الشديد » .
- وأن تتملك الأمة العربية والاسلامية زمام « صناعة الحديد والصلب » التى لا تقوم الصناعة الثقيلة الا على أساسها .

كل هذا أكدته الآية الكريمة حول الحديد ، الذي اتفق الاقتصاديون على انه هو مصدر القوة الحقيقية للأمم :

● في مجال الحرب : (**فيه بأس شديد**)
● وفي مجال التنمية الاقتصادية عامة (**ومنافع للناس**)

خامسا : التعبئة الاقتصادية والتكامل الاقتصادي

من الأمور الطبيعية أن تتطور محتويات « القوة » على مر العصور نتيجة لعوامل كثيرة على رأسها التقدم العلمي وما ينتج عنه من اختراعات ونظريات .

وفي عصرنا الذي نعيش فيه لم تعد الحرب قاصرة على تصارع الجيوش في ميادين القتال المحدودة كما كان الحال في الماضي ، بل أصبحت طبيعة الحرب الحديثة تعني أن الشعب وقواته المسلحة يخوضون الحرب ، ويتحملون أعباءها ويواجهون مخاطرها ، وأصبحت قوة أية دولة وقدرتها على تحقيق أهدافها الاستراتيجية لا تقاس بمدى قوتها العسكرية أو قوة جيشها فحسب ، بل بمتانة اقتصادها وقوة معنويات شعبها ، وتقدمها العلمي والفني الى غير ذلك من عناصر القوة المادية والمعنوية .

والمدهش أن الاسلام قرر هذا المبدأ وسبق به قبل أربعة عشر قرنا ، فلو نظرنا الى متانة الاقتصاد لوجدنا أن الاسلام يربط بينها وبين القوة الحربية برباط وثيق يتمثل فيما يلي :

١ ــ وحدة الأصل ، فالاقتصاد والقوة العسكرية ينتميان الى أصل واحد هو « القوة » التى أمر الله باعدادها في الآية الكريمة (**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة**) الأنفال/ ٦٠ ، ويؤكد ذلك ورود لفظ القوة مطلقا دون تحديد ، مما يجعله يتسع ليشمل كل مصادر القوة ولا ينحصر في القوة الحربية فقط .

٢ ــ التكليف بالجهاد بالمال (وهو عصب الاقتصاد) مقترنا بالتكليف بالجهاد بالنفس ، كما يفهم من قول الله تعالى : (**وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله**) التوبة/ ٤١ ، وقوله سبحانه : (**ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض**) الأنفال/ ٧٢ .

ومما يدل على تأكيد القرآن لأهمية الجهاد بالمال وخطره ، أنه قدمه على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات القرآنية التى تحث على الجهاد ، فقد يكون الجهاد بالمال أشد ضرورة وحاجة من الجهاد بالنفس ، لأن الجهاد بالمال أمر لابد منه في تزويد الجيش بمطالبه ، وهو لذلك أمر لا حدود له اذا ما قورن بالجهاد بالنفس ، اذ أنه يمكن الاكتفاء من الرجال بالعدد الكفيل بالتغلب على العدو ، كأن يكون جيش المسلمين ضعف جيش العدو أو ثلاثة أضعافه ، أما المال فلا حدود لطلبه ، لأن الحرب تحتاج الى مال غير محدود ، وبذلك يمكن للانسان أن يشارك في الجهاد بماله ، اذا لم يجاهد بنفسه ، وان كان المجاهد بنفسه وماله معا في طليعة المقربين الى الله أكثر من المجاهد بأحدهما فقط « **ولكل درجات مما عملوا** » .

ووجه آخر من الحكمة في ذكر الأموال قبل الانفس هو أن غير القادرين على الجهاد بالنفس لعذر من الأعذار كالضعف أو المرض أو بسبب بعدهم عن مكان المواجهة مع العدو ، عليهم أن يساهموا في المعركة بالمال (أو ما يقوم مقامه من الناحية الاقتصادية كالطعام أو السلاح أو البترول أو غيرها) بقدر استطاعتهم وبذلك يستفيدون من هذا الاسهام المستطاع مثوبة عند الله تعالى ، ويكونون راضين عن أنفسهم .

ثم ان الجهاد بالمال يدعم نظرية الردع الاسلامية التى تحدثنا عنها ، وذلك لأن المال هو عصب الحرب كما يقولون ، فاذا رأى العدو أنه سوف يواجه قوة عسكرية تساندها قوة اقتصادية لا تنفد ، فسوف لا يستهين بالمسلمين ، ولا يعلق أمله على التغلب عليهم .

وهكذا يشكل الجهاد بالمال ركنا من أركان الاستراتيجية العسكرية الاسلامية ، ومن أجل هذا المعنى أجاز الاسلام لولي الأمر أن يأخذ من أموال الناس في زمن الحرب ما تدعو اليه الحاجة .

ثم ان الجهاد بالمال كالجهاد بالنفس يكون وقت الحاجة والضيق ، أفضل منه في الأوقات الأخرى ، كما بين الله تعالى ذلك فيمن أنفق وقاتل قبل فتح مكة ، حين كان الاسلام في أول أمره في حاجة الى المساعدة والمعونة ، وكيف أن الله تعالى أعلى مرتبتهم ، ورفع درجتهم عن الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، مع أن الله وعد الجميع الحسنى على أصل البذل والجهاد لما فيه من النفع والفائدة ، وما لفاعلها من الأجر والثواب ، قال عز وجل :

(وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) الحديد/ ١٠ .

وفي فضل الانفاق في سبيل الله يقول الله تعالى : **(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)** البقرة/ ٢٦١ .

والأحاديث التى تؤكد الربط بين العسكرية والاقتصاد كثيرة نذكر منها :

● ورد عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا في سبيل الله فقد غزا » رواه الترمذي والبخاري ومسلم .

● وعن خريم بن فاتك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق نفقة في سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف » رواه الترمذي وحسنه والنسائي .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده ، فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة » رواه البخاري (ومثل الفرس كل عدة من عدد

الحرب التى تختلف باختلاف العصور والأزمان) .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله . نودى من أبواب الجنة كلها : يا عبد الله هلم » (أي أن كل أبواب الجنة تنادي عليه ليدخل وهذا زيادة في التكريم) رواه البخاري .

ولقد أنفق المسلمون الأوائل أموالهم في سبيل الله : مات الرسول صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير ، وأنفق أبو بكر رضي الله عنه جميع ماله في سبيل الله وكان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين ، وأنفق عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصف ماله ، كما جهز عثمان بن عفان جيش العسرة في غزوة تبوك بالاضافة الى الأموال الطائلة التى أنفقها على غيرها من الغزوات .

أما آل محمد صلى الله عليه وسلم فقد روى الحسن عنهم قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « والله ما أمسي في آل محمد صاع من طعام وانها لتسعة أبيات » . « والله ما قالها استقلالا ، ولكن أراد أن تتأسى به أمته » .

وعلى أساس أن التكليف بالجهاد هو تكليف بالجهاد بالأموال والأنفس ، فان المؤمنين يستجيبون لنفير الجهاد بأموالهم وأنفسهم ، لا يستأذنون فيما هو فريضة وتكليف كما يفهم من قول الله تعالى : (**لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون**) التوبة/ ٤٤ ، ٤٥ .

ويجيز الاسلام لولي الأمر أن يأخذ من أموال الناس في ساعات الحرب ما تدعو اليه الحاجة ، ومن أمثلة ذلك ما يدخل في اجراءات التعبئة وقت الحرب من الاستيلاء على عدد من سيارات النقل المدنية والسفن التجارية لصالح « المجهود الحربي » .

وبهذا المفهوم فان تكاليف المعركة لا تحتمل أن تأخذ صفة الهبات أو التبرعات أو التراحم ، بل هي « تكافل عام » مفروض على أبناء الأمة الاسلامية جميعا .. فالأمر ــ في مجال التراحم ــ في صدقات البر والتطوع موكول الى الضمائر ، أما في « التكافل العام » فالاسلام يفرض الزكاة ركنا من أركان الدين الخمسة ، ويفرض الجهاد على القادرين من أبناء الأمة تكليفا ملزما ، من نكص عنه ظلم نفسه ، وعق دينه وأمته .

ثم انه بمقتضى التكليف بالجهاد ، والأمر باعداد القوة لارهاب الأعداء ودفع عدوانهم ، فلا بد أن يقوم النظام الاقتصادي للأمة الاسلامية على أساس « التكامل » الذي يكفل أفضل استغلال واستثمار لموارد الأمة وطاقاتها ، والذي يحقق للأمة قدرا كبيرا من « الاكتفاء الذاتي » ، وهو مطلب حيوي لبناء القوة المنشودة ، لأنه لا يضع الأمة الاسلامية تحت رحمة الاحتكارات الدولية أو تقلبات

المصالح والسياسة الدولة ، ولأنه هو الضمان الأكيد لفاعلية القوة واستمرارها وتطورها .

سادسا : الكيان العسكري للأمة

ان بناء الكيان العسكري للأمة أهم وأخطر – في نظر الأمم الواعية – من بناء الجيش ، اذ أن الكيان العسكري هو الضمان الحقيقي لفاعلية الجيش ، ولقدرة الأمة على تحقيق أهدافها ، وهو الذي يمكن الأمة من ردع العدوان في أية لحظة ، وتحقيق النصر في أقل وقت ممكن ، والصمود للحرب طويلة الأمد ، والتقليل من الخسائر التى تسببها ضربات العدو ، والمحافظة على درجة عالية من الروح المعنوية وعلى ارادة القتال لدى الشعب بأسره .

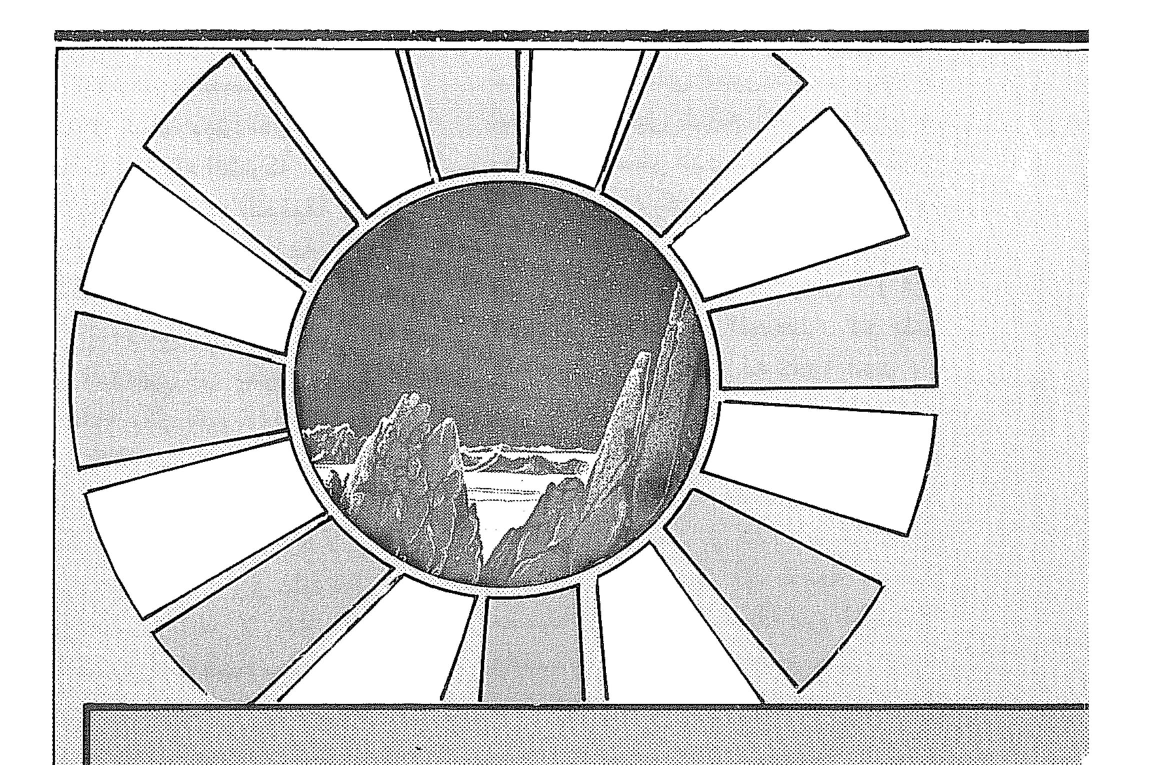
« والكيان العسكري للأمة » لا يقوم الا على أساس « الكيان العسكري لكل فرد فيها » ، وينبع هذا من احساس كل فرد بأن شخصيته ووجوده ومصيره ، وآماله في حياته الخاصة والعامة ، ترتبط ارتباطا وثيقا بايمانه برسالته ، وأدائه المخلص لعمله وواجبه ، وبناء قدراته العلمية والفنية ، وادراكه الواعي للخطر المحدق بأمته ، وتأهبه الدائم لرد أي عدوان يقع عليها .

وسجلات التاريخ حافلة بالأمثلة التى تبرهن على القيمة العظمى للكيان العسكري للأمة ، وعلى أنه قد يكون لدولة ما قوات مسلحة ضخمة ومتفوقة عسكريا في التنظيم والتسليح ، ومع ذلك فهي تعجز عن التغلب على قوات أمة صغيرة ، ذلك لأن تلك الأمة الصغيرة تملك كيانا عسكريا – وهو ما لاتملكه الدولة الكبرى – يجعل من قواتها العسكرية القليلة مع تضامن شعبها ، قوة قادرة على صنع ما يشبه المعجزات .

من أجل ذلك نشأ المبدأ الذي يقول : « ان القاعدة العريضة لوجود الدولة هي الأمة المسلحة ، وبغير هذه الأمة المسلحة لن يكون هناك أي كيان مهما بلغ حجم القوات المقاتلة وامكانياتها » .. ويقول الجنرال ديجول : « كلما عدنا الى دروس التاريخ الحربي البعيدة أو القريبة ، نجد أن الشعوب أو الدول التى تفقد كيانها العسكري تخسر الحرب قبل أن تدخل أية معركة ، بل قبل أن تنطلق رصاصة واحدة » .

والواقع أن الاسلام يكفل بناء الكيان العسكري للأمة على أكمل الوجوه :

١ – فالتكليف « بالجهاد » بالأموال والأنفس ، تكليف للأمة كلها ، سواء كان الجهاد فرض كفاية أو فرض عين ، فهو يقتضي من كل مسلم التأهب الدائم والاعداد والتدريب والاستعداد بكل ما لديه من قدرات علمية وفنية وبدنية ومعنوية لأداء دوره في دفع العدوان عن أمته ، فلا فرق بين جيش وشعب ، بل الجميع مجاهدون كل منهم يؤدي دوره بالعمل المناسب وفي الموقع المناسب لتحقيق الهدف المشترك .



للدكتور/ فؤاد محمد محمود العارضة

وجد بطريق الصدفة كما يدعي اصحاب التفكير السطحي والنظر القصير من الماديين الملحدين ، اذ لا بد له من خالق قدير حكيم لا حد لقدرته وحكمته وعلمه ، الا وهو الله تعالى العلي القدير والعليم الحكيم ، ولا غرو فلكل مصنوع صانع ولا يوجد شيء بطريق الصدفة ، كما يدل على ذلك واقع الامر والحياة . وننظر في هذا الكون فنرى وحدة ازلية ونسقا واحدا في نظامه وخلقه ، فلا تفاوت ولا اختلاف في تركيبه وبنائه ووحدة الخلق من وحدة الخالق ، قال الله تعالى : (**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير**) . الملك/١ ـ ٤

ولو كان هناك اكثر من إله واحد لهذا الكون لرأينا اكثر من نظام واحد له ، ولوجدنا لكل اله نظاما خاصا به ،

ولحدث انقسام وانفصال بين الآلهة كما يحدث ذلك بين افراد الاسرة الواحدة ، واعضاء الشركة الواحدة ، ونرى هذا الحق وهذه الحقيقة في قوله تعالى (**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون**) الانبياء/٢٢ .

ومن البديهي ان يكون الله تعالى محيطا علمه بكل كبيرة وصغيرة فيما خلق من كائنات ومخلوقات ، كما ان الذي صنع سيارة يعرف كل اجزائها ودقائقها ، والذي بنى عمارة لا يخفى عليه شيء فيها ، وفي ذلك قال الله تبارك وتعالى :(**الله لا أله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم**) البقرة/ ٢٥٥ وقال جل شأنه (**الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم**) . المجادلة /٧ .

ولسائل ان يسأل : من هو الذي خلق الله خالق الانسان تمشيا مع النظرية التي تقول انه لا بد من وجود صانع لكل مصنوع ؟ فيقال له : ان هذه القاعدة لا تنطبق على الله ﻷاذ انه تبارك وتعالى خلق الكون كله ولم يخلقه احد . فهو جل شأنه الاول والآخر ، وكما ان الصفر الذي يعني لا شيء قبل العدد واحد ، كذلك لا شيء يسبق الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كما قال عز وجل : (**قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد**) سورة الاخلاص،وهذا غاية ما يصل اليه عقل الانسان المحدود ، وادراكه المعدود ، فاذا ما حاول الانسان ان يتجاوز هذا الحد في هذا الشأن ضل وتاه دون ان يصل الى نتيجة ، واذا مضينا في هذه السلسلة من الاسئلة والتساؤلات : من هو الذي خلق الله ؟ ومن هو الذي خلق الذي خلق الله ؟ وهلم جرا .. غرقنا في خضم هذه الاسئلة التي تعتبر الاجابة عليها مسألة فوق مستوى عقل الانسان وتفكيره ، ولا غرو في ذلك فعقل الانسان محدود ، وله طاقة معينة لا يمكنه تعديها ، والله سبحانه وتعالى لا محدود ، والمحدود يعجز عن ادراك كنه اللامحدود ، كما ان ضوء المصباح يضيع في نور الشمس ، وغاية ما يدركه الانسان في مسألة الخلق والوجود ان هذا الكون له خالق واحد هو الله تعالى وحده لا شريك له ، كما تنطق بذلك آيات الله البينات في الافاق ، وفي خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، وفي نفس الانسان ، وفي كل شيء ، قال الله تعالى : (**ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب . الذين يذكرون**

الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) آل عمران/ ١٩٠ ، ١٩١ وقال عز وجل : **(سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)** فصلت/ ٥٣ اما ما وراء ذلك ، واما ادراك كنه الذات الالهية فمسألة فوق طاقة العقل البشري المحدود واذا الانسان مد نظره اليها ارتد اليه طرفه وهو حسير ، وخطف بصره وصعقه نور الله الذي يغمر السموات والارض ، واذا كان نور السيارة يخطف بصره فكيف بنور الله الذي يضيء الكون كله ، واذا كان الانسان عاجزا عن ادراك كنه روحه التي بين جنبيه وفي جسمه ، فكيف والحالة هذه يدرك كنه ذات الله تعالى ؟

ومسألة خلق الانسان التي وردت في القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية الصحيحة هي الحقيقة الناصعة التي لا ريب فيها ، فقد خلق الله أبانا آدم من الطين ، وخلق امنا حواء من نفس آدم ، فتزوجا لينجبا ويتوالدا ! وهكذا كانت بداية الجنس البشري ، ولا يعقل ابدا ان تكون قد بدأت بطفلين لأن الطفل لا يستطيع ان ينمو ويعيش بلا حضانة ورعاية ، واذا كانت قد بدأت بطفلين فمن كان والداهما ، واذا كان لهما والدان فلا بد ان يكون لهما خالق خلقهما هو الله تعالى ، ولا يمكن ان يكونا قد خلقا بطريق الصدفة ، ويستحيل ان يكونا قد خلقا انفسهما بنفسهما لأن لكل مخلوق خالقا ولكل مصنوع صانعا كما يدل على ذلك واقع الحياة ، فالانسان لم يستطع حتى الان ان يخلق حتى حشرة حية ، ولا حبة فاكهة ، فكيف يخلق بشرا سويا ناطقا ، فما صنعه الانسان هو آلات واجهزة جامدة ، ومنظر حشرة او زهرة او شجرة او فاكهة من البلاستيك ، او تمثال ميت جامد لانسان او حيوان ، ومسألة خلق الانسان من الطين هي الحقيقة الناصعة الخالدة التي تدحض اية رواية اخرى عن اصل الانسان ومصدر خلقه ، ولا ادل على ذلك من ان الانسان وكل كائن حي يعود الى اصله التراب بعد ما يموت ، ولا غرابة في ذلك فكل شيء يرجع في النهاية الى اصله .

وايماننا بما قاله خالقنا الله تعالى عن خلق الانسان ، يحتم علينا الايمان بوجود حياة اخرى ، يبعث فيها الانسان الذي مات وصار عظاما نخرة ، ليحاسب على اعماله في الدنيا ، ومن شك في قدرة الله على اعادة خلق الانسان مرة ثانية بعد موته وفنائه نقول له : ان الله الذي خلق الانسان اول مرة من صلصال لقادر على اعادة خلقه مرات كثيرة . ولم لا والصانع الذي صنع السيارة يستطيع ان يعيد صنعها مرة ثانية بعد ان تتحطم وتبلى والبناء الذي بنى عمارة يستطيع اعادة بنائها اذا ما انهارت وسقطت ، وفي ذلك قال الله تبارك وتعالى :**(الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون)** الروم/ ١١ وقال عز وجل : **(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده**

وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) الروم/٢٧ .

ولنا ان نتساءل : هل يعقل ان يكون الفناء الابدي مصير هذا الجمال البشري الساحر الفتان وهذه المواهب والعبقريات الانسانية الرائعة ؟ كلا ثم كلا فلا بد ان يكون لها حياة اخرى في دار الحق والبقاء والخلود . ويستحيل ان تكون قد اوجدت بطريقة عفوية تلقائية ، وذلك من آيات الله البينات التي تنطق بقدرته وعظمته وحكمته كما قال تبارك وتعالى : **(ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين)** الروم/٢٢ وقد خلق الله تعالى هذا العالم بالحق والصدق ولم يخلقه عبثا ولا باطلا كما قال جل شأنه : **(سبحانك ربنا ما خلقت هذا باطلا)** وقال : **(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين)** الانبياء/١٦ وقد خلق الله الناس وجعل لهم اجلا مسمى في هذه الحياة الدنيا ليبلوهم بالشر والخير ، وليعلم ايهم احس عملا ، كما قال عز وجل : **(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا)** الملك/٢ .

والانسان في هذه الحياة الدنيا معلق بمشيئة الله ورحمته ، ومعرض للموت في اي وقت ، ولا يدري اين ولا متى يصعد الى الملأ الأعلى ، كما قال تعالى : **(وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت)** لقمان/٣٤ ووجوده فيها قصير مؤقت ، وهو فيها عابر سبيل وضيف زائر ، فالايام تمر مر السحاب وكل يوم يمضي يدنى الانسان من اجله المحتوم ، وينقص من عمره المقدر له ، لذلك كان مستقبل الانسان الحقيقي الدائم في الحياة الآخرة دار الحق والخلود ، لا في دار الموت والفناء ، ولا يضع ذلك نصب عينيه الا اولو الالباب ، وايمان الانسان بذلك ، وبالثواب والعقاب ، وبأن عين الله الحي القيوم لا تأخذها سنة ولا نوم ، وتراه ليلا ونهارا سرا واعلانا ، تجعله صالحا طيبا مثمرا لا يقول ولا يفعل الا خيرا ، ولا شيء يجعل الانسان طيبا مثمرا كالايمان بالله تعالى ، كما يدل على ذلك واقع الحياة ، ويشهد واقع الحياة كذلك بان الشرور والآثام يقترفها دائما الذين لا يعرفون الله ولا يتقونه كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ! ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » رواه البخاري . وهكذا من لا يعرف الله لا يعرف الحق والعدل والرحمة .

ووجود الانسان العابر في الحياة الدنيا لا يؤدي في الاسلام الى هجر الحياة والانحباس في زوايا الزهد والتصوف والرهبانية ، بل يعني العمل لهما معا ، واعطاء كل منهما حقها ، كما قال الله تعالى :**(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص/٧٧ وقال الامام علي كرم الله وجهه : اعمل

لدنياك كأنك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

فالمسلم الواعي المستنير يأكل ويشرب ولا يسرف عملا بقوله تعالى : **(كلوا واشربوا ولا تسرفوا)** الاعراف /٣١ ويأخذ بشتى الوان الزينة من ملبس ومسكن ومأكل ومشرب ونحو ذلك في نطاق الاعتدال والشرف والفضيلة ، مستلهما ذلك من قوله تعالى :**(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق)** الاعراف/٣٢ ففي الاعتدال حكمة وصحة وعافية وفائدة ، وفي الاسراف تهور ومرض وضرر ، بل ان الاسراف في اي شيء يؤدي الى الحرمان منه .

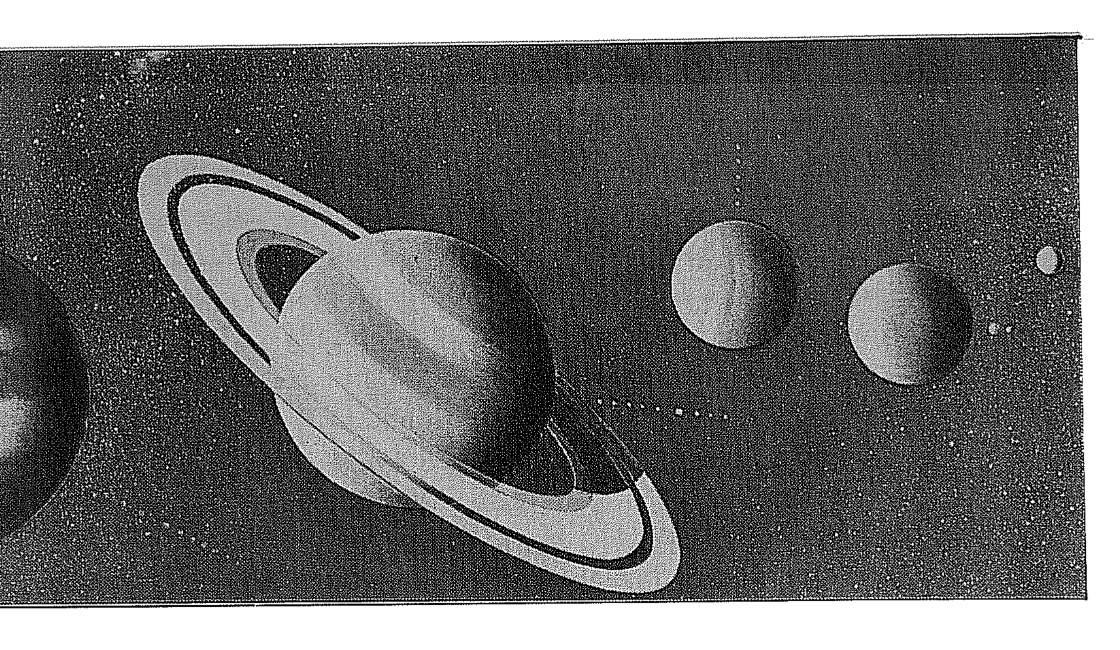
والمسلم الحق يتزوج ، ويبني اسرة ، وينجب اولادا ، ويربيهم تربية صالحة ، ولا يعتكف في صومعة الرهبنة التي هي موقف سلبي من الحياة ، من شأنه ان يهدم الحياة ، ويجتث شجرتها ، والرهبانية مما يناهض واقع الحياة الانسانية وامر لا يطيقه جل البشر ، والاسلام دين يتمشى مع الفطرة السليمة وواقع الحياة ، والمسلم المستنير القوي ما دام قادرا على العمل لا يتوقف عن الزرع والغرس والبناء والتعمير حتى آخر يوم في حياته ، يحفزه الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة فليغرسها » رواه احمد .

وبذلك ينفع نفسه واهله ويخدم امته ووطنه ، ويضمن لنفسه مستقبلا كريما في دار الحق والخلود ، فمستقبل الانسان في الحياة الآخرة يصنع ويرسم في الدنيا ، فمن زرع نباتا طيبا ووردا في الدنيا جنى ثمرا حلوا ووردا عطرا في الاخرة ومن زرع نباتا مرا وشوكا حصد المر والشوك في الحياة الاخرى ؛ كما قال الله تعالى :**(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزله/٧ ، ٨ والاسلام الحنيف يأمر بالايمان بالقضاء والقدر خيره وشره قال تعالى : **(قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)** التوبة/٥١ وقال عز وجل :**(لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)** يونس /٤٩ وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « استعن بالله ولا تعجز ، وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم وابن ماجه .

فهذا الايمان الصادق بالقضاء والقدر خيره وشره يجلب لصاحبه السكينة والراحة النفسية ، ولا يجعل نفسه تذهب حسرات على ما يصاب به ، فهو لم يأل جهدا في دفع الخسارة والضرر ، ولكن الحظ خانه ولم يحالفه النجاح ، كما قال حافظ ابراهيم :

لا تلم كفي اذا السيف نبا
صح من العزم والدهر ابى

فالمؤمن بالله حقا يعتبر ما يصيبه من يسر او عسر ابتلاء واختبارا لايمانه ، عملا بقوله تعالى : **(ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون)** الانبياء/ ٣٥ ومما يضاعف صبره



ويقوي عزيمته قوله تعالى : (**واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور**) لقمان/١٧ .

واعتقاد المسلم ان الارزاق والاعناق بيد الله وحده ، يجعله شجاعا حرا ، لا يخاف بشرا في سبيل قول الحق واتباع طريقه ، ويدفعه الى الجهاد بماله ونفسه في سبيل الله ، غير مبال بالاذى والموت ، وان وقع في ضنك ومأزق وجدته يعمل لدحره صابرا متفائلا املا في انقشاع الغمة امله في انبلاج فجر مشرق من ظلمات ليل حالك ، ويضيء نفسه بأنوار الامل والرجاء قوله تعالى : (**واصبروا ان الله مع الصابرين**) الانفال/٤٦ وقوله جل شأنه : (**ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون**) يوسف/٨٧ .

واذا فاتته فرصة لم يقلق ولم يتحسر معتبرا ذهابها خيرا له ، يحفزه الى ذلك قوله تعالى : (**وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون**) البقرة/٢١٦ على ان ذلك لا يعلم المسلم الاهمال والتواكل في اعتماد اسباب النجاح ، واتخاذ طرق الوقاية والعلاج انما يعلمه التوكل على الله ، والاعتماد عليه في النتائج والعواقب والثمار ، فعليه ان يعتمد على نفسه ، ويستعين بالله في السعي والزرع ، ويعتمد على الله ويثق به في حصاد الغلة وجني الثمر ونجاح المسعى متسلحا بقوله تعالى : (**حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**) التوبة/١٢٩ وبقوله عليه الصلاة والسلام : « اعقلها وتوكل » رواه الترمذي .

والاسلام دين الفطرة السليمة ، فهو يساير واقع الحياة البشرية ويلبي مطالب الانسان الطبيعية ويهذبها وينظمها دون ان يكبتها ويخنقها فالانسان مثلا يخطىء وينسى بطبعه وطبيعته ، فالاسلام يراعي ذلك ولا يعاقبه على النسيان والخطأ العفوي ، كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » رواه الطبراني وفي الاسلام يحاسب الانسان كبشر يخطىء ويصيب ، فليس عيبا ان يخطىء المرء ولكن العيب ان يتمسك بخطئه ، والا يتعلم منه ، لذلك يعتبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ويبقى باب التوبة مفتوحا ، قال الله تعالى : (**ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم**) النحل/ ١١٩ .

والاسلام الحنيف لا يقتل غريزة الجنس بالرهبنة والعزوبية بل يشبعها اشباعا مهذبا منظما بالزواج ولا يسمح لها بالارتواء بالزنى الذي هو فوضى وابحاية وظاهرة حيوانية لان الحيوان لا يعرف الزواج ويحرم الاسلام الزنى لانه يؤدي الى اختلاط الانساب وانجاب اللقطاء فضلا عن ذهاب الشرف والفضيلة قال تعالى : (**ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا**) الاسراء/ ٣٢ وليس الهدف من الزواج في الاسلام اشباع الغريزة الجنسية فحسب ، انما الهدف اسمى واجل من ذلك ، الا وهو السكن والاستقرار وبناء الاسرة وانجاب البنين ، وحفظ الفرج ، ومنع الفاحشة ، قال تعالى : (**ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ .

ويشهد واقع الحياة الانسانية بان الرجل اصلب عودا واخشن ملمسا ، واقدر على النهوض بالاعمال الشاقة ، واطول نفسا واكثر صبرا في مجال السعي والعمل والجهاد من المرأة كما انه اوسع افقا واعمق فكرا ، وأدق ملاحظة ، وأبعد نظرا ، واقل عاطفة منها ، وذلك يعني ان الرجل يمتاز بتكوينه الجسماني والنفسي والعقلي على المرأة ، ولا ادل على ذلك من انه لا يوجد بين الانبياء والرسل ، والفلاسفة وعمالقة الفكر ، وبناة الدول وصانعي الثورات الانسانية

امرأة واحدة ، وهي ادوار تتطلب صلابة عود ، وقوة نفس ووفرة صبر وطول نفس ورجاحة عقل قد يقول قائل : إن ما تمتع به الرجل من حرية وانطلاق عبر حياته جعلت الرجل يتفوق على المرأة في هذه الميادين مع ان المرأة كانت محرومة من ذلك ، فيقال له : ان الله تعالى خلق آدم وحواء وهما والدا البشر جميعا ووضعهما في مكان واحد وجو واحد فبادر آدم الى تولي امر حواء وقيادتها وربوبة الاسرة لأنه اقوى منها جسما ونفسا وعقلا بفطرته وطبيعته لذلك جعل الله للرجل حق القوامة على المرأة وقيادة سفينة الحياة ، فقال تعالى : (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض**) النساء/ ٣٤ .

ولما كان الرجل اقدر على السعي وكسب الرزق ، واوسع حيلة واطول باعا في ميدان الكفاح والجهاد من المرأة ، فقد كلفه الله بالانفاق على الاسرة وجعل نصيبه في الميراث مثل نصيب امرأتين اثنتين ، وفي ذلك قال الله تعالى : (**يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين**) النساء/ ١١ . وكذلك يتميز الرجل على المرأة بانه ادق ملاحظة واقل عاطفة وميلا مع الهوى منها ، لذلك جعل شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين وفي الاسلام الحنيف الضرورات تبيح المحظورات ومن هذه الضرورات السماح للرجل بان يتزوج باكثر من امرأة واحدة في آن واحد ، اذا كانت زوجته الاولى عاقرا لا تنجب او مريضة مرضا يعيقها عن القيام بواجباتها الزوجية او اذا كان الزوج لا يقنع بحليلة واحدة فخير له ان يتزوج بثانية من ان يتخذ له صديقات عشيقات وان يتزوج الرجل على زوجته العقيم امرأة ثانية خير لها من ان يطلقها فتصاب بالعقم والطلاق ، وقد يضطرها الطلاق الى الانحراف وهناك ظروف اجتماعية انسانية تتطلب احيانا تعدد الزوجات كأن يكون هناك زيادة في عدد الاناث على عدد الذكور فهذه المشكلة لا يمكن حلها عن طريق التصدير للخارج كما هو الحال في التجارة والبيع والشراء ولكن يمكن حلها بالزواج بأكثر من واحدة اما ما ينشأ احيانا من مشاكل ومتاعب في البيوت التي تجمع اكثر من زوجة واحدة فمصدرها انانية المرأة وقلة عقلها وغيرتها الجامحة فالزوجة الثانية ليست غولا يأكل ولا بعبعا يخيف ولكن تصير عونا وسندا ومؤنسا مسليا للزوجة الاولى في ظل التضحية والايثار والتفاهم والتسامح اما النسل فيمكن ضبطه والتحكم فيه بوسائل منع الحمل المتعددة المعروفة وعلى الزوجين اذا ارادا العيشة الطيبة الراضية ان يتبادلا المودة والرحمة والمعاملة الكريمة وان يقوم كل منهما بواجبه نحو الآخر كاملا ، والا فخير لهما الانفصال والفراق كما قال الله تعالى : (**فإمساك بمعروف او تسريح باحسان**) البقرة/ ٢٢٩ .

والانسان له طاقة معنوية ومادية لا يستطيع تجاوزها فاخذ الاسلام ذلك في عين الاعتبار وادخله في الحساب فلا يكلف شخصا ما لا يستطيع قوله او

فعله ، قال تعالى : (**لا يكلف الله نفسا الا وسعها**) البقرة/ ٢٨٦ وقال حكماء العرب : « سل ما يستطاع حتى تطاع » .

والانسان مظهر وجوهر ، وشكل وروح ومظهره الجسم وروحه وجوهره العقل والخلق ، ولا ريب في ان قيمة المرء في روحه وجوهره لا في شكله ومظهره ولا ادل على ذلك من ان العلوم والآداب والفنون والحضارة والمدنية من ثمرات العقل والخلق والروح ، لا من نتاج المظهر والشكل ، والاسلام الحنيف دين العقل السليم ، والمنطق القويم ، والفطرة السليمة ، يزن الانسان ويقيمه بجوهره وروحه لا بمظهره وشكله ، قال تعالى : (**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات/ ١٣ وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم واموالكم انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم » رواه مسلم وابن ماجه .

لذلك حرم الاسلام ـ دين المساواة والاخوة الانسانية والحرية ـ التمييز الطبقي والتعصب العنصري ، فالناس جميعا على اختلاف اجناسهم واشكالهم والوانهم من التراب والى التراب ، وابوهم آدم ، وامهم حواء وليس من العقل ولا العدل في شيء ان يوزن الانسان بشكله ولونه ، اذ لا يد له في خلقه على الصورة التي هو عليها ، سواء كانت جميلة او قبيحة ، فالله تعالى خالق الناس جميعا خلقه هكذا واعطاه الصورة التي يحملها ، اما الاخلاق والاعمال فهي اشياء مكتسبة يصنعها المرء بنفسه ويده ، لذلك كانت هي مقياس التفاضل والتفاوت بين الناس جميعا .

والانسان جسم وعقل وروح وكل واحد منها يحتاج الى رعاية وعناية ، واذا اعطى الانسان كل واحد منها حقه من الرعاية ، ووازن بينها في العناية ، عاش عيشة راضية طيبة فعقل المرء يحتاج الى تنوير وصقل بالافكار النيرة الخيرة والمعاني السامية ونفسه كذلك تحتاج الى تهذيب وتزيين بالايمان بالله ومكارم الاخلاق والفضائل السامية ، كما يحتاج جسمه إلى تنظيف وتهذيب وتزيين وتغذية . والعاقل يعتني بتغذية عقله ونفسه بثمار العلم والأدب ، كما يعتني بتغذية جسمه بالطعام والشراب ، اما الجاهل فانه يهتم بملء بطنه وكساء جسمه ، ويترك عقله فارغا ونفسه خاوية عارية ، فحياة بلا نشاط علمي وادبي واخلاقي اشبه بحياة الحيوان ، فالحيوان لا يعرف من الحياة الا الاكل والشرب والنوم والجنس ، وعلى ذلك يكون الاتجاه المادي والمتجسد في حاجات الجسم المتعددة ظاهرة حيوانية والانسان الواعي المتزن يوازن بين متطلبات جسمه وعقله وروحه ، ولا شك في ان نظافة الوجه واليد واللسان من نظافة العقل والروح والقلب . لذلك كانت العبرة في جمال الروح والباطن اكثر منها في جمال الشكل والظاهر ، والناس في الاسلام مخابر لا مظاهر قال الله تعالى : (**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات/ ١٣

والمرء لا يكون قويا فعالا وطيبا مثمرا ما لم يكن متمتعا بالصحة والعافية والعقل السليم المستنير ، والخلق الكريم ، وتوفر الصحة والعافية يتطلب اعتدالا في الاكل والشرب والجهد وراحة البال ، قال تعالى : (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**) الاعراف/٣١ ولا يستنير العقل الا بالتأمل والتزود بالعلم والادب والتقوى قال تعالى : (**وقل رب زدني علما**) طه/١١٤ وقال رسوله الكريم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البهيقي ولا يكرم الخلق ولا يستقيم السلوك الا بالايمان بالله وتقوى الله ، لذلك امر الله الناس ان يؤمنوا به ، ويتخلقوا باخلاقه ، ويتزودوا بتقواه ، قال جل شأنه : (**وتزودوا فان خير الزاد التقوى**) البقرة/١٩٧ وقال رسول الله محمد صلوات الله عليه وسلامه : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » رواه الحاكم وقال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » . رواه احمد .

وهكذا يتناول الاسلام الحنيف العقل والنفس والجسم بالتغذية والرعاية والتهذيب والتزيين ، فهي متكاملة في وجود الانسان الصالح المثمر ، فالجسم السليم يلزم للتفكير السليم . والعقل الرشيد والنفس الطيبة المطمئنة والاعصاب الباردة المنضبطة تجلب للجسم الصحة والعافية والسلامة والامان وجسم المرء يتحرك ويسير على ضوء عقله وقوة دفع نفسه ، والجسم من حياة الانسان بمنزلة الوعاء من السائل الذي فيه ، واللباس للجسم كالغلاف للكتاب ، وكالورق للشجر ، والقشر للفاكهة .

وهكذا نرى المسلم الحق يعتني بعقله ونفسه وجسمه اعتناء متوازنا لانه يعلم علم اليقين انه بالعقل السليم المستنير والخلق الكريم والجسم السليم يعيش حياة آمنة طيبة خالية من المتاعب والآلام والامراض ويحسن استخدام ما في يده من قوى وطاقات ، فيستعمل الماء في السقي والشرب ، ولا يستخدمه في الاتلاف والضرر ، ويطلق لسانه في الحكمة والموعظة الحسنة لا في الشتيمة والوشاية والنميمة ، ويضع يده في البناء والتعمير بدلا من استخدامها في الهدم والتخريب ، ويستغل الطاقة الذرية في السلم والعمران لا في الحرب والخراب ، ولا يصير الانسان صالحا مثمرا الا بالتزود بالعلم النافع ، والايمان الصادق بالله ، ومكارم الاخلاق ، فإذا تجرد المرء من الافكار الخيرة الانسانية والمثل العليا والقيم الروحية صار حيوانا مؤذيا سافلا ولا شيء يجعل تفكير الانسان انسانيا خيرا ، وخلقه كريما ، وسلوكه قويما كالايمان بالله وتقوى الله ، والمؤمن المستنير يدرك ان الحياة الانسانية الكريمة لا تكون بملء البطن وحده ، بل بملء العقل والنفس والمعدة ، فجوع النفس والعقل كافر كجوع البطن ، والفقر والافلاس في العقل والنفس شر من الفقر والافلاس في المال ، وقتلى الثعابين والوحوش

البشرية اكثر من قتلى الافاعي والوحوش الحيوانية ، وصلع النفس وعريها اقبح من صلع الرأس وعري الجسم ، وضحايا الامراض النفسية والاخلاقية اكثر من ضحايا الامراض الجسمية ، وهكذا يكون المرء الصالح المثمر بالتوازن بين العقل والنفس والجسم ، وتكون الحياة الطيبة الكريمة بالتعادل بين القيم المادية والروحية .

والاسلام الحنيف يوائم بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، فهو ينمي المصلحة الخاصة في حقل المصلحة العامة ، ويرعاها في ظل المجتمع ، وان حصل تعارض بينهما فأولوية المرور للمصلحة العامة ، فالصالح العام فوق الصالح الخاص ، والحكمة في ذلك ان سلامة المواطن من سلامة الوطن ، والعلاقة بينهما كعلاقة الجزء بالكل ، والفرع بالاصل والغصن بامه الشجرة ، والمسلم الحق يستضىء ويسترشد في حياته وبناء كيانه بنور مصلحة الامة والوطن ، لأن سلامته وحياته من سلامة أمته وحياة وطنه ، وفي ذلك يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « من أراد ان يفرق امر هذه الامة فاقتلوه » رواه مسلم والنسائي ويقول الحكماء : يد الله مع الجماعة ومن الخير للفرد والمجتمع ان يكون للمواطن حرية محدودة منظمة ، وان لا يكون له مطلق الحرية والتصرف في حياته الخاصة والعامة ، والا يفعل كل ما يخطر على باله وتحدثه به نفسه فالمرء تعن له خواطر حسنة وسيئة ، ونفس الانسان أمارة بالسوء بطبعها وفطرتها ، فاذا ما أطلق العنان لخواطره ورغباته ، وجرى مع أهواء نفسه الأمارة بالسوء آل الى ما تئول اليه سيارة تنطلق بسرعة فائقة بلا فرامل تكبح جماحها وتمسكها عند اللزوم ، وبذلك يضر نفسه وغيره ، والانسان يطغي ويتسلط اذا ما استغنى وتحرر من قيد المصلحة العامة ، قال الله تعالى : (**ان الانسان ليطغى . ان رآه استغنى**) العلق/٦ ، ٧ .

وهكذا في المجتمع الاسلامي تنمو المصلحة الخاصة وتثمر في ظل المصلحة العامة ، فلا يسمح لاحدهما بابتلاع الاخرى ، فلا رأسمال مستقل محتكر ، ولا فرد ذائب في الجماعة ، انما مصلحة خاصة تستمد وجودها من المصلحة العامة ، ومواطن يستقي حياته الحرة الكريمة من حياة وطنه كما يستمد الغصن حياته من امه الشجرة ، وفي ذلك اشباع لطموح الفرد الشخصي ، ومراعاة للفروق الفردية الطبيعية بين المواطنين ، وذلك ما تقتضيه الفطرة السليمة وواقع الحياة .

وذلك يعني ان الحرية المطلقة اللامحدودة ضارة بالفرد والمجتمع ، بينما الحرية المحدودة المنظمة تنفع المواطن والوطن .

ومن الحرية المهذبة التي يرعاها الإسلام الحنيف حرية الرأي والكلمة وقول الحق وحرية النقد الهادف البناء فبحرية الكلمة والنقد الايجابي يظهر الحق والصواب من الباطل والخطأ ،

وتسطع الحقيقة ويقوم الاعوجاج ويشخص الداء ويوصف الدواء ، على ان حرية القول لا تعني اباحة الشتيمة والسباب وطول اللسان ، ولا ادل على حرية القول والنقد البناء في المجتمع الاسلامي من تلك الانتقادات التي وجهها بعض المسلمين الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عملا بقوله صلوات الله عليه وسلامه : « الا لا يمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول بحق اذا علمه » رواه الترمذي وابن ماجه وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت » رواه النسائي وقال تعالى : (**ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه**) البقرة/٢٨٣ .

وقال عمر بن الخطاب لامرأة نبهته الى خطأ وقع فيه سهوا : « اصابت امرأة واخطأ عمر » . وكان رضي الله عنه يقول : « رحم الله انسانا اهدى الينا عيوبنا » .

ولا ريب في أن المرء الذي يكشف لغيره خطأه وعيبه انما يريد له الاهتداء والخير ، فهو كالطبيب الذي يشخص للمريض مرضه ليداويه ، اما الشخص الذي يرى خطأ واعوجاجا في أخيه ولا يبينه له انما يريد له الضرر ، شأنه في ذلك شأن من يرى في طريق اخيه حفرا ولا يحذره منها ، ولا ينفر من سماع صوت الحق والنقد البناء الا كل جاهل مغرور ، فالعاقل الواعي يفتح سمعه وقلبه لكلمة الحق ، ويرحب بالنقد النزيه الايجابي ، ويشكر صاحبه كما يشكر على الخير والمعروف لأنه يرى فيه نورا وهداية وخيرا ، وكذلك الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه والتعلم منه والرجوع الى الحق حكمة وشجاعة انسانية وفضيلة سامية ، بينما التمسك بالخطأ والتمادي في الباطل حمق وجبن ورذيلة ، والاصرار على الخطأ خطأ آخر يجر الى الفشل والضرر ، ومن حاسب نفسه اهتدى وافلح ، ومن تمادى في خطئه ضل وخاب .

ومن الحريات الانسانية التي يرعاها الاسلام الحنيف حرية التدين ، فهو يدعو الناس الى الدخول فيه بالحكمة والموعظة الحسنة والاقتناع والحب والرفق ، قال الله تعالى : (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن**) النحل/١٢٥ ولا يرغم احدا على اعتناقه والايمان به ، قال تعالى : (**لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**) البقرة/٢٥٦ وقال جل شأنه : (**فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) الغاشية/٢١ ، ٢٢ والحكمة في ذلك انه لا ينفع الاسلام شخص يدخله مكرها مرغما ، ولا يلبث ان يخرج منه حين تزول القوة التي اكرهته على الدخول فيه ، لذلك لا يجوز الاكراه في الدين ، كما انه لا يجوز الاكراه في الزواج .

والاسلام الحنيف دين العلم النافع والحرية الانسانية ، يأخذ بيد اهل الفكر والعلم ، ويحفزهم على البحث والانتاج والابداع في رحاب الايمان بالله ، ويدل على ذلك قوله

تعالى : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) المجادلة/ ١١ وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » رواه الترمذي ، ولا أدل على رعاية الاسلام للعلم والفكر من الحضارة الاسلامية شمس العصور الوسطى ومطلع الحضارة الاوروبية المعاصرة .

والامة الحرة الكريمة العزيزة هي الامة التي يتمتع افرادها بالعزة والكرامة وحرية القول والعمل ، اما الامة التي تهدر فيها كرامة المواطن ، وتسلب حياته الحرة الكريمة ، فلا تكون حرة كريمة قوية فكرامة الامة من كرامة افرادها ، وكرامة الفرد من كرامة امته . ولا يعلى شأن الوطن ولا يحميه الا مواطنون احرار اعزاء ، والمواطن الذي تهون عليه كرامة نفسه وحريته الشخصية تهون عليه كرامة وطنه وحرية امته ، لذلك رأينا الاسلام الحنيف يبدأ اول ما يبدأ ببناء الانسان فكريا وعقائديا وروحيا وجسميا وماديا ، فيحرره اولا من استعباد نفسه له ، حتى لا ينقاد لأهوائها وشهواتها ، واذا ما تحرر المرء من سلطان نفسه تحرر من سلطان غيره ، فلا يعود يخضع الا لله تعالى الذي بيده وحده الارزاق والاعمار ، والنفع والضر .

والاسلام الحنيف يساوي بين المسلمين ولا يميز بينهم الا على اساس من العلم والتقوى ، قال تبارك وتعالى : (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر/ ٩ وقال : (**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات/ ١٣ . ومراكز القيادة والمسئولية ورئاسة الدولة مصلحة عامة يحق لكل مسلم كفء صالح أن يمنح فرصة الوصول إليها ، فالمصلحة العامة تتطلب أن يقود سفينة الأمة أصلحهم وأكفؤهم علما وخلقا ، وأن يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب ، وأن تسند الأمور إلى أهلها ، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو ارضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » رواه الحاكم وروى البخاري انه صلوات الله وسلامه عليه قال : « اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة » قيل يا رسول الله وما تضييع الامانة ؟ قال : ان يوسد الامر الى غير اهله » هذا الكون بما فيه من مخلوقات وثروات وخيرات ملك لله تعالى خالقه ، والأموال التي في ايدي الناس هي في الحقيقة والواقع لله تبارك وتعالى ولا ادل على ذلك من ان الناس يموتون عنها ويتركونها ، فهي ودائع لدى الناس ، وعارية مستردة ، والناس وكلاء الله فيها . ولا بد يوما ان ترد الودائع والعواري الى صاحبها الحقيقي .

وهكذا يجد الانسان في الاسلام الحنيف الصحيح حقيقة الوجود الكبرى الخالدة ومنبع نهر الحياة ومصبها ، ومفتاح لغز الحياة والموت ، وما ينشد من حياة حرة كريمة ، وسعادة وارفة ، في الدنيا والآخرة .

تحية للهجرة في عامها الجديد

قديم ولكـــن في القلوب جديد ومجد لنا في العالمـــين تليد
ويوم ولكـــن قل في الدهر مثله وعيد على مر الزمان سعيد
وذكـــرى ، الى كل النفوس حبيبة وحب الورى للصالحات ، أكيد !
أهيم بها حبا ، وعندي لوعة وربي على حبي لها ، لشهيد !

★★★

وفي كل عام كالعروس ، تزورنا ومن سحرها غارت لعمري غيد
شذا عرفها الفواح تشكـــو مغيظة أزاهير منه في الربى وورود !
سقى الله أرضا سار فوق أديمها نبي الهدى والخطو منه سديد

★★★

وفي هجرة الهادي دروس عظيمة ودرس الفدا في التضحيات فريد
فما اشجع المختار يهزأ بالقوى قوى الشر تغشى داره وحشود !
ويقتحم الأخطار لا بل يدوسها كما داس أعواد الهشيم وليد !
وطاشت سهام المعتدين وصبحهم نكـــاد وخزى الآخرين شديد !
وإن عواء الذئب في الغاب واهن وزأرة ليث في العرين رعود !
اذا ما رآه الذئب يقدم شامخا تهالك مذعورا وفر يحيد !

للاستاذ/محمود ابراهيم طيرة

فاذ رام أهل الشرك قتل محمد فان إله العرش عنه ، يذود
مقام رفيع لا ينال وكوكب سما في الأعالي ما إليه صعود
فداء النبي نفسي ـ ونفسي عزيزة ـ وكـل محب بالعزيز يجود !

★★★

وإن عليا في الوفاء وفي الفدا مثال على ليس منه عديد
ومن واجه المـوت الزؤام نيابة عن المصطفى ، رمز الفدا ويزيد !
ومن مثل سيف الله، في العلم والحجى ودر على في البيان نضيد !!

★★★

ويا غار ثور ـ إن حظك وافر وحسبك ـ يا طوق النجاة ـ خلود !
شرفت بايواء النبي ، محمد وصاحبه حينا ، فأنت سعيد !
وكـم هي ساعات من الدهر حلوة يفوز بها من دهره ويفيد !
وفي حل سر الغار عقلي حائر وكـم حار في حل الرموز رشيد !!
وآيات ربى فيه كانت وفيرة سلوا الغار عنها إنه لشهيد
فان كان عند الناس غار فانه لدى الله حصن للنجاة عتيد !

★★★

فيا هجرة المختار ألف تحية واهداءها شعرا اليك أريد
لقد كنت للاسلام أول نصرة وللشرك ـ يعتو ـ دولة وجنود !
فليس عجيبا أن تنالى مكانة ومن رامها بالخزى سوف يعود !
وقد أعلن الاسلام أنك مبدأ لتاريخه عبر الزمان ، مجيد !
فيا دورة الدنيا ـ قفي بتأدب لذكـرى بها ظل الأنام يشيد !!



للاستاذة/ فتحية محمد توفيق

ما الأمة إلا مجموعة من الأسر ، تترابط فيما بينها بمبادى وقوانين وأعراف وتقاليد ، تتفاوت آثارها بين الأمم تبعا لتفاوتها في درجات المعرفة والثقافة ، وكلما كان الأساس قويا كلما كان ذلك أدعى لتماسك البناء وصلاحيته للبقاء وكلما كانت الأسرة قوية قائمة على الأسس الصحيحة كلما كان المجتمع قويا ، واللبنة الأولى في بناء أي مجتمع ، هي الاسرة فاذا كانت هذه اللبنة مفككة منهارة ، فلا بد أن يكون المجتمع مفككا منهارا .

واذا كانت هذه الاسرة صلبة متماسكة ، فلا بد أن يكون المجتمع المتكون منها صلبا متماسكا كذلك .

ولما كان الاسلام الحنيف ، يعمل على تكوين المجتمع الاسلامي القوي ، فقد حرص على تدعيم اللبنة الاولى في البنيان الاجتماعي ، وهي الاسرة .

وعمل على اسعادها وتقويتها .

وفي هذا الصدد جاء بالمبادى والقوانين التي تعمل على احكام العلاقات والروابط داخل الاسرة . وعلى تقويتها وحفظها من الضعف والانهيار ، وأوجب على المجتمع ان ينفذ هذه المبادى والقوانين .

قال الله تعالى : (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**) التوبة/ ٧١ .

ففي مجال العلاقة بين الزوجين يحرص الاسلام على أن تكون هذه العلاقة أقوى ما تكون .

ولهذا كان الزواج في الاسلام ، مؤسسة اجتماعية دينية يدخل فيها الرجل والمرأة قصدا لتحقيق مصالح مشتركة بين الطرفين .

وأهم هذه المصالح بالنسبة للزوجين ، هو توفير وضع اجتماعي ، يتمتع فيه الطرفان بثمرات المودة والمحبة وإرضاء النزعات الطبيعية للانسان ، بصورة كريمة مستقرة .

كما يرضيان الغريزة الوالدية التي تتطلع دائما الى الاولاد ، وتدفع الى العناية وتوفير اسباب النمو والازدهار لهم .

وبالنسبة للاولاد فالاسرة « الزوج والزوجة » البيئة الطبيعية الضرورية لوجودهم وحصولهم على أسباب النمو العقلي والجسمي ، والرقي ، والوعي الثقافي . ولا شك ان اوضاع الاسرة الاسلامية ، قد أخذت الطابع الاصيل الذي يجعلها خير وسيلة لاغراض الاسرة ومهمتها في المجتمع .

ولهذا كان الزواج في الاسلام (**ميثاقا غليظا**) وعهدا متينا ، ربط الله به بين (رجل وامرأة) وأصبح كلاهما يسمى زوجا ، بعد أن كان فردا .

قال الله سبحانه وتعالى : (**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا**) النساء/ ٢٠ و ٢١ .

والذي يتتبع كلمة « ميثاق » ومواضعها التي وردت فيها ، لا يكاد يجدها تأخذ مكانها في التعبير القرآني الا حيث يأمر الله بعبادته وتوحيده ، والأخذ بشرائعه واحكامه .

ويستطيع الباحث والمتتبع لكلمة « ميثاق » وقد جاءت في شأن الزواج أن يدرك المكانة السامية التي وضع الله الزواج فيها . (الاسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت ص ١٣٦ مطبعة الأزهر) .

قال تعالى : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ .

وهذا الميثاق الذي ربط الله به بين الزوجين ، أقيم على ركائز : من التعارف ، والمودة ، والرحمة ، والعفة والكرامة ، والصيانة .

وهذا هو الزواج الانساني في وضعه الصحيح من وجهة الأفراد ، ومن وجهة المجتمع .

فهو استقرار وسكن نفساني من وجهة الأفراد . وواجب اجتماعي من وجهة المجتمع .

وسبيل مودة ورحمة بين الرجل والمرأة .

وفضيلة هذه العلاقة بين الرجل والمرأة ، أنها علاقة « سكن » تستريح فيها النفوس الى النفوس ، وتتصل بها المودة ، والرحمة ، والمشاركة ، القلبية والوجدانية .

ومن ثم يراد الزواج : لتهذيب النفس الانسانية واستزادة ثروتها من الرحم ، والرحمة ، ومن العطف والسمو ، ومن مساجلة الشعور بين الجنسين بما ركب فيهما من تنوع الاحساس ، وتنوع القدرة على الايناس والحب ، ولهذه الركائز ، راعي الاسلام ان تؤسس الاسرة منذ البداية على الرغبة والرضا والاختيار . (سماحة الاسلام للدكتور الحوفي ص ٢٥ ط المجلس بالقاهرة) .

فوضع عناصر أصيلة لبناء الاسرة السليمة وتكاملها في المجتمع الاسلامي ، وهذه العناصر إذا روعيت ، كانت قوة للاسرة الاسلامية ، وتدعيما ونجاحا . ووصلت الاسرة المسلمة الى ذروة ما قدر من الاستقرار والأمن .

وهذه العناصر نجدها في الترغيب في الزواج والاهتمام بحسن اختيار كل من الزوجين للآخر وحقوق الزوجة على زوجها . وحقوق الزوج على زوجته ومكانة الزوج في الاسلام بالنسبة لزوجته . والحقوق المشتركة بين الزوجين . وعلاج ما يحدث بين الزوجين من خلاف . وسنتناول كل عنصر بكلمة خاصة نتبين من خلالها مزايا الاسلام وتشريعه الخالد ، في حفظ الأسرة ، ووضع المرأة في مكانها اللائق بها ، حتى لا تتعرض للابتذال والارتخاص والميوعة ، والانحلال وحتى لا تكون في وضع الطريد .

الترغيب في الزواج : قال الله تعالى : (**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب**) الرعد/٣٨ .

قال ابن كثير في التعليق على هذه الآية : يقول الله : « وكما ارسلناك يا محمد رسولا بشريا ، كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق ، ويأتون الزوجات ، ويولد لهم ، وجعلنا لهم أزواجا وذرية » (تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥١ ط الحلبي) .

وقال تعالى : (**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا**) النساء/٣ .

وقال تعالى : (**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**) النور/٣٢ .

وعن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم . فلما أخبروا كأنهم تقالوها .

فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

فقال أحدهم : اما انا فاني اصلي الليل ابدا .

وقال آخر : انا اصوم الدهر ولا افطر .

وقال آخر : انا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله اني لأخشاكم لله واتقاكم له ، ولكني اصوم وافطر ، واصلي وأرقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني رواه الشيخان والنسائي .

وعن أيوب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح » رواه احمد والترمذي .

وعن انس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حبب الي من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » رواه احمد والنسائي والحاكم والبيهقي .

والاسلام بهذه النصوص الصريحة ، يعرب في وضوح عن دعوته الى الزواج والترغيب فيه فترتبط المرأة والرجل برباط يتم عن طريق زواج شرعي وعقد صحيح تترتب عليه التزامات من كلا الطرفين .

والاسلام الحنيف بهذا الادب ، يتسامى بالمجتمع ويصعد الى مراقي الاطمئنان ، إذ الاسلام لا يعترف بالأمومة غير الشرعية لأنه لا يريد ان تشيع في المجتمع الانساني ، اذ بانتشارها تختلط الانساب من جانب وتضيع الالتزامات الشرعية التي على الرجل قبل الولد وأمه من جانب آخر .

والمجتمع حينئذ لا يستطيع ان يتكفل بهذه الالتزامات نيابة عن الآباء المجهولين .

ومن هذا يتضح أن الاسلام ينظر الى المجتمع الاسلامي ، نظرة انسانية فيها من الشرف ، والكرامة ، والاباء ، والشمم ، ما يملأ الجوانب أمنا وطمأنينة .

ينظر الاسلام الى المجتمع على انه وحدة متفاعلة متجاوبة متعاونة على أساس من الدين والخلق والمودة .

وليس المجتمع في نظر الاسلام مركبا تركيبا ماديا صرفا . بل هناك من القيم الانسانية الهادفة ما هو كفيل بسعادة المجتمع .

وان اهداف الزواج في الاسلام نجدها :

اولا : في بقاء النوع الانساني وتقوية الروابط في المجتمع .

ثانيا : في التسامي بالغريزة النوعية .

ثالثا : في تحديد المسؤولية بالنسبة لتربية الأولاد .

رابعا : في الاستقرار النفسي والشعور بالتجاوب العاطفي .

والواقع أن بقاء النوع الانساني ،

وتقوية الروابط بين أبناء المجتمع الاسلامي من أهم أهداف الزواج في شريعة الاسلام ..

قال الله تعالى : (**وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا**) الفرقان/ ٥٤ .

وقال تعالى : (**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**) الفرقان/ ٧٤ .

يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له . (تفسير ابن كثير الجزء الثالث ص ١٢٨) .

وقال تعالى : (**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**) النساء/١ .

وقال تعالى : (**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات**) النحل/٧٢ .

يذكر الله تعالى نعمه على عبيده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم ، وشكلهم ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ، ما حصل الائتلاف ، والمودة والرحمة ، ولكن من رحمته ، خلق من بني آدم ذكورا واناثا ، وجعل الاناث ازواجا للذكور ، ثم ذكر الله تعالى انه جعل من الأزواج البنين والحفدة وهم اولاد البنين . (تفسير ابن كثير الجزء الثاني ص ٥٧٧) .

قال ابن عباس وعكرمة وغيرهما ، وقال ابن جبير عن ابن عباس : « بنين وحفدة » هم الولد وولد الولد . وقال ايضا عن عكرمة : بنوك حيث يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك . (المرجع السابق نفس الجزء والصفحة) .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه ، قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله اصبت امرأة ذات جمال وحسب ، وانها لا تلد أفأتزوجها ؟ قال : لا . ثم أتاه الثانية ، فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال : تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم » رواه ابو داود والنسائي والحاكم وصححه .

فالاسلام الحنيف يحافظ على بقاء النوع الانساني ويدعو الى التزاوج القائم على روابط الاخلاص والمودة ليكثر النسل في ظل الاسلام ، ويعم الخير الانسانية كلها .

بعد هذا ننتقل الى الهدف الثاني من أهداف الزواج في الاسلام ، فنرى أن المجتمع الطبيعي ، هو الذي يقوم على أساس من الفطرة ، ويدرك أحكامها ومقتضياتها .

ولا ينبغي ان يفهم من هذا ان المجتمع الطبيعي هو الذي يطلق لنفسه العنان ، فلا يتقيد بقيد ، ولا يحاول ان يهذب جموح الغريزة ويرد ما عسى ان يكون لها من شطط ، لا ينبغي ان يفهم هذا ، لأن الاسترسال في وضع من الاوضاع دون كبح او تهذيب ، لا بد ان يعكس هذا الوضع في النهاية .

فكان لا بد من تهذيب الغرائز ،

والتسامي بها حتى لا تندفع ، والغرائز من طبيعتها تأبى ان تقاوم او تكبت ، ويفرض عليها مالا يلائمها . فكان لا بد في الاسلام من تهذيبها والسمو بها . بل لعل ذلك من مزايا الاسلام اذ انه يدرك هذه الامور حق الادراك ، ولهذا كان من اهداف الزواج في الاسلام التسامي بالغريزة النوعية ، قال الله تعالى : (**والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين**)المؤمنون/٥ و ٦ .

دلت الآية على تعليق فلاح العبد على حفظ فرجه ، وتضمنت هذه الآية وما بعدها ثلاثة امور : من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين ، وانه من الملومين ومن العادين ، ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم .

فمقاساة ألم الشهوة ومعاناتها أيسر من بعض ذلك ، وقد أمر الله نبيه أن يأمر المؤمنين بغض ابصارهم ، وحفظ فروجهم ، وان يعلمهم انه مشاهد لاعمالهم مطلع عليها ، يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور . ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على حفظ الفرج ، فإن الحوادث مبدؤها من النظر ، كما ان معظم النار من مستصغر الشرر . (تفسير القاسمي : ج ١٢ ص ٤٣٨٨) .

ولله در القائل :

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها
في أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

ويقول القاسمي : تكون نظرة ، ثم تكون خطرة ثم خطوة ، ثم خطيئة ولهذا قيل : من حفظ هذه الأربعة احرز دينه : **اللحظات ، والنظرات واللفظات ، والخطوات** . فينبغي للعبد أن يكون بواب نفسه على هذه الابواب الاربعة ويلازم الرباط على ثغرها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما علوا تتبيرا . (تفسير القاسمي ج ١٢ ص ٤٣٨٨) .

وعن عبد الله رضي الله عنه : قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » متفق عليه .

وعن ابي ايوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة حق على الله عونهم : المكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله » رواه الترمذي والنسائي والحاكم .

وعن انس رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الباقي » رواه الطبراني في الاوسط ، والحاكم وقال صحيح الاسناد .

وفي رواية البيهقي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الباقي » .

ومن أجل التسامي بالغريزة ، حرم الاسلام ، جلوس الناس في الطرقات تفاديا من ان يمتد نظر الجالس الى الاجنبيات ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم والجلوس على الطرقات » فقالوا : ما لنا بد هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال : « فاذا أبيتم إلا المجالس ، فأعطوا الطريق حقها » قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : « غض البصر وكف الاذى ورد السلام ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر » متفق عليه .

ومن اجل التسامي بالغريزة . حرم الاسلام الخلوة بالمرأة الاجنبية ، لما يترتب على الاختلاط بها من تحريك نزغات الشيطان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذي محرم » رواه البخاري .

ومن أجل التسامي ايضا نهى الاسلام عن سفر المرأة وحدها ، او مع غير ذي محرم منها ، وذلك خوفا على عفافها وكرامتها ، وصيانة لها ، قال رجل : يا رسول الله اني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج . فقال صلى الله عليه وسلم : « أخرج معها » رواه البخاري .

فيا حبذا لو اننا تتبعنا أسرار التشريع الاسلامي . واتبعنا تلك الارشادات وتمسكنا بأدب الاسلام وسلكنا طريق الحق .

اننا ان فعلنا ذلك ، تقدمنا ولكان لنا من وراء ذلك خير كثير .

ومن أهداف الزواج في الاسلام ، تحديد المسؤولية بالنسبة لتربية البنين والبنات . قال الله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**) التحريم/٦ .

قال ابن عباس في معنى الاية : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله وامروا اهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار ..

وقال قتادة : تأمرهم بطاعة الله ، وتنهاهم عن معصية الله ، وان تقوم عليهم بأمر الله ، وتأمرهم به ، وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها . وذكر القشيري ، ان عمر رضي الله عنه ، قال : لما نزلت هذه الآية : يا رسول الله نقي أنفسنا ، فكيف لنا بأهلينا .

فقال تنهونهم عما نهاكم الله ، وتأمرونهم بما أمر الله ..

وقال مقاتل : ذلك حق عليه في نفسه ، وولده ، وأهله فعلينا تعليم أولادنا ، وأهلينا : الدين ، والخير ، وما لا يستغنى عنه من الأدب . قال تعالى : (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك**) البقرة/٢٣٣ .

وعن ابن عمر رضي الله عنه ، عن

النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « كلكم راع ، فمسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم ، والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم الا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » متفق عليه .

وعن ايوب بن موسى ، عن ابيه ، عن جده رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه احمد وابو داوود والحاكم .

والطريق الأمثل في هذه التربية ، هو تقديم القدوة الصالحة من جانب الأم والأب .. ثم الأخذ في تعليم الدين بالطرق التي تلائم مراحل حياة الناشئين وتعتمد في اداء مهمتها على الكتاب الكريم ، والسنة النبوية ، وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والقصص الديني وحياة أبطال شباب الاسلام ..

قال الله تعالى : (**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**) النحل/ ٧٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه الطبراني والبيهقي .

فنفس الطفل في بدء الأمر قابلة لأن تنقش فيها الأخلاق الكريمة ، ومثلها كمثل المرآة المصقولة ، تنطبع فيها الصور الحسنة بكمالها وتمامها .

وبعبارة أخرى قد تكون أقرب : نفس الطفل ، كالصحيفة البيضاء للمربي يمكن أن ينقش فيها ما يشاء ..

قال صالح بن عبد القدوس :

وان من أدبته في الصبا
كالعود يسقي الماء في غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا
بعد الذي ابصرت من يبسه

ولهذا كانت الحياة الزوجية ، حقلا تربويا خصبا ، لتخريج الأجيال الناشئة وهي أقدر على أداء الرسالة الاسلامية ، وافادة المجتمع ، بما يضمن الأمن والاطمئنان .

وننتقل بالقارى المسلم ، والقارئة المسلمة ، الى هدف آخر من اهداف الزواج في الاسلام ..

وهذا الهدف هو الاستقرار النفسي ، والتجاوب العاطفي ، ويعد هذا الهدف اساس الحياة الكريمة والمودة والرحمة والاخلاص ..

ويشير الى هذا القرآن الكريم ، دستور الامة الاسلامية في قوله تعالى في سورة الروم :

(**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١

فالله سبحانه وتعالى يرشد الانسانية الى ما فيه سعادتها في الحياة .. فيضع لها اركان الحياة الزوجية في آية (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم**

أزواجا) .

والركن الاول : السكون النفسي ، وهذا الركن خاص بالزوج والزوجة . وهو تعبير بليغ عن شعور الاطمئنان والامن والراحة والصفاء .

والركن الثاني : المودة ، والتي يظهر أثرها في التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين واسرة كل منهما .

والركن الثالث : الرحمة التي لا تكمل للانسان ، الا بعواطف الامومة والابوة ، ورحمتهما لاولادهما ..

فيكون لكل البشر ، أو الأحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة .. وتستقر العاطفة في بيت الاسرة ، ويتم سكون كل من الزوجين إلى الآخر ، اذا تبادلا معا ما يعين على هذا السكون ، حيث يعامل الزوج زوجته بالحسنى ويعاشرها بالمعروف ..

وتعاونه هي على أمور الحياة وتتوافق معه في رأيه ، وتراقبه في غيبته ، وتدفعه الى صالح الاعمال ، وتحقيق الآمال ..

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل ، خيرا له من زوجة صالحة . إن امرها اطاعته وان نظر اليها سرته ، وان اقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها نصحته في نفسها وماله » رواه ابن ماجه .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اربع من أعطيهن فقد اعطى خير الدنيا والآخرة : لسان ذاكر وقلب شاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه خونا في نفسها وماله » رواه الطبراني والبيهقي .

فمن هذه النصوص العظيمة نرى أن مفاهيم الزواج في الاسلام لا تدانيها مفاهيم في اقامة الاسرة وتدعيم بنيانها .. فليس الزواج في الاسلام الحنيف علاقة جسدية وليس الزواج في الاسلام صفقة تجارية ..

وليس الزواج في الاسلام ، جواز مرور ، يحمله الانسان حين يروم ارضاء ما به ..

وليس الزواج في الاسلام ، علاقة تلجى اليها الضرورة الوقتية وانما الزواج في الاسلام ، علاقة انسانية ، دائمة تلتقي فيها انسانية انسان ، بانسانية انسانة .

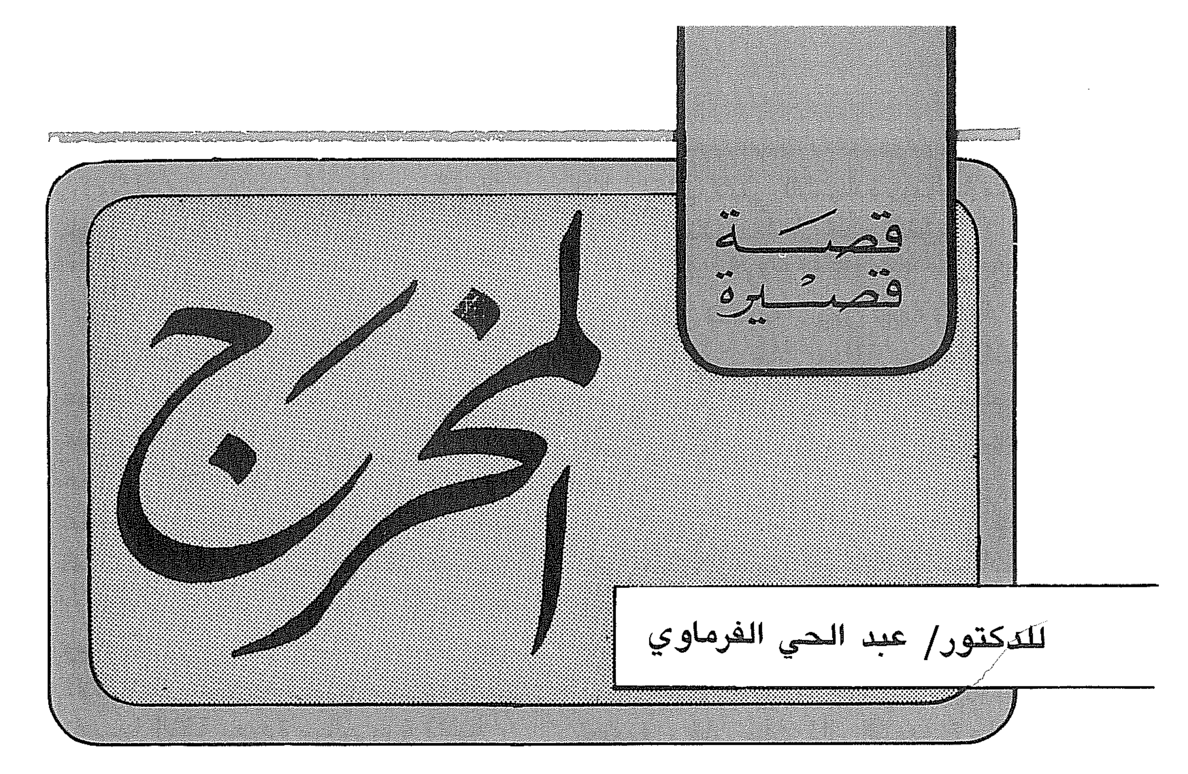
علاقة بشرية ، تجمع بين النفسية والجسدية ، لتتواءم مع طبيعة الانسان ..

والزواج من هنا : كان شركة بين هذين الانسانين ، بل بين هاتين الانسانيتين .

رأس مال هذه الشركة : الحب ، والوفاء ، والإيثار ، والرعاية ، والصيانة ، والعفة ، والصدق ، والثقة ..

وهدف هذه الشركة : السكون النفسي ، والاستقرار العاطفي ، وقيام كل منهما بواجب المسؤولية ، الأسرية والاجتماعية التي ناطتها الطبيعة والشريعة بكل منهما .

وشعار هذه الشركة : التعاون في سبيل التربية الصادقة ، والعمل لخيري الدنيا والآخرة ، ومعاونة الأمة الاسلامية في تقدمها وفلاحها ...



المخرج

للدكتور/ عبد الحي الفرماوي

وعاد الجيش واستقبله الناس على أبواب المدينة والكل يشترك في الاهتمام بخبر واحد ، وهو نجاة النبي صلى الله عليه وسلم وعودته سالما وينفرد كل منهم بعد ذلك باهتماماته الخاصة .

فالأم : تبحث عن ابنها وتستقبله .

والأخت : تبحث عن أخيها وتستقبله .

والزوجة : تبحث عن زوجها وتستقبله .

والابنة : تبحث عن أبيها وتستقبله .

ومع القادمين : تصل الأخبار وتأتي الأنباء عن سير المعركة ونتائجها والذين استشهدوا والذين أسروا والغنائم والخسائر .. الخ .

والكل فرح بعودة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة سالما منتصرا في معركته وفي عودته .

والكل يهنيء من فازوا بالنصر ورفعوا راية هذه الدعوة الجديدة التى تحمل للناس النور والسلام وتحارب الجهل والاستبداد والاستعباد .

والكل يهنيء ـ كذلك ـ أهل من فازوا بالشهادة وهم يتلون قوله تعالى : **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين)** .

وفريق واحد من الناس : هو الذي كانت وجوهه تحمل معنى الأسى والحيرة والقلق على مصير أبنائهم وهم أهل الأسرى .

وكان من بين من أسروا : سالم بن عوف بن مالك الأشجعي .

* * * * *

وتجمع كثير من الناس في بيت عوف ابن مالك ، الرجال يطمئنون عوفا ويتباحثون معه في احتمالات عودة سالم ، وكيفيتها ، ويذهبون عنه الخوف من بعض الخواطر التى تنتاب الأب في مثل هذه الاحوال .

والنساء مع أم سالم يواسينها ويهدئن من روعها ويخففن عنها من آلام الثكل الذي بدأت تحسه ويبثثن في نفسها الثقة بعودة سالم مرة ثانية ، اذ لا خوف على الأسرى حيث يتم التبادل بين أسرى الفريقين .

وفي مجلس الرجال : كان الحوار يدور والاحتمالات تطرح ، والتوقعات الحسنة تظهر والكل يشترك في الحديث غير فرد واحد كان صامتا شاردا يبدو أنه كان بعيدا عن كل ما يدور وما يقال وهو عوف بن مالك والذي توجه اليه احد الجالسين بقوله :

لم هذا الصمت الطويل يا عوف ؟

ويجيب عوف على السائل والكلمات تخرج منه بطيئة ثقيلة ، تحمل على اكتافها الاجهاد الذي يعانيه والقلق الذي يشغل باله ، ويبعده عن حوار الجالسين وحديثهم .

فيقول : ماذا أقول ؟

فيقول السائل : أإلي هذا الحد أنت جذع على ابنك ؟

فيقول عوف : انني لجد حزين ، اذ لم تكتب لابني الشهادة وينالها مع الذين استشهدوا في هذه الغزوة .

وفي نفس الوقت : قلق على مصيره وأخشى من تعذيبه ، ومن جهة ثالثة : وكما تعرفون فان سالما هو عائلنا الوحيد الآن بعد أن قد بلغت من الكبر عتيا ، وأكلت الأيام مني كل جهد وقوة .

فيقول رجل من الجالسين : يا عوف اذا كان ابنك لم يحظ بالشهادة فقد فاز بالنصر وهو احدى الحسنيين .

وليس من داع للقلق على مصيره أو تعذيبه ، فان مات نال الشهادة وإن عذب ففي سبيل الله ما يلقاه ، وليس بعد هذا سوى عوده اليك .

اما كونه هو العائل الوحيد : فاعلم جيدا أنه : **(ما من دابة في الأرض الا على الله رزقها) .**

فقال عوف : الحمد لله !! هو حسبي ونعم الوكيل .

وطال الحوار وزانه الايمان ، وتوجه حب الناس لدين الله ورغبتهم الاستشهاد من أجل رفع رايته .

وانفض المجلس وغادر الناس البيت وجلس عوف بين زوجته وأولاده وكانوا كثرة .

وطال بينهم الكلام ، وترقرقت في أعينهم الدموع ، وغشيهم البكاء ، ثم ساد بينهم لفترة غير قصيرة ، الصمت وغلبهم النعاس .. عدا عوف ، الرجل الكبير ــ الذي كان قد استراح من عناء السعي في هذه السن . بعد قيام « سالم » عنه بهذا الواجب ــ اخذته الخواطر ..

وشطحت به الافكار ، وظل وسط هذه الدوامات من القلق على ابنه الذي غاب والانشغال على زوجته وباقي الاولاد .. حتى طلع النهار .

ومرت الايام .. تتلوها الأيام .

دونما أخبار عن سالم .

أو استقرار لما يدور في ذهنه من خواطر وافكار .

وهو يدعو في صلاته .. ويضرع في سجوده وكذلك زوجته وباقي أبنائه .

أن يعود لهم « سالم »

أو أن يجعل الله لهم من هذا الموقف ، وما تفرخ لهم عنه قوادم الايام مخرجا .

وطال التشاور بين الرجل الكبير .. المسن .. الضعيف « عوف » وزوجته .

حتى كان ذات يوم .

قال عوف لزوجته

سأذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

واشتكي له : ما نحن فيه ، وما ينتظرنا من فقر وجوع يهدد أبناءنا .

أليس هو رسول الله !!؟

اليس هو المسئول عنا ؟!!

والزوجة في خواطرها هي الاخرى .

لم تجب .

ولكنها أومأت برأسها دلالة الموافقة .

وذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واستقبله النبي عليه الصلاة والسلام ، وقرأ ما يدور بخواطره ، ويعتمل بصدره ، مما تفصح عنه أساريره وملامح وجهه المجهد ، ونبرات صوته المهدود .

وأجلسه بجواره وربت بيده الشريفة على ظهره

وقال له : ما حال الأم بعد غياب ابنها يا عوف ؟

قال عوف : وقد سهلت أمامه المهمة

بهذا السؤال .

« جزعت الأم »

ثم اضاف قائلا :

وانت تعلم يا رسول الله انني رجل كثير العيال قليل المال كبير السن عديم القوة لا طاقة لي على العمل والكسب .

وسكت .

وفهم النبي صلى الله عليه وسلم ما يرمي اليه هذا الرجل .

وسكت .

وران الصمت على المجلس .

ماذا يفعل لهذا الرجل ؟؟

ماذا يعطيه ؟؟

فليست لديه الخزائن والأموال ليأمر له ولأولاده براتب شهري حتى تتغير أحوالهم .

وطال الصمت .

وطال التفكير .

اذاً : فليس غير الله تعالى

وفجأة قطع صوت عوف هذا الصمت

وقال : بم تأمرني يا رسول الله ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

يا عوف .. اتق الله واصبر

وآمرك وإياها أن تكثرا من قول « لا حول ولا قوة الا بالله » .

وظهرت أسارير البشر في وجه

عوف .

فهو يعلم أن الله تعالى هو صاحب التصرف ، وصاحب التدبير وصاحب الحول والطول القوى العزيز المدبر الحكيم .

وقام عوف .

وذهب لمنزله

وقابلته زوجته .. وهي ترنو الى شفتيه تترقب وتتسمع لما سيقول .

أليس قادما الآن من عند النبي ؟؟

أليس النبي عليه الصلاة والسلام يقف دائما بجوار الجميع في مثل هذه الامور الجسام ؟

أليس النبي صلى الله عليه وسلم يحل للجميع ما لديهم من مشاكل ؟

اذاً فلابد من أن عوفا قد أتى بما سوف يخرجنا من هذا المأزق الحرج .

وقال عوف لزوجته :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني واياك ، أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله .

فقالت الزوجة على الفور ..!!

الحمد لله ..!!

نعم ما أمرنا به .

وساد بينهم السرور ، وغمتهم السكينة ، وطافت بهم سحائب الرضى والتسليم ، ورطبت ألسنتهم « الحوقلة » وترنم الجميع بالتسبيح ، وملأ الايمان جوانب البيت ، وحفت به مواكب الملائكة ، واعتلت شفاه الجميع بسمة السعادة ، وأفعمت القلوب بنور الله تعالى ، وانشرحت الصدور ، وكأن « سالما » ما فقد وما غاب ، بل كأنه بينهم يرعى كعادته شئونهم ، أو كأنه عاد وهم من الفرحة يشكرون ، ويحمد الله على عوده يسبحون .

ومرت عليهم الأيام .

تتلوها الأيام .

وهي وان كانت قليلة .. لكنها بدون « سالم » تمر بطيئة حتى كان يوم .

وشمس الصباح لم تنفض عن نفسها غبار الليل الطويل .

وعوف مع أولاده خلف باب الدار يتناولون طعام الفطور وفي هذا الصباح الباكر وقعت مفاجأة غريبة .

فقد سمع الجميع صوتا قادما ناحيتهم .

ماذا يقول الصوت ؟؟

ماذا ..؟

سالم عاد ..!!

ووقف الجميع وفتح الباب وسمع الصوت جيدا بل أصوات تقول .. سالم عاد .. سالم عاد .

وصاح عوف .. وهو يستقبل أصحاب الصوت .. ماذا تقولون ؟؟

وقالت الام : أين ابني ؟؟

وصاح الاطفال جميعا : سالم .. سالم .

وظهر سالم .

وصرخ الاب : ما هذا ؟ لمن هذه الغنم الكثيرة يا سالم ؟

واقبلت الأم على ابنها واحتضنته وهي تبكي وتقول ابني .. حبيبي .. اين كنت ؟؟ وكيف اتيت ؟؟

وتجمعت الجموع ، وتكاثرت الناس ، وانهالت التهاني وعمت

الفرحة ..

وعوف .. يقف صامتا ينظر الى هذه الغنم الكثيرة التى أتى بها سالم أيكون قد سرقها ؟

لا .. لا . أعوذ بالله تعالى من ذلك ، أيكون قد استعمله عليها واستأجره لرعايتها أحد الناس ؟؟ ربما .. ولا مانع

أيكون ..؟ أيكون ..؟

وانهالت على رأسه التساؤلات

ثم أقبل على ابنه يسأله خبرها

فقال سالم لأبيه : لقد غافلت العدو الذي أسرني يا والدي ، وهربت بها منهم ، واتيت بها معي فهى لنا .

قال عوف : لا .. لا .. ليست لنا حتى نذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره خبرها .

وذهبا .. عوف وابنه .. الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهنأ النبي صلى الله عليه وسلم سالما بعودته وسأله : عن قصته ، منذ أسره .. حتى ساعته هذه .

وقص سالم على النبي صلى الله عليه وسلم قصته وأخبره أنه غافل العدو وساق غنمهم وهرب بها وعاد الى هنا ، وهي معه .

وهنا .. سأل عوف عن الغنم ..!!

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم سؤال عوف .

وسكت .

وسكت عوف .

وسكت الحاضرون

وتطلع النبي صلى الله عليه وسلم الى السماء

وتطلع عوف الى النبي .

وتطلعت الناس .

وحينئذ

نزل القرآن الكريم

ليجيب عوفا ، ويوضح الحكم ويبين مصير الغنم ويرشد الناس جميعا ان الله مع الصابرين المتقين ، يؤازرهم ويخفف عنهم ويجعل لهم من كل ضيق يعتريهم فرجا ومخرجا اذ قال تعالى :

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) .

وفرح النبي صلى الله عليه وسلم بما نزل

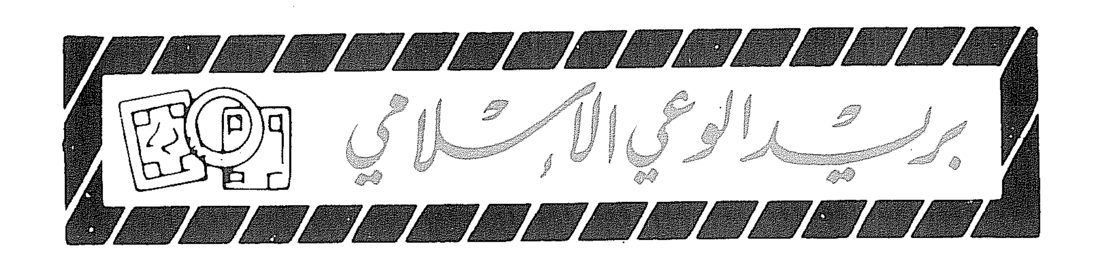
وفرح عوف كذلك بما نزل .

وفرح سالم ـ هو الثالث بما نزل .

وعلم الناس جميعا : أن تقوى الله تعالى واللجوء اليه عند النوازل والملمات والصبر على قضائه والاحتماء بطاعته والبعد عن معصيته ، هو اقرب طريق الى رضوانه ورحمته ، واضمن سبيل للخروج من أي مأزق او مشكلة .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : الغنم خير ساقه الله اليكم يا عوف

وانصرف عوف وابنه تحملهما الفرحة على أجنحتها وتشيعهما تهانى الحاضرين .



القانون الوضعي

حمل إلينا البريد هذا الشهر رسالة من السيد / عباس نور الدائم من السودان يقول فيها : ما حكم الشرع في العمل بالقانون الوضعي ؟ وهل يجوز لنا التخاصم أمام هذا القانون ؟

ونجيب الأخ السائل فنقول ان نظام الحكم في الاسلام خاضع لما جاء في كتاب الله تعالى ، ومأخوذ من سنة نبيه الصحيحة - عليه أفضل الصلاة والسلام - فكل ما وافق الكتاب والسنة فهو حكم الله ، يجب اتباعه والعمل به ..

وواجب حكام المسلمين أن يغيروا كل قانون وضعي لا يستقيم مع تعاليم الاسلام ، والحكام يملكون تغيير القوانين المعمول بها في بلادهم ، وهي - في الغالب - قوانين استعمارية فرضتها دول غير اسلامية ، ومسؤولية الحكام في هذا عظيمة

الفرق الاسلامية

ويقول الأخ عباس نور الدائم : هناك فرق اسلامية كثيرة موجودة في الساحة الاسلامية ، وضرب مثلا لذلك بأنصار السنة ، وجماعة التبليغ ، وغيرهما ويسأل عن أيها الناجية يوم القيامة ...

المحرر :

ونقول للأخ عباس : انه مهما اختلفت المسميات ، وتعددت الفرق الاسلامية ، فهي كلها في الدائرة

الاسلامية ما دامت تعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وواجب هذه الجماعات أن توحد صفوفها ، وتجمع كلمتها ، وتصب كل جهودها في اتجاه واحد حتى تستطيع العودة بمجتمعنا إلى الصورة التي يرضاها ديننا الحنيف ،

حارس

ومن الأخ الرفاعي عبد العزيز ـ من الرباط بالمملكة المغربية ـ جاءتنا رسالته التي يقول فيها : إنه يعمل في الحراسة ـ وهو جندي ـ ويقضي يوما كاملا في الأسبوع حارساً وحيداً وهو بذلك لا يستطيع أداء الصلاة في وقتها لشدة الحراسة ، ويسأل عن الحكم في ذلك .

المحرر :

يقول تعالى : « **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** » .. فالصلاة يجب أن تؤدى في وقتها ، وهي عماد الدين ، لا إهمال في أدائها ، ولا تقصير .

غير أنه قد يتعرض الانسان لظروف قاهرة لا يمكنه التغلب عليها ، فتفوته الصلاة في وقتها ، فيجب عليه أن يقضيها فور تمكنه من ذلك ، لأنه لا يعرف متى يحين أجله ، وكان المسلمون الأولون يحرصون على أداء الصلاة حتى في حالة الحرب والجهاد في سبيل الله ، وفي السفر ، فالصلاة لا تسقط بحال ، إلا أنه تعفى من قضائها المرأة الحائض والنفساء ، وقد تقصر الصلاة في الحرب وفي السفر ، ولكنها لا تسقط ما دام الانسان مكلفا ..

وفي مثل حالتك ، كلما أمكنك أداء الصلاة في وقتها دون أن تعرض نفسك للخطر من جراء تركك للحراسة ، فافعل ، وإلا فأدها قضاء بعد خروج وقتها ، وبعد أن تنتهي من الحراسة ، والله يغفر لنا ولك ، ولعلك تكتب للمسؤولين علهم يعينون معك حارسا آخر فتتناوبان الحراسة ولو لمدة يومين كاملين ، ولن يخسر المسؤولون شيئا . وفق الله الجميع لما فيه الخير .

قراءة القرآن في المسجد

ونقول له : لا مانع من قراءة القرآن في المسجد ، وبصوت معقول ، حتى لا يؤثر على المصلين ، ولا على قراءة الآخرين ، وركعتا تحية المسجد سنة .

اللحية والصلاة

ونقول أيضا للأخ الرفاعي : إن عدم ترك اللحية لا يبطل الصلاة ، فصلاة حليق الذقن صحيحة ، وإن كان إرسال اللحية واجبا أو مندوبا في بعض المذاهب الفقهية ،



سلاح اغفله المسلمون

جاءنا من الاستاذ محمد سليم رشوان كلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :
يومان من عمر الدهر ..
أذكرهما كلما أطل على الناس عام من هذه الأعوام المتلاحقة ، وهذان اليومان هما . يوم المولد النبوي الكريم ، ويوم الهجرة النبوية من مكة إلى يثرب .
أما اليوم الأول منهما ، فأذكره مع الاجلال والاكبار لأنه برز فيه إلى الوجود الانسان الكامل ، الذي جاء رحمة للناس ، ليخرجهم من الضلال إلى الهدى ، ومن الظلمة إلى النور . ومن ضياع الكفر والوثنية إلى وضوح الايمان والتوحيد ، فكانت بداية هذا اليوم بداية ذلك الوجود ، الذي أخذ يكبر مع الدهر ، حتى طوى أياما وأياما ، تراكمت في صفحة الزمان أربعين عاما . ثم أطل من بعدها بالنبوة فاذا هو ضياء يبهر العيون ، ويسير على هداه أبناء أمتنا ، ليضعوا روائع الأمجاد ، ويشيدوا للانسانية حضارة شامخة الذرى .

ذلك هو اليوم الأول ..

وهو اليوم الذي نحتفل بذكراه ومعنا المسلمون في أنحاء الأرض قاطبة كلما أهل موعده ، ومن حقنا ومن حقهم أن نفعل ذلك ويفعلوه ، حتى ولو تشعبت الأقوال في دقة تحديده خلال أيام ذلك العام ، الذي كان فيه ، فحسبنا وحسبهم أنه حقيقة لا مراء فيها ، سواء تقدم عن ذلك اليوم الذي حدده الرواة أم تأخر عنه .

أما اليوم الثاني فاني أقرأ فيه صفحة رائعة من صحائف الايمان ، وأقف أمامها وقفة الذهول والدهشة والاعجاب ، ومالي لا أكون كذلك ، وأنا أشاهد الرجل الوحيد الذي لا ناصر له يشد أزره ويحمي ظهره ، وليس من حوله غير طائفة من الناس ، يتفاوت أفرادها ويختلفون في القبيلة واللون والجنس والبلد ، فيحتاج بذلك كل واحد منهم إلى ناصر ومعين ..

ورغم هذا كله ..
يخرج مهاجراً بايمانه الكبير ، الذي لم تخالطه شائبة من ريبة .. أو من شك .. أو من تردد ، وهو موقن أشد اليقين ، بأنه منتصر لا محالة ، وبأنه بالغ الهدف الذي يهدف إليه ، وواصل إلى الغاية التي خرج من أجلها ، وأن ما يدعو إليه من حق وإن كان صاحبه ضعيفا أعزل ، سوف يظهر على كل ما يعترضه من باطل وإن كان هذا الباطل مدعوماً بالقوة والسلاح .

ثم انتشر دينه في الآفاق .. وكانت تلك عاقبة انتصاره على الباطل ، في معركة لا تكافؤ فيها ، ولكنه كان في النفر القليل ، وهو يقف في وجه العدة والعدد ، يحمل سلاحا لا يعرفه أئمة الكفر من أخصامه ، وكان هذا السلاح هو الايمان ، وبفضل هذا السلاح كان ما أحرزه من الغلبة ، وما توصل إليه من ثمرات النصر المتلاحق .

لماذا خلقنا ؟

حول هذا السؤال يجيبنا الاستاذ عبد الفتاح محمود علم الدين يقول :
سؤال يجب أن يسأله كل مسلم ، ليعرف المهام الملقاة على عاتقه في هذه الحياة الدنيا ، وينبغي أن يلتمس الاجابة عنه من القرآن الكريم فهو النور وفيه شفاء لما في الصدور .
وأدل ما تلقاه قول الله تعالى في الآية ٥٦ من سورة الذاريات : (**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون**) وإذا فحكمة الخلق هي عبادة الله ، ويبادر المولى جل وعلا فينتزع من الانسان فكرة عبودية الانسان للانسان فالفرق بينها وبين العبودية لله وعبادته فرق ما بين السماء والأرض ، فعبودية الانسان للانسان ذلة ومهانة وكل قوى العبد وخدماته عائدة على سيده وهو يعيش بالقدر الضروري لحياته كيما يستمر في الخدمة ، ولكن الله تعالى تمنى عنا فيقول : (**ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**) الذاريات/٥٧ بل على العكس ، العبد لله هو المستفيد من غنى الله (**ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين**) وحتى عائد الشكر عليه (**لئن شكرتم لأزيدنكم**) ابراهيم/٧ ولكن المسلم مع هذا يتوسم ايضاحا اكثر للعبادة فيجد ان الله تعالى قال له في سورة الملك في الآية الثانية : (**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**) يفهم ان العبادة في احسان العمل .
ثم يزداد المسلم استيضاحا فيجد المولى جل وعلا يقول له في سورة الكهف الآية السابعة (**انا جعلناماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا**) فتدله هذه الآية الكريمة على أن حسن العمل هو ما جعله الله على الارض من زينة ..

واذا تشوف المرء لمعرفة الزينة وجد الله تعالى ينير له السبل في الآية السادسة والاربعين من نفس سورة الكهف فيقول : (**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك**) .

والى هنا يكون قد عرف ان الحكمة في خلقه وهي العبادة تكون باحسان العمل فيما خلق الله في الارض من زينة المال والولد . ولما كان كل ما على الارض لا يخرج عن مال وولد . فالمطلوب من الانسان ان يعبد الله باحسانه في معاملة الارض وتربية الاولاد .

والارض وما عليهاوما بها من جبال وانهار ومعادن ونبات وحيوان .. كل ذلك ما سيحاسب الله صاحب الدنيا عنه وعن معاملته معها ، مما سيحاسبه على الاولاد وهل وقاهم النار اولا ؟

وفي الآية العشرين من سورة المزمل لا يترك الله للانسان عذرا في ادعاء جهله بمهمته في الحياة فيقول : (**علم أن سيكون منكم مرضى و آخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله**) .

فهذه الآية الجليلة قسمت الناس قسمين : مرضى وأصحاء ، اما المرضى فلا حرج عليهم حتى تعود اليهم صحتهم فيندرجون تحت قسم الاصحاء .

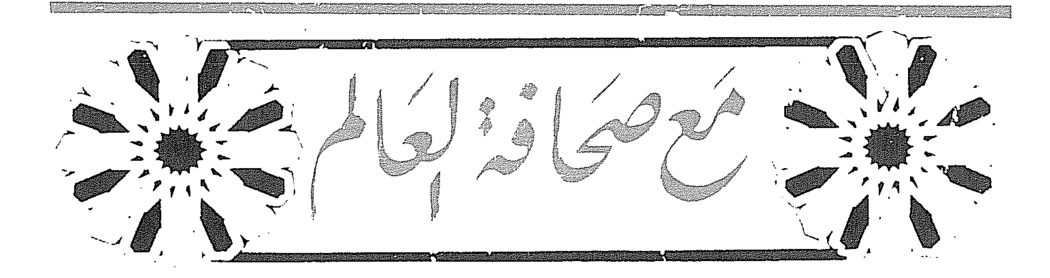
والاصحاء جعل الله مهمتهم في الحياة اما ابتغاء فضل الله واما القتال في سبيل الله والضرب في الارض ابتغاء فضل الله ، هو التعبير الرباني عن العمل في احد حقول الزراعة او الصناعة او التجارة او الطب او الهندسة او المرافق .. وكل ما يتصل باعمار الارض والانتاج ومتطلبات الحياة وتطويرها الى احسن ، وقد استعمل الحق جل وعلا هذا التعبير في سورة الجمعة حيث قال : (**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله**) الجمعة/ ١٠ فالناس عقب الصلاة الجامعة كل جمعة ينتشرون في الارض ويعود كل منهم الى عمله الذي يسره الله له ابتغاء الرزق وما يعود بالنفع عليه وعلى اسرته وعلى المواطنين .

واستطرادا لهذا لم يخصص يوم بأسره للراحة من العمل ولكن الله جعل الانقطاع عن العمل فرضا اذا تؤدى للصلاة من يوم الجمعة حتى تؤدى كاملة ثم يعود دولاب العمل الى ما كان عليه .

هذا فريق اعمار الارض حيث ان الله تعالى قد استخلفنا فيها لنقوم باعمارها واصلاحها ولا نسعى فيها فسادا .

اما الفريق الآخر الذي يقاتل في سبيل الله فهو فريق حماية الانتاج من الاعداء الخارجين والداخلين .

فحماية انتاج المواطن من اعداء الخارج يكون بالجيش الذي يكون معدا باستمرار للقيام بواجبه في هذه الحماية ليل نهار ، لا يغفل عن واجبه مدججا بالاسلحة متدربا على استعمالها واقفا للعدو بالمرصاد يبث العيون والارصاد ويرابط في الثغور حتى لا يفاجأ بالاعداء .



الخلاص

تحت هذا العنوان نشرت جريدة القبس الكويتية هذه الكلمة للاستاذ جاسم حبيب

لماذا اهتزت الحضارات الغربية والشرقية بظهور الاسلام ؟ ولماذا استطاع نفر قليل من الجزيرة العربية اعتنق الاسلام وامن بالرسالة وتفهم القرآن الكريم ان يحطم ما يسمى بالحضارة اليونانية والفارسية ؟؟ وعلى الرغم من ان اليونان والفرس كانوا اكثر عتادا وعدة واكثر تقدما في اساليب الحرب وطرقها الا ان العقيدة الاسلامية اقوى اثرا واشد عنادا في الحق والانسان المسلم المؤمن بربه وبما انزل من الكتاب والرسل هو اقوى واعظم من اي حضارة !!!؟ والسؤال عن سر الانتصار !!!؟ سهل وميسور ويستطيع كثير من التلاميذ الاجابة عليه فالحضارة والمدنية بدون قيم اخلاقية ومبادىء تظل ضعيفة وهشة حتى تضمحل !!

والحضارات التي قامت على عبادة الاصنام وعبادة الاموال والذهب والفضة واعتناق مبادىء اللذة الدنيوية وغيرها اضمحلت كلها والتي تقوم اليوم على نفس القيم اللاسوية ستضمحل حتما !! ورب سائل او مستدرك يقول : اين العرب اليوم ؟ او اين الاسلام اليوم ؟ ومع ان الاجابة صعبة جدا وتحتاج الى تفكير وبحث ومعاناة حتى تجيب على هذا السؤال وتستوفيه حقه الا ان العرب والمسلمين سيظلون في تأخر واضطراب وسيزداد الظلام وستنعدم الرؤى تماما اذا ظل « الحال على هذا الحال » وسنتوه ويتوه من بعدنا الجيل القادم وسنعيش الضياع بكل ابعاده ما دمنا لا نطبق الاسلام تطبيقا صحيحا صافيا ونقيا دون زيف ودون نفاق والعقيدة الاسلامية نظام سياسي واقتصادي واجتماعي وسوف نستفيق !! وسوف نتقدم ونعيش برفاهية وخير وقوة اذا فهمنا الاسلام فهما حقيقيا كما اراده الله تعالى لنا وكما بسطه وشرحه رسولنا الكريم خاتم الانبياء .

العقيدة الاسلامية عدالة ومحبة وخير

وجمال ورقة وعطف وحنان وكرم وسماحة وتعاون وعطاء وانتاج وعمل واداء وقوة في الحق وثقة في النفس وكفاح في سبيل الله والوطن . باختصار هي كل المعاني السامية التي تفقدها الكرة الارضية اليوم في شمالها وغربها وشرقها وجنوبها !! وما لم تكن لنا هذه الاستراتيجية العظيمة سنظل في خواء فكري وتأخر مضطرد حتى الموت !!؟

وبالاسلام نعيش وتكون لنا شخصية واضحة المعالم وبالاسلام يحترمنا كل العالم وتتهافت على التقرب الينا كل الشعوب ، ذلك لان في الاسلام فكرا وروحا ومادة ولان للمجتمع الاسلامي معالمه وشخصيته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وهذا التكامل الفكري هو مبعث الاحترام وهو سر القوة والمنعة والانطلاق !! ومن هنا او بناء على هذه التقدمة تستطيع عزيزي القارىء ان تدرك معاناة الانسان العربي ومأساته ومن هنا ايضا تدرك سر الحرمان والفقر والجهل الذي تعيشه جماهيرنا العربية اذ بدون الاستراتيجية الفكرية للاسلام وبدون قلب وروح الاسلام وبدون التراحم والتواصل والتآخي والتكافل والتعاون الاسلامي لا تقوم لنا قائمة ولا تكون لنا ملامح على سطح الارض !! وكل الشعوب التي ليس لها فكر ونظرية وعقيدة محكوم عليها بالفناء أما الشعب الأصيل فهو الذي يملك قوة العقيدة والفكر والايمان وتبني الحضارة ويبنى العمران وتزدهر المدنية حيث توجد النظرية الراسخة والعقيدة القوية المتمكنة في قلوب الناس التي تدفعهم للابداع والتحرك والنشاط .

والسؤال ما هي استراتيجيات ومنطلقات النظم العربية ؟ ما هي العقائد والنظريات التي تنطلق منها الانظمة العربية في بناء الانسان ؟ كيف يسير الاقتصاد وعمليات توزيع الثروة على جماهير الشعوب ما هي السياسات التعليمية ؟ ما هي السياسات الاعلامية ؟ ما نوعية التربية داخل الاسرة ؟ ما هو دور المؤسسات والجمعيات والروابط وما هي انشطتها وما مدى ما تحققه من نجاح في تثقيف الجماهير ؟ ما مدى ما يتمتع به المواطن من ضمانات في التعبير عن حرية الرأي والعقيدة والقول ؟

الشيوعية هذا المبدأ الهدام

نشرت جريدة الشرق الاوسط كلمة للاستاذ عبده احمد تحت هذا العنوان تقول :

الشيوعية الملحدة خراب كل بيت تدخله وخراب كل عقل تغزوه وخراب كل بلد تحل فيه الشيوعية دمار كل القيم الانسانية تعني كبت حريات الناس وتكميم افواههم ، الشيوعية عدوة الاسلام الاولى لانها ترى في الاسلام

السد المنيع الذي يقف في وجه زحفها الاحمر ترى في الاسلام عملاقا يقف وبكل صمود في وجه نظرياتها ومعتقداتها الزائفة ترى في الاسلام قوة تستطيع منعها من تنفيذ مخططاتها الاجرامية ضد العالم الاسلامي ترى في الاسلام المستقبل الزاهر للبشرية جمعاء ترى في الاسلام نقطة تجمع قرابة الف مليون مسلم متمسكين بكتاب الله وسنة نبيه الكريم يستمدون قوتهم من قوة الله التي لا تقهر لم تلق الشيوعية قلعة منيعة وصامدة تقف امامها مثل قلعة الاسلام الشامخة القوية بعزيمة المسلمين لم تجد من يحاربها ببسالة وإرادة وعزيمة تشق الصخر مثل المسلمين الذين يحاربونها بالتمسك بكل اوامر الله وسنن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه هي حربنا مع الشيوعية ذات الوجه البشع وهي حرب وعدنا الله بالنصر فيها ما دمنا ملتزمين بكل ما امرنا به . ان اجدادنا واسلافنا الكرام الحقوا الهزائم بكل الحملات الصليبية يضربون اروع المثل في محاربة المعتدين ويضعون لنا خطا لا يجب ان ننحرف عنه مهما كان الثمن .

واليوم نرى الشيوعية وقد دخلت الى افغانستان قلعة الاسلام الصامدة التي تقف بكل بسالة امام هذا الغزو الشيوعي لافغانستان . لم تستسلم افغانستان لهذا الغزو الدموي بل هناك الكثير من المجاهدين في سبيل الله يقضون مضاجع الشيوعيين المستعمرين ضامنين نصر الله الذي وعدهم وهو لا يخلف الوعد فوجب اليوم على كل مسلم غيور على دينه وارضه ان يساعد هؤلاء الرجال بكل ما استطاع ... غذاء وكساء قال تعالى **« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »** . (صدق الله العظيم) . لقد ثبت ان كل ما تدعيه الشيوعية من تأييدها لحرية واستقلال كل دول العالم هو كذب وخداع لأن غزوها لافغانستان قلب الموازين واسقط الاقنعة البراقة عن وجه الشيوعية القبيح فالشيوعية حركة استعمارية في المقام الاول ان ما تدعيه ادعاء لا اساس له لأن غزوها لافغانستان وقتلها ومحاولتها اشعال نار الفتنة في كل مناطق العالم اثبت بما لا يدع للشك مجالا عكس هذا الادعاء . ان الشيوعية والصهيونية عنصران يكمل احدهما الاخر فالشيوعية هي وليدة الصهيونية ولأن من الف النظرية الشيوعية هو في الاصل يهودي فلننظر الى اوجه المقارنة بين هاتين الحركتين العنصريتين فالصهيونية تقتل وتشرد الشعب الفلسطيني والشيوعية تقتل وتشرد الشعب الافغاني فأوجه المقارنة كثيرة والغاية واحدة وان اختلفت السبل والوسائل فالصهيونية والشيوع... تصبان في قناة واحدة وهي العدا... الكاملة للاسلام .

ان سلاحنا القوي في وجه ال... الشيوعي لارض افغانستان هو و... كلمتنا ووقوفنا صفا واحدا تحت ... الاسلام « لا اله إلا الله محمد ر... الله » هذه الراية التي وقف تحتها ... عظماء من المسلمين دانت لهم ... شرقا وغربا فلنسر على نهجهم ... اثرهم وقال تعالى في كتابه العز... **ينصركم الله فلا غالب لكم »** ص... العظيم .

اين هم العرب واين هم المسلمون ؟

تقول جريدة الوطن الكويتية تحت هذا العنوان :

اننا نعيش هذا الواقع المؤلم الذي يكمن تحت طياته الحزن والاسى لشعب ذنبه ان ارضه بيعت بمغيب عنه ، بيعت بغير ثمن مقابل الشهرة والمجد للمزيفين بيعت عن طريق السماسرة والخونة الذين همهم الوحيد متعة انفسهم وانعاشها على حساب الغير .

السؤال الذي يحيرني دائما وابدا هو : من نحن ؟

هل نحن عرب كما ندعي ؟

فان كنا كذلك : اين عروبتنا في لبنان وسوريا وفلسطين والعراق ؟ هل العروبة بالاسم فقط ؟ ومجرد لفظ ينطق به بدون معنى او حرمة او تقدير ؟

هل هذه هي عروبتنا في تل الزعتر ولاكثر من شهرين محاصرين محرومين من الطعام والشراب تنهك اعراضهم وحرماتهم ويقتل الشاب امام والديه كما يقتل الوالدان امام ابنائهم وصوت الطفل يسري صداه في الوادي بين الجبال وعيناه تذرف الدم بدل الدمع ، لا يستطيع الكلام سؤالا عن ابيه وامه واخيه واخته .

فأين عروبتنا منهم ولماذا لم يتمكن الصليب الاحمر من الوصول اليهم ؟ ولماذا تمكن من الوصول الى زحلة عندما تضايق الخونة والعملاء « الكتائبيون » والكل صاح مطالبا بوقف اطلاق النار بحجة الوفاق والتكاتف ، فأي وفاق هذا واي تكاتف ؟ لماذا لم يكن في تل الزعتر ؟

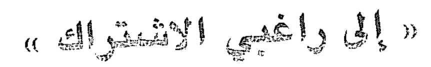
اذا لم نكن عربا وقلنا بأننا مسلمون ، فأين الاقصى في اسلامنا ؟ واين الحرم الابراهيمي في عقيدتنا ؟ واين افغانستان في مبادئنا ؟

الاقصى الشريف الذي بارك الله حوله وقدسه يحرق امام اعيننا ويدمر امامنا ونحن نشاهده ، اليهود يدخلونه بنعالهم ويدنسون حرمته والايدي العاملة تحفر تحته يوما تلو الاخر وذلك لتهويده .

الحرم الابراهيمي يمنع المسلمون من دخوله لاداء صلواتهم وشعائرهم الدينية وكبار مسؤولي الصهاينة يعدون المستوطنين اليهود بتمكينهم من الصلاة في الحرم الابراهيمي وتحويله الى معبد ولم نسمع الا ذلك الروتين المعروف الاستنكار والرفض .

لكل هذا لم اجد ردا على هذا السؤال الذي يحيرني دائما وسيبقى هكذا حتى اجد له جوابا .

فمن كان لديه الجواب الواضح والشافي فليكتبه لي وليجبني عليه .

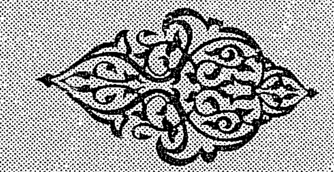


تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ــ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا : طرابلس ــ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب : الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس : الشركة التونسية للصحافة .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ــ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ــ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة – الكو

السد المنيع الذي يقف في وجه زحفها الاحمر ترى في الاسلام عملاقا يقف وبكل صمود في وجه نظرياتها ومعتقداتها الزائفة ترى في الاسلام قوة تستطيع منعها من تنفيذ مخططاتها الاجرامية ضد العالم الاسلامي ترى في الاسلام المستقبل الزاهر للبشرية جمعاء ترى في الاسلام نقطة تجمع قرابة الف مليون مسلم متمسكين بكتاب الله وسنة نبيه الكريم يستمدون قوتهم من قوة الله التي لا تقهر لم تلق الشيوعية قلعة منيعة وصامدة تقف امامها مثل قلعة الاسلام الشامخة القوية بعزيمة المسلمين لم تجد من يحاربها ببسالة وإرادة وعزيمة تشق الصخر مثل المسلمين الذين يحاربونها بالتمسك بكل اوامر الله وسنن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه هي حربنا مع الشيوعية ذات الوجه البشع وهي حرب وعدنا الله بالنصر فيها ما دمنا ملتزمين بكل ما امرنا به . ان اجدادنا واسلافنا الكرام الحقوا الهزائم بكل الحملات الصليبية يضربون اروع المثل في محاربة المعتدين ويضعون لنا خطا لا يجب ان ننحرف عنه مهما كان الثمن .

واليوم نرى الشيوعية وقد دخلت الى افغانستان قلعة الاسلام الصامدة التي تقف بكل بسالة امام هذا الغزو الشيوعي لافغانستان . لم تستسلم افغانستان لهذا الغزو الدموي بل هناك الكثير من المجاهدين في سبيل الله يقضون مضاجع الشيوعيين المستعمرين ضامنين نصر الله الذي وعدهم وهو لا يخلف الوعد فوجب اليوم على كل مسلم غيور على دينه وارضه ان يساعد هؤلاء الرجال بكل ما استطاع من مال وسلاح وغذاء وكساء قال تعالى « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » . (صدق الله العظيم) . لقد ثبت ان كل ما تدعيه الشيوعية من تأييدها لحرية واستقلال كل دول العالم هو كذب وخداع لأن غزوها لافغانستان قلب الموازين واسقط الاقنعة البراقة عن وجه الشيوعية القبيح فالشيوعية حركة استعمارية في المقام الاول ان ما تدعيه ادعاء لا اساس له لأن غزوها لافغانستان وقتلها ومحاولتها اشعال نار الفتنة في كل مناطق العالم اثبت بما لا يدع للشك مجالا عكس هذا الادعاء . ان الشيوعية والصهيونية عنصران يكمل احدهما الاخر فالشيوعية هي وليدة الصهيونية ولأن من الف النظرية الشيوعية هو في الاصل يهودي فلننظر الى اوجه المقارنة بين هاتين الحركتين العنصريتين فالصهيونية تقتل وتشرد الشعب الفلسطيني والشيوعية تقتل وتشرد الشعب الافغاني فأوجه المقارنة كثيرة والغاية واحدة وان اختلفت السبل والوسائل فالصهيونية والشيوعية تصبان في قناة واحدة وهي العداوة الكاملة للاسلام .

ان سلاحنا القوي في وجه الغزو الشيوعي لارض افغانستان هو وحدة كلمتنا ووقوفنا صفا واحدا تحت راية الاسلام « لا اله إلا الله محمد رسول الله » هذه الراية التي وقف تحتها رجال عظماء من المسلمين دانت لهم الارض شرقا وغربا فلنسر على نهجهم ولنقتفي اثرهم وقال تعالى في كتابه العزيز « **إن ينصركم الله فلا غالب لكم** » صدق الله العظيم .

اين هم العرب واين هم المسلمون ؟

تقول جريدة الوطن الكويتية تحت هذا العنوان :

اننا نعيش هذا الواقع المؤلم الذي يكمن تحت طياته الحزن والاسى لشعب ذنبه ان ارضه بيعت بمغيب عنه ، بيعت بغير ثمن مقابل الشهرة والمجد للمزيفين بيعت عن طريق السماسرة والخونة الذين همهم الوحيد متعة انفسهم وانعاشها على حساب الغير .

السؤال الذي يحيرني دائما وابدا هو : من نحن ؟

هل نحن عرب كما ندعي ؟

فان كنا كذلك : اين عروبتنا في لبنان وسوريا وفلسطين والعراق ؟ هل العروبة بالاسم فقط ؟ ومجرد لفظ ينطق به بدون معنى او حرمة او تقدير ؟

هل هذه هي عروبتنا في تل الزعتر ولاكثر من شهرين محاصرين محرومين من الطعام والشراب تنهك اعراضهم وحرماتهم ويقتل الشاب امام والديه كما يقتل الوالدان امام ابنائهم وصوت الطفل يسري صداه في الوادي بين الجبال وعيناه تذرف الدم بدل الدمع ، لا يستطيع الكلام سؤالا عن ابيه وامه واخيه واخته .

فأين عروبتنا منهم ولماذا لم يتمكن الصليب الاحمر من الوصول اليهم ؟ ولماذا تمكن من الوصول الى زحلة عندما تضايق الخونة والعملاء « الكتائبيون » والكل صاح مطالبا بوقف اطلاق النار بحجة الوفاق والتكاتف ، فأي وفاق هذا واي تكاتف ؟ لماذا لم يكن في تل الزعتر ؟

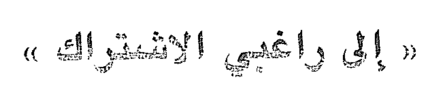
اذا لم نكن عربا وقلنا بأننا مسلمون ، فأين الاقصى في اسلامنا ؟ واين الحرم الابراهيمي في عقيدتنا ؟ واين افغانستان في مبادئنا ؟

الاقصى الشريف الذي بارك الله حوله وقدسه يحرق امام اعيننا ويدمر امامنا ونحن نشاهده ، اليهود يدخلونه بنعالهم ويدنسون حرمته والايدي العاملة تحفر تحته يوما تلو الاخر وذلك لتهويده .

الحرم الابراهيمي يمنع المسلمون من دخوله لاداء صلواتهم وشعائرهم الدينية وكبار مسؤولي الصهاينة يعدون المستوطنين اليهود بتمكينهم من الصلاة في الحرم الابراهيمي وتحويله الى معبد ولم نسمع الا ذلك الروتين المعروف الاستنكار والرفض .

لكل هذا لم اجد ردا على هذا السؤال الذي يحيرني دائما وسيبقى هكذا حتى اجد له جوابا .

فمن كان لديه الجواب الواضح والشافي فليكتبه لي وليجبني عليه .



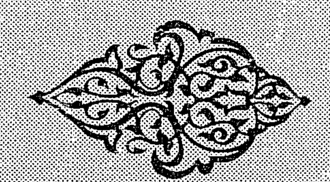
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ــ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ــ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب	:	الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس	:	الشركة التونسية للصحافة .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب (٤٧٧)
		الخبر : مكتبة مكة ــ ص.ب (٦٠)
		الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب (١٠١١)
صنعاء	:	دار الفكر
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص.ب ٦٢٣
ابو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ــ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت